

# السيرة النبوية

## كما جاءت في الأحاديث الصحيحة

محمد الصوياني

الجزء الثاني

العبيكان  
Obekan

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصوياني، محمد

السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة. / محمد الصوياني -.  
الرياض، ١٤٢٩هـ.

٤ مج.

٢٦٨ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم.

ردمك: ٤-٥٢٦-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٨-٥٢٨-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج٢)

١. السيرة النبوية

أ. العنوان

١٤٢٩ / ٣٦٦٨

ديوي ٢٣٩

رقم الإيداع: ١٤٢٩ / ٣٦٦٨

ردمك: ٤-٥٢٦-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٨-٥٢٨-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج٢)

الطبعة الثالثة

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

التوزيع: مكتبة العبيكان  
Obelisk

الرياض-العلياء-تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة  
هاتف ٤١٦٠٠١٨ - ٤٦٥٤٤٢٤ / فاكس ٤٦٥٠١٢٩

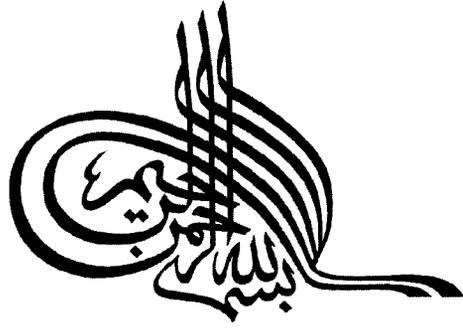
ص.ب.٧٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

الناشر العبيكان  
Obelisk للنشر

الرياض-شارع العليا العام-جنوب برج المملكة  
٢٩٣٧٥٧٤ - ٢٩٣٧٥٨١ / فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب.٦٧١٢٢ الرمز ١١٥١٧

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي» أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.





## اليهود

يحرقهم ما يحدث حولهم، ويموتون كل يوم بغيظهم.. إنهم يشترقون بهذا النبي وبمن معه.. مع أنه كان يتقرب إليهم.. كان يحب هدايتهم، فهم كغيرهم يحتاجون إلى من يأخذ بأيديهم إلى الحق، بل كان ﷺ يشعرهم بأنهم أقرب من غيرهم إلى الإسلام - ومع أن القرب لا يكفي أبداً - فقد كان ﷺ يشعرهم بذلك..

وكان (يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء)<sup>(١)</sup> ف (كان أهل الكتاب يسدلون شعورهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، فسدل النبي ﷺ ناصيته)<sup>(٢)</sup>.

لكن اليهود لا يريدون استيعاب أي شيء من محمد ﷺ.. إنهم يفضلون البقاء في معسكرهم، ولن يغادروه إلا إذا أرسل الله نبياً يهودياً يلتزم بأوراق هذه التوراة الممزقة، وكان لليهود تعاليم سلمت من التمزيق أقرها الإسلام ولم ينكرها.. من هذه البقايا:

## قصة صيام يوم عاشوراء

وهو العاشر من شهر محرم (يوم عاشوراء كان يصام في الجاهلية)<sup>(٣)</sup> وأهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء)<sup>(٤)</sup> ومنهم (قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه. فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه)<sup>(٥)</sup>.

وتقول عائشة: (كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان وكان يوماً تستر فيه الكعبة)<sup>(٦)</sup> ف (ذكر عند رسول الله ﷺ يوم عاشوراء فقال رسول الله ﷺ: «كان يوماً يصومه أهل الجاهلية، فمن أحب منكم أن يصومه فليصمه، ومن كره فليدع»)<sup>(٧)</sup> وليس

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (١٢٦٣).

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (١٢٦٣).

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم، الصيام، صيام عاشوراء (١٢٠).

(٤) حديث صحيح. رواه مسلم، الصيام (١٢٣).

(٥) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٥) ومسلم واللفظ له، الصيام (١١٨).

(٦) حديث صحيح. رواه البخاري ٥٧٨-٢.

(٧) حديث صحيح. رواه مسلم، الصيام (١٢٤).

أهل الجاهلية فقط هم من يحتفي بذلك اليوم (إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى)<sup>(١)</sup> وكان يهود خيبر أكثر احتفاءً من غيرهم (هم يصومون يوم عاشوراء، يتخذونه عيداً ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم)<sup>(٢)</sup>.

لكن ما علاقة ذلك كله باليهود، وهل كان رسول الله ﷺ مقلداً لأهل الجاهلية وأهل الكتاب؟

دونما تردد الإجابة: لا، فمحمد ﷺ جاء وحيماً.. لا ينطق عن الهوى، ولا يملك أن يشرع من عند نفسه، وإذا كان سياق الحدث فيه موافقة للجاهلية ولليهود، فهؤلاء القوم كالغريق بين الأمواج.. مرةً يتنفس هواءً كالحياة، ومرةً يتنفس ماءً، أما الثالثة فيتنفس فيها موتاً.

ومحمد ﷺ كان يتنفس هواءً نقياً، ويتفوه وحيماً وعطراً.

استغرب رسول الله ﷺ صيام اليهود لذلك اليوم، فكانت هذه القصة التي سجلت كم كان ﷺ ودوداً.. كم كان محباً لإخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكم كان محباً لنبي اليهود موسى عليه الصلاة والسلام، فلقد (قدم ﷺ المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه.

فقال رسول الله ﷺ: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم». فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه)<sup>(٣)</sup> لأن الله أمر بصيامه.. لا لأن يهوداً صاموه، فالمسألة هنا مختلفة، وليست كالحالة الأولى -حالة فرق الشعر وتسريحه - فالصوم عبادة، وأي عبادة كانت فهي محرمة في الإسلام، إلا إذا جاء دليل من كلام الله أو كلام رسوله ﷺ يأمر بها أو يحث عليها، وهكذا يبقى الإسلام العبادة جديدةً صافيةً تستقى من النبع، لا

(١) حديث صحيح. رواه مسلم، الصيام (١٣٩).

(٢) حديث صحيح. رواه مسلم، الصيام (١٣٦).

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم (الصوم) (١٣٤).

من ترسبات التاريخ والأهواء والفلسفات، وهذا ما أغاظ اليهود، وجعلهم من ثقوب حصونهم يتربقون، ويتطلعون إلى أي خطأ قد يحدث منه ﷺ، أو من أحد الصحابة، وها هو أحدهم يجد ما يريد:

## يهودي ينتقد المسلمين

فقد سمع هذا الرجل بعض الصحابة يقولون: ما شاء الله وشئت. وبعضهم يقول إذا حلف: والكعبة.

فرح اليهودي بما سمع فأطلق قدميه ولسانه تجاه رسول الله ﷺ منتقداً هذا النوع من الشرك، و(أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تتددون<sup>(١)</sup> وإنكم تشركون. تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة)<sup>(٢)</sup>.

سمع رسول الله ﷺ هذه الكلمات من اليهودي وتأثر بها، لكنه لم ينفجر في وجهه.. لم يقل له: من أنت حتى تعلمنا ديننا!

لم يقل له: لماذا لا تتصحون أنفسكم أيها اليهود، وأنتم تقولون (عزيز ابن الله)

لم يقل: أنت لست من أهل العلم حتى نستمع إليك.

لم يقل هذا شأن داخلي فيما بيننا، ولا نقبل النقد سوى من جماعتنا الذين هم على ديننا.

لم يتفوه ﷺ بشيء من ذلك، بل ضرب لأتباعه المثل الأعلى في قبول الحق، وأن الحق يقبل من أي شخص كان حتى لو كان عدواً حاقداً، ويضرب المثل الأعلى لتقبل الآخر ونقد الآخر.

استمع ﷺ لهذا النقد اللاذع وقبله، ثم توجه نحو أصحابه بهدوء ودون انفعال مصححاً ذلك الانحراف الخطير و(أمرهم النبي ﷺ إذا أردوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة)<sup>(٣)</sup>.

(١) تجعلون لله نداً ومثيلاً وشبيهاً.

(٢) حديث صحيح. (صحيح النسائي ٣٥٣٣ للإمام الألباني).

(٣) حديث صحيح. (صحيح النسائي ٣٥٣٣ للإمام الألباني).

وكررها ﷺ قائلاً لهم: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»<sup>(١)</sup> مهما كان فلان هذا. وقال أيضاً: «لا تحلفوا بأبائكم ولا بالطواغيت»<sup>(٢)</sup>.. «لا تحلفوا بأبائكم ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد. ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون»<sup>(٣)</sup>.

وبين خطورة ذلك فقال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»<sup>(٤)</sup>

امتثل المسلمون فذهبوا بالأجر، وذهب رسول الله ﷺ بالصحابة والأجر ينسابون كالنور.. كالنهر.. يغسلون تلك الزوايا التي تخثرت فيها بقايا الشرك. وذهب ذلك اليهودي بغيظه يجره، ويجر قدميه الثقيلتين ورأسه المتحجر، فلقد انتفع المسلمون بالحق والنقد، ولم ينتفع هو بشيء، بل أضاف إلى رصيد اليهود عناداً آخر.. أضاف مساحةً بينهم وبين المسلمين.

اتضح تلك المسافة، وبانت تلك المفارقة عندما كان رسول الله ﷺ مهموماً يفكر ويفكر، ويبحث عن وسيلة ينبه بها المسلمين إلى دخول وقت الصلاة ف:

## كيف ينادي إلى الصلاة

لقد (اهتم النبي ﷺ للصلاة، كيف يجمع الناس لها، فقليل له: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رآها آذن بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك. فذكر له: القنع - يعني الشُّبُّور (شُبُّور<sup>(٥)</sup> اليهود) فلم يعجبه ذلك وقال: هو من أمر اليهود.

فذكر له الناقوس، فقال: هو من أمر النصارى)<sup>(٦)</sup>.

(١) حديث صحيح. (صحيح الجامع الصغير للإمام الألباني).

(٢) حديث صحيح. (صحيح الجامع الصغير).

(٣) حديث صحيح. (المصدر السابق).

(٤) حديث صحيح. (المصدر السابق).

(٥) الشُّبُّور: هو البوق الذي ينفخ فيه.

(٦) حديث صحيح. انظر صحيح أبي داود للإمام الألباني (٩٨).

لم ينزل وحي بهذا الشأن، والحيرة تملأ الجميع.. اجتهد الرسول ﷺ اجتهاد البشر (ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب للمسلمين)<sup>(١)</sup> في وقت الصلاة. أمر ﷺ بذلك وهو كاره له.

عرف ذلك في وجهه أحد الأنصار الذين حضروا ذلك الحوار واسمه: (عبد الله بن زيد بن عبد ربه) (فانصرف عبد الله بن زيد وهو مهتم لهم رسول الله ﷺ)<sup>(٢)</sup>، وكان بين حرات المدينة من يحمل الحل.. إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لكنه بالتأكيد لم يكن حاضراً ذلك النقاش، لذلك لم يقل ما عنده، ولم يقص على أحد ما رآه في منامه.

انصرف الجميع وخيم الليل على المدينة، وانتشرت نجومه فوق نخيلها، ونام رسول الله ﷺ ونام الجميع، ونام عبد الله بن زيد، وبينما هو منسرب في أعماق النوم وجد في تلك الأعماق رجلاً يطوف به:

## رجل من حلم وأذان من وحي

يقص عبد الله رؤياه فيقول: (لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس يعمل، ليضرب به للناس لجمع الصلاة، طاف بي وأنا نائم رجلٌ يحمل ناقوساً في يده، فقلت: يا عبد الله.. أتبيع الناقوس؟

قال: وما تصنع به..؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة.

قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟

فقلت له: بلى.

قال: تقول:

الله أكبر.. الله أكبر..

(١) حديث صحيح. رواه ابن إسحاق.. وهو من الطريق الصحيحة التي عند أبي داود... وابن إسحاق لم يدلّس.

(٢) حديث صحيح. انظر صحيح أبي داود للإمام الألباني (٩٨)...

الله أكبر.. الله أكبر  
أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله  
أشهد أن محمداً رسول الله.. أشهد أن محمداً رسول الله  
حي على الصلاة... حي على الصلاة  
حي على الفلاح... حي على الفلاح  
الله أكبر.. الله أكبر  
لا إله إلا الله  
ثم استأخر عني غير بعيد، ثم قال: وتقول إذا أقمت الصلاة:  
الله أكبر.. الله أكبر  
أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمداً رسول الله  
حي على الصلاة.. حي على الفلاح  
قد قامت الصلاة.. قد قامت الصلاة  
الله أكبر.. الله أكبر  
لا إله إلا الله..

فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ، فأخبرته بما رأيت.

فقال ﷺ: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن، فإنه أندى صوتاً منك»<sup>(١)</sup>.

وبذلك يجعل السنة لأمته في اختيار المؤذن هو حسن الصوت.

ونظراً لأن عذوبة الصوت تزيد القرآن والأذان جاذبية وجمالاً.. كان ﷺ يقول:  
«زينوا القرآن بأصواتكم»<sup>(٢)</sup> ويقول: «ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن»<sup>(٣)</sup> ولعذوبة صوت بلال فقد جعل الأذان من نصيبه رضي الله عنه.

(١) حديث صحيح. انظر صحيح أبي داود للإمام الألباني (٩٩/٩٨).

(٢) حديث صحيح. انظر صحيح الجامع الصغير للإمام الألباني.

(٣) حديث صحيح. انظر صحيح الجامع الصغير للإمام الألباني.

وها هو صوت بلال الذي ملأ شوارع مكة: أحد.. أحد.. هاهو عذباً كأنهار الحبشة.. حراً كطيورها.. ينساب في سماء المدينة يوقظ فجرها.. يوقظ شمسها، وينادي المهاجرين والأنصار، ويسحرهم بصوته.

يقول عبد الله بن زيد: (فقمتم مع بلال فجعلت ألقيه عليه، ويؤذن به، فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج يجرد رداءه ويقول: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد رأيت مثل ما رأى. فقال رسول الله ﷺ: «فله الحمد»<sup>(١)</sup>).

لا بد أن ابن الخطاب رضي الله عنه لم يحضر تلك الآراء والاقتراحات وإلا لتكلم بما رآه، فقد (كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوماً، ثم أخبر النبي ﷺ فقال له: ما منعك أن تخبرني. فقال: سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت)<sup>(٢)</sup>.

إذاً لا بوق.. لا راية.. لا أجراس. لكنه التوحيد.. حملة طيف جميل (عليه ثوبان أخضران)<sup>(٣)</sup>.

فرحة جديدة للمؤمنين، وتميز جديد. فرحة لعبد الله بن زيد، فرحة لعمر.. وصوت بلال يتدفق منعشاً في شوارع المدينة وسمائها، ولم يكن هناك مئذنة للمسجد، ولا منارة، ولكن:

## فرحة لامرأة من الأنصار

وشرف تتغنى به، وتتافس به تلك الأنصارية التي بنت المنبر لرسول الله ﷺ. امرأة من بني النجار جعلت من بيتها نبعاً للنداء الجديد.. جعلت من كل بيتها موضعاً لقدمي بلال وصوته.

تقول تلك المرأة الكريمة: (كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة، فيأتي بسحر، فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه

(١) هذا الحديث بقية حديث أبي داود (٩٩).

(٢) حديث صحيح. صحيح سنن أبي داود (٩٨).

(٣) جزء من حديث ابن إسحاق السابق.

تمطى<sup>(١)</sup>. ثم قال: اللهم أحمذك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك، ثم يؤذن. والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة. يعني هذه الكلمات<sup>(٢)</sup>.

وتصحو المدينة.. المدينة كلها على ذلك الصوت الندي، وتنتعش وتتوضأ. المدينة كلها.. إلا بيوتاً ترتج مفزوعة الجدران والقلوب.. شاخصة الأعين، فصوت بلال رصاص يخترق بيوت يهود، وجدران عبد الله بن سلول وأمثاله.

أما قريش فقد أدركت أن اليهود وأصحابهم من المشركين قد تورموا حقداً وترقباً، وقد حان الوقت لتفجير ذلك الورم في وجه محمد ﷺ ووجوه أصحابه. لقد حان تحويل حرات المدينة إلى أودية من الدماء والحروب، والثارات التي لا تنتهي. فجاءت شرارة تلك الحروب مغلفة برسالة مستفزة من قريش.. جاءت لتجعل من:

## المدينة حريقاً ومذابح

كانت تلك الشرارة حروفاً مشتعلة، رسالةً تتقد تهديداً ووعيداً. رسالةً تبشر بالمقابر. (كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي ومن كان يعبد معه الأوثان، من الأوس والخزرج - ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر - : إنكم أويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه، أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلكم، ونستبيح نساءكم.

فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي<sup>(٣)</sup> ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال النبي ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم، فقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ. ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم! تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم؟! فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا<sup>(٤)</sup> فتفرق الشر وهدأت الأنفاس،

(١) أي تمطى الفجر وامتد نوره في الأفق.

(٢) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ومن طريقه أبو داود (٥١٩): حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير عن امرأة من بني النجار: ابن إسحاق سمع شيخه الثقة الذي مرمعنا، وعروة غني عن التعريف والمرأة صحابية من الأنصار رضي الله عنها.

(٣) هو عبد الله بن أبي بن سلول وهو ما يزال على شركه مجاهراً معانداً...

(٤) حديث صحيح رواه أبو داود ٢ - ١٧١ حدثنا محمد بن داود بن سفيان ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: عن رجل من أصحاب النبي وقد رواه عبد الرزاق ٥ - ٢٥٨ وقد انقلب عنده اسم التابعي والصواب ما في أبي داود، فعبد الله بن عبد الرحمن لم يرو عن الصحابة والزهري ليس من شيوخه، والصواب ما في أبي داود، رغم ضعف شيخه. صححه الإمام الألباني في صحيح أبي داود.

وسكنت الأنفس المشحونة بالشر، وسلمت المدينة من حرب أهلية، ومعركة كادت تطحن أهلها وجدرانها .

كلماتٌ قليلة وهادئة أعادت السيوف إلى أغمادها .. أعادت العقول إلى رشدها، وخذلت قريشاً، وخذلت اليهود المتربصين خلف شقوق الأبواب، وتم الحفاظ على كيان الدولة الإسلامية الوليدة من حركة عسكرية كادت تعصف بأحلامها وشبابها، فالمدينة بحاجة إلى تلك الأحلام وإلى ذلك الشباب، وإلى قائد عظيم وحكيم فكيف بهذا النبي العظيم الحكيم ﷺ . ولم تكن يوماً من الأيام عطشى إلى تلك الدماء .. التي أدمنت سفحها أياد تمسحت بالجاهلية والأصنام، ولن تسفك قريش مهما حاولت أكثر مما سيسفكه أهل المدينة بأيدي بعضهم البعض .. الأوس يدركون ذلك جيداً، والخزرج ليسوا بأقل وعيا منهم بذلك، وخطوات قليلة إلى المقابر الجماعية لضحايا (بُعَاث) تذكرهم متى ما تسلل النسيان إليهم .

إذاً فقد هدأت الأنفس بعد يوم مشحون، ونامت المدينة كطفل على تلك العبارات الحانية كصدر أم حنون، وقدم النبي عليه السلام مفهومه للمواطنة في الدولة الإسلامية .

## مفهوم المواطنة في الدولة الإسلامية

خطاب النبي ﷺ لهؤلاء الوثنيين وعباد الأصنام كان خطاباً تصالحياً راقياً مع الكفار، فقد احتواهم في دولته، ولم يفرح بفرصة تصفيتهم والقضاء عليهم وإقصائهم وهو قادر على ذلك، فزعماءهم معه، ومعه أعداد غفيرة متوثبة من المهاجرين، لكنه لم يفعل ذلك، بل جعلهم ضمن النسيج الوطني في دولته، فهدأ ثورتهم، وطيب خواطرهم، وفرش لهم المدينة ورداً وربيعاً من الأمن والسلام والمصالحة، رغم أنهم على الشرك وعبادة الحطب والخشب والحجارة، ورغم أنه بعث لنشر التوحيد والدفاع عن نشره، ورغم أن زعماءهم أعطوه بيعتهم على الحرب والسلم، لكنه عليه السلام يقدم مثالا على التفريق بين أخوة الإسلام ومفهوم المواطنة، وأنه مع الفارق الشاسع بينهما، إلا أن لكل مفهوم حقوقه وحدوده، وأنه يحرم إضرار النار بين المفهومين .

حال عليه السلام بين أمن دولته وبين أعدائها، وقطع الطريق على من يريدون إثارة الفتنة، وإشعال الحرب الأهلية، فلا إكراه في الدين، ولكن هناك إكراه في المواطنة، فمن لم يرد الدين فله ذلك، ومن لم يرد الوطن فالأوطان كثيرة، لكنه سيظهر السيف في وجه كل من سيظهر سيفه في وجه الدين أو الوطن.

أشرقت الشمس من جديد على هذه المدينة الراقية، والدولة المتحضرة.. وأشرق الوعي بحمل تعليمات جادة وأعيناً أكثر اتساعاً على المستقبل والآفاق، فالمدينة.. المدينة وأهلها في خطر، وتوقعات أبي بكر الصديق ورؤيته الثاقبة بدأت تتشكل على أرض الواقع، ف:

## ماذا توقع أبو بكر؟

منذ أكثر من عام.. عندما أخرج من مكة مع رسول الله ﷺ في ذلك اليوم المرير، وقريش ثائرة الأنفاس مغبرة الأقدام والجياد.. تبحث عن محمد ﷺ وصاحبه وبقية أصحابه، في تلك الساعات الخائفة (لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن. فأنزل الله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾).

قال أبو بكر رضي الله عنه: فعرفت أنه سيكون قتال<sup>(١)</sup>.

وصدق أبو بكر، فتلك الرسالة شرارة، والمدينة أمست في خطر، والهشيم يحيط بها من كل ناحية، وفي قلوب المشركين واليهود يتكوم هشيم أخطر، ولا بد من الاحتراز والاحتياط.. لا بد من السلاح في جو مكفهر بالسلاح والشرك، فهب الصحابة رضوان الله عليهم ل:

## حراسة رسول الله ﷺ

ذات ليلة كانت عائشة إلى جانبه ﷺ، وكان السهر إلى جانبها أيضاً. فقلت عائشة رضي الله عنها، فما الذي حدث؟

(١) سنده صحيح. رواه الطبراني في تفسيره (١٦٠/٩) من طرق عن الأعمش عن مسلم البطيين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. ومسلم البطيين هو ابن عمران وهو ثقة من رجال الشيخين وشيخه إمام من أئمة التابعين ومجاهديهم... وهو على شرط الشيخين وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٧٩/٣).

تقول رضي الله عنها: (إن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه، فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟

قال ﷺ: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة».

فبينما أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح. فقال ﷺ: «من هذا؟» فقال: أنا سعد بن مالك.

فقال ﷺ: «ما جاء بك؟» قال: جئت لأحرسك يا رسول الله. قالت عائشة: فسمعت غطيظ رسول الله ﷺ في نومه<sup>(١)</sup> بعد أن تطوع سعد بن أبي وقاص لحراسته ﷺ.

لم يكن الخطر سهماً واحداً نحو رسول الله ﷺ، بل كان أسهماً ورماحاً منطلقة نحو كل مؤمن.. نحو كل أنصاري ومهاجر، ولا بد أن يكون الحذر دائماً. وفي رسول الله ﷺ أسوة حسنة لأتباعه لذلك صار:

## السلاح صباحاً.. السلاح مساءً

صحابي آخر اسمه (أبي بن كعب) يقول: (لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل؟<sup>(٢)</sup>).

سؤال يرتعش خوفاً من هذه الجموع التي اتجهت بخيلها ورجلها، ورماحها وأوثانها نحو مدينة التوحيد الوحيدة. سؤال مُثقل بحمل السلاح والخوف؟ فنزلت الإجابة وحيماً.. قرآنًا وبشرى.. نزل الوحي يحمل الأرض... كل الأرض، والدنيا.. كل الدنيا مشرعة الأبواب لمحمد ﷺ وأصحابه.

(١) حديث صحيح. رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ لأحمد ٦-١٤١.

(٢) سنده حسن. رواه الطبراني (مجمع البحرين ٦/٥٨) والبيهقي ٣-٦ واللفظ له: أحمد بن سعيد الدارمي ثنا علي بن الحسين بن واقد حدثنني أبي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي: أبو العالية تابعي ثقة وتلميذه حسن الحديث إذا لم يخالف التقريب ٢١٠ و ٢٠٥ والحسين ثقة من رجال مسلم وابنه حسن الحديث التقريب ١٦٩ وأحمد ثقة حافظ.

يقول أبي ابن كعب: (فنزلت: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

آيات تنزل بالأعياد والفتوح والبشرى.. أخذها الصحابة واستبشروا بها.. أخذوها كما يأخذون سلاحهم ليل نهار، فرسول الله ﷺ علمهم أن هناك فداءً، وأن هناك تضحيةً وهدفاً، والهدف لا يأتي لمترددٍ، أو جبانٍ أو خائفٍ. خاصةً في مثل هذه الظروف، فالؤامرة تطل كالوحش فوق رؤوس الجبال على حصن الإسلام الجديد، فلا بد من التحرك.. لا بد من عمل شيء يحمي المدينة ويعيد المظالم إلى أهلها، ويزيح ليل الأصنام الهائل عن عقول وقلوب البشرية وأجيالها، ولن يكون ذلك بالصلاة والدعاء والمعجزات وحدها.. لا بد من:

## نشاط عسكري

فلن يمكن الله عباده ما لم يقوموا بتحويل دنياهم إلى حركة تلهج ب(لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. محمد رسول الله وخاتم النبيين) بدءاً من أنفسهم، حتى تتسق وتتناغم مع حركة الكون كله.. المسيح بحمد ربه ليل نهار.

حمل الصحابة تلك البشرى وحملوا شروطها، فحولت ضعفهم قوةً، وخوفهم أمناً وثقة. فهاهو سعد بن معاذ يتجه إلى مكة الطاهرة.. كالتحدي يتفجر بين أصنام قريش وسيوفها.. ثقةً يتحدى، وثقةً يهدد، فيتحول صناديد وطواغيت قريش حوله إلى خراف ترتجف خوفاً، وتتصبب عرقاً.

(انطلق سعد بن معاذ معتمراً، فنزل على أمية بن خلف - أبي صفوان- وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد. فقال أمية لسعد: ألا انتظر، حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت طففت.

(١) المصدر السابق.

فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟  
فقال سعد: أنا سعد. فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة وقد آويتم محمداً وأصحابه؟  
فقال: نعم.

فتلاحيا بينهما.. فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنه سيد أهل  
الوادي. ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام<sup>(١)</sup>.  
فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك - وجعل يمسكه - فغضب سعد فقال:  
دعنا عنك، فإني سمعت محمد ﷺ يزعم أنه قاتلك. قال: إياي؟ قال: نعم. قال والله  
ما يكذب محمد إذا حدث<sup>(٢)</sup>.

أصيب أمية بالرعب والهلع بعد أن بشره سعد بالقتل. يحدثنا سعد عن ذلك فيقول:  
أنه (قال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد آويتم الصبأة<sup>(٣)</sup>، وزعمتم أنكم  
تتصرونهم وتعينونهم؟ أما والله لولا أنك مع أبي صفوان<sup>(٤)</sup> ما رجعت إلى أهلك سالماً.  
فقال له سعد - ورفع صوته عليه - أما والله لئن منعتني هذا، لأمنعك ما هو  
أشد عليك منه: طريقك على المدينة.

فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم - سيد أهل الوادي. فقال  
سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنهم قاتلوك» قال:  
بمكة؟ قال: لا أدري.

ففرع لذلك أمية فزعاً شديداً، فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم  
تري ما قاله لي سعد؟

قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي، فقلت له: بمكة؟  
قال: لا أدري. فقال أمية والله لا أخرج من مكة<sup>(٥)</sup>.

---

(١) طريق تجارة قريش إلى الشام وهو يمر بالمدينة أو قريبا.  
(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٢٦٢٢).  
(٣) يقصد المهاجرين الذين تركوا دين آبائهم وأجدادهم.  
(٤) أبو صفوان هو أمية بن خلف.  
(٥) حديث صحيح. رواه البخاري (٢٩٥٠) (ص ٨١٢).

لقد شلت كلمات سعد الواثقة بالله وبرسوله ﷺ.. شلت هذا الطاغية، فأمسى لا يرى سوى الموت يتربص له في منافذ مكة.. لقد جعل خوفه الأرض.. كل الأرض قبراً يحاصره، ويحاصر مكة معه. أما ذلك الشاب المهاب سعد بن معاذ، فعاد إلى حبيبه ﷺ وهو أكثر قوة و يقيناً.. عاد ليجد المدينة غير المدينة.. عاد لينقل ما رآه وما سمعه من خوف يملأ طفاة مكة، عندما هددهم بقطع طرق قوافلهم إلى الشام، وهي شرايينهم وأوردتهم. عاد لينفذ تهديده، فقد منعه أبو جهل، وعلى أبي جهل أن يتحمل ثمن تهوره وجاهليته الحمقاء. أما رسول الله ﷺ فكان أسبق من سعد إلى هذا التفكير، لقد قرر ﷺ أن يجعل للمدينة قوتها التي تُشعر الآخرين بمنعتها، وتشعر قريشاً خاصة.. أن هذا الدين الجديد صار خطراً يهدد صلف وتسلط شركها، ودروب قوافلها، بل ومكانتها بين العرب، عندما قصد هاب:

### غزوة العُشيرة

وهي أول غزوة بدأها ﷺ وقادها<sup>(١)</sup>، وليس لدينا تفاصيل صحيحة عن أحداثها، والعُشيرة قرب ينبع.. على طريق قوافل قريش، وهي أول تهديد عملي لقريش وقوافلها التي سلبت المهاجرين كل أموالهم، ووصف الله معاناتهم بأنهم المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم. كما غزا ﷺ:

### غزوة الأبواء

ليس لدينا تفاصيل موثقة عنها، ولكن وقوعها ثابت في مكان يقال له الأبواء بين مكة والمدينة، ذلك المكان الذي وقفت فيه المطايا بمحمد ﷺ وهو طفل صغير، وقفت

(١) ورد أن الأبواء هي أول غزوة لرسول الله ﷺ لكن هذا غير صحيح، فالرواية في ذلك ضعيفة رواها كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده.. وكثير هذا ضعيف. وهناك رواية أخرى عن عروة وقد وصلها ابن عائد لكنها من طريق ابن لهيعة.. وليس فيها أن الأبواء أول غزوة بل إن سعداً، أول من رمى سهماً في سبيل الله، وهذا صحيح ولكنه ليس دليلاً على أن الأبواء أول الغزوات لأن العُشيرة -عند المؤرخين - لم يحدث فيها قتال ولم يرم بها بالسهم. أما كون سعد أول من رمى بسهم فقد جاء على لسانه هو ولم يذكر رضي الله عنه متى كان ذلك والرواية عند الشيخين وستمر معنا.

فيه المطايا تودع أمه التي فقدتها هناك وغابت عن عينيه وعن الدنيا حيث دفنت هناك. ذلك المكان الذي أبكاه ﷺ كان موعداً لغزوة لا نعرف أحداثها الصحيحة بعد، لكنها موجهة لقريش التي بدأت التهديد، وهي نوع من الاستطلاع العسكري بالقوة، لرصد تحركات العدو وخطره، أكسبت الصحابة خبرة جديدة في الكشف عن طبيعة الأرض والأعداء المحيطين بدولة الإسلام الجديدة.

كانت تلميحاً لمن تسول له نفسه غزو المدينة والغدر بأهلها، فأزعجت تلك التحركات قريشاً، لكن رسول الله ﷺ كان يعد لهم مفاجأة.. سرية بقيادة صحابي عظيم هو أبو عبيدة، والذي حاز لقباً عظيماً فيما بعد هو: أمين الأمة. فما قصة تلك السرية:

### سرية نخلة

(بعث ﷺ رهطاً، فبعث عليهم أبا عبيدة، فلما أخذ لينطلق بكى صباية إلى رسول الله ﷺ، فبعث رجلاً مكانه يقال له: عبد الله ابن جحش)<sup>(١)</sup>.

حرارة الشوق أبكت أبا عبيدة، وحبه لملازمة رسول الله ﷺ جعلت رسول الله ﷺ يشفق عليه ويبقيه جواره، ليعين قائداً عظيماً. ف (بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش في رجب، [مقفلة من بدر الأولى] وبعث معه بثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره، ولا يستكره من أصحابه أحداً. وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين:

من بني عبد شمس: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة.

ومن بني أمية بن عبد شمس ثم من حلفائهم: عبد الله بن جحش بن رئاب - وهو أمير القوم- [وعكاشة بن محصن بن حرثان أحد بني أسد بن خزيمة].

(١) سننه قوي.. رواه الطبري ٤-٣٠٧ وابن أبي حاتم ٢٠٦٤: وغيرهما من طرق عن معتمر بن سليمان عن أبيه، حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله. أبو السوار العدوي تابعي ثقة واسمه حسان بن حريث التقريب ٦٤٦. وتلميذه الحضرمي حق لا بأس به التقريب ١٧١ أما معتمر ووالده فتقتان معروفان.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان، حليف لهم.

ومن بني زهرة بن كلاب: سعد بن أبي وقاص.

ومن بني عدي بن كعب: عامر بن ربيعة - حليف لهم - وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة [وخالد ابن البكير - أحد بني سعد بن ليث، حليف لهم].

ومن بني الحارث بن فهر: سهل بن بيضاء.

فلما سار عبد الله بن جحش يومين، فتح الكتاب ونظر فيه فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فسر حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم.

فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب: قال سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة فأرصد بها قريشاً حتى آتية منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم. فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق، ومن كره ذلك فليرجع. فأما أنا، فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ. (فرجع رجلاً ومضى بقيتهم)<sup>(١)</sup>.

فمضى ومضى معه أصحابه، فلم يتخلف عنه منهم أحد، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له: (بُحران) أضل سعد ابن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيداً لهما كانا عليه يعتقانه، فتخلفا عليه في طلبه، ومضى عبد الله بن جحش وبقيّة أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زيباً وأدماً وتجارة، من تجارة قريش فيها منهم:

عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم.

(١) هذه العبارة ليست في السياق بل هي جزء من الحديث الصحيح السابق. وفي السياق سبب رجوع هذين الصحابيّن... وهو أنّهما فقدوا بعيرهما.

فأشرف لهم عكاشة بن محصن - وقد كان حلق رأسه - فلما رأوه آمنوه، وقالوا: عُمَار، فلا بأس علينا منهم.

وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من جمادى، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم، فليمتنعن به منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام.

فتردد القوم فهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، [وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم] وقدم عبد الله بن جحش وأصحابه بالغير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة.

[وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش: أن عبد الله بن جحش قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ ما غنمتم الخمس، وذلك قبل أن يفرض الخمس من الغنائم، فعزل لرسول الله ﷺ خمس العير، وقسم سائرهما على أصحابه]، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام». فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً.

فلما قال رسول الله ﷺ ذلك سُقط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم المسلمون فيما صنعوا وقالوا لهم: صنعتم ما لم تؤمروا به، وقاتلتم في الشهر الحرام، ولم تؤمروا بقتال].

وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، فسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في جمادى.

[وقالت يهود تنفءل بذلك على رسول الله ﷺ: عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب، واقد بن عبد الله وقدت الحرب. فجعل الله عليهم ذلك وبهم] فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله عز وجل على

رسوله ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرًا بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾.

فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين<sup>(١)</sup>. وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي طعن أبو جهل أمه واغتال أباه ضمن تلك السرية.

يحدثنا عن ذلك ابن مسعود وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم فيقولون في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ...﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم: عبد الله بن جحش وفيهم: عمار بن ياسر، وأبو حذيفة بن عتبة، وسعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان، وسهل بن بيضاء، وعامر بن فهيرة، وواقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب.

وكتب لابن جحش كتاباً، وأمره ألا يقرأه حتى ينزل (بطن ملل)، فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فإذا فيه:

أَنْ سِرُّ حَتَّى تَنْزِلَ بَطْنَ نَخْلَةٍ. فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْمَوْتَ فَلْيَمِضْ وَلْيُيُوصِ، فَإِنِّي مُوَضِّعٌ وَمَا ضِ لَأَمْرٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فسار، وتخلف عنه سعد وعتبة أضلا راحلة لهما، فأقاما يطلبانها، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة، فإذا هو بالحكم بن كيسان، والمغيرة بن عثمان، وعبد الله بن المغيرة.

(١) حديث صحيح عدا ما بين المعقوفين.. رواه الطبري تفسير (٣٦٠/٢) واللفظ له والبيهقي في الدلائل (١٨-١٧/٢) عن عمرو مرسلاً وهو صحيح إلى عمرو لكن لم يذكر شيخه من الصحابة... والحديث له شاهد عند الطبراني (١٧٤/٢) وابن أبي حاتم (سيرة ابن كثير ٣٧٠/٢) من طريق معتمر بن سليمان عن أبيه: حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله: عن النبي ﷺ أنه بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح... كما رواه الطبري في التفسير (٣٦٢/٢) وأبهم الحضرمي فقال: إنه حدثه رجل عن أبي السوار وقال الهيثمي في المجمع (١٩٨/٦)/ رجاله ثقات... وله شواهد كثيرة عند الطبري (٣٦٣/٢) عن ابن عباس... وأبي مالك الغفاري.. وعن الزهري وعثمان الجزري ومقسم مولى ابن عباس... أما ما بين معقوفين مثل تصرف ابن جحش في الغنائم وقول يهود فهو مرسل... والحديث يشهد له ما بعده.

فذكر قتل واقد لعمر بن الحضرمي، ورجعوا بالغنيمة والأسيرين، فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون، وقال المشركون: إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله، وهو أول من استحل الشهر الحرام، وقتل صاحبنا في رجب. وقال المسلمون: إنما قتلناه في جمادى<sup>(١)</sup>.

وسواء قتل ذلك المشرك في جمادى، أو في رجب، فرسول الله ﷺ لم يأمر بذلك. إنما هي حماسة المهاجرين المقهورين، المطرودين من ديارهم وأموالهم، ولا ذنب لهم سوى أن يقولوا: لا إله إلا الله. لم يتمالكوا أنفسهم - وهم بشر - عندما رأوا أموالهم التي غصبتها قريش واغتصبتها.. تسيل أمامهم تجارة تنمو بين أيدي المشركين، وهم الحفاة الذين تشقت أقدامهم من العوز والفقر، وأضناهم الجوع والتعب.. إنك تبحث بين هؤلاء الرفقة.. تسألهم أين سعد بن أبي وقاص؟ أين عتبة بن غزوان؟ ألم ينطلقا معكم من المدينة؟..

فتأتيك الإجابة حسرةً: لقد انطلق سعد وعتبة وسارا مع السرية، لكن على جمل واحد جاء.. يركب أحدهما، وينزل الآخر. ويركب الآخر فترة ليمشي صاحبه. أما الآن فلا جمل لهما، لقد ند وهرب وهما يركضان على أقدامهما المتشققة خلفه.

يذرعان بطون الأودية والشعاب، ولا أحد غير الله يعلم ما سيحدث لهما.

ما موقف الإنسان.. أي إنسان يرى أموال سارقه وقاتل أمه وأبيه أمام عينيه بينما هو يأكل ورق الشجر من الفقر؟

ما موقف الإنسان.. أي إنسان حافي القدمين يبحث عن جمل، ثم يرى جماله المسلوب منه تتقاطر بالمال، بينما تتقاطر قدماه بالدماء؟ ما شعور سعد المشرى الفقير الذي يصف الأجواء التي عاشها في مثل تلك المهمات الصعبة فيقول: (إني لأول العرب

---

(١) سننه قوي. رواه السدي (تفسيره ابن كثير ٢/٣٧٠) عن أبي صالح عن ابن عباس وهذا ضعيف من أجل أبي صالح وهو (بإدام) لكن السدي رواه من طريق أصح عن مرة عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة، ومرة بن شراحيل تابعي كبير ثقة. وهو صحيح بما قبله.

رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ما له خلط<sup>(١)</sup>.

إن رجلاً لا يجد سوى ورق الشجر لمعذور أن يذهب ما يسد به رمقه، ويدفع به الموت عن نفسه، فكيف إذا كانت تلك الأموال أمواله وأموال أصحابه المسلوبة.

وبعد هذا كله لا يعذرهم عليه السلام، وينتظر حكم الوحي فيهم، فيتنزل العذر من فوق سبع سماوات انتصاراً من الله لعباده، وتبرئة لساحتهم البيضاء من تهم أهل الشرك، الذين ارتكبوا الفظائع والشنائع بحق الله أولاً، ثم بحق رسوله ﷺ وصحابته الكرام. عاد الصحابة نصراً وبراءة.. عادوا ليجدوا في المدينة خيراً.. ليجدوا في وجه رسول الله ﷺ فرحاً، وفي وجوه يهود كدراً وظلمة. لقد فقدت يهود شيئاً عظيماً، وانقطع آخر الحبال بينهما.

اليهودُ حداد.. اليهود سواد، بعد أن طرقت ذلك الخبر أبواب حصونهم المنيعَة وآذانهم المسدودة.

### فما هذا الخبر؟

هذا الخبر هدية قادمة من السماء.. كان في الماضي شوقاً، وكان أمنية تتردد في صدره ﷺ مذ كان في مكة.. مذ كان يخسر ساجداً لله في بيته المحرم.. متجهاً بقلبه نحو الله.. مستقبلاً الشام.. حيث المسجد الأقصى، لكنه كان يقوم بحركة تعبر عن ذلك الحلم الذي لا يستطيع الإفضاء به. كان ﷺ يجعل الكعبة أمام وجهه، بحيث تكون بينه وبين المسجد الأقصى. لكن ماذا عنه الآن؟

إنه ما زال ينفذ أمر ربه، فيستقبل المسجد الأقصى، أما الكعبة.. أما حبيبته الحزينة التي نشأ بالقرب منها، وأحبها ووضع حجرها، فالجاهلية بينهما.. حبيبته بعيدة.. لا يستطيع رؤيتها، ولا الحديث إليها، ولا تحسس ثيابها، ولا حتى استقبالها.

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٧٢٨).

إنها هناك أسيرة.. وهو هاهنا مشتاق.. يتقلب وجهه في السماء، ويطوف طرفه في أرجائها (كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله: ﴿ قَدْ زَرَى نَقْلُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ ﴾) (١).

إذاً فالقبلة تحولت من بيت المقدس إلى البيت الحرام بمكة المكرمة، لكن متى كان ذلك..؟ وما علاقة اليهود بالقبلة واتجاه المسلمين في صلاتهم؟ وماذا حدث عند سماع الخبر؟

أما متى؟ فخبير ذلك عند طفل عذب اسمه (البراء بن عازب) حيث يقول: (إن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها: صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه ﷺ، فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة.

فداروا كما هم قبل البيت) (٢) أي اتجهوا نحو الكعبة، منفذين.. ممتثلين دون تردد، فالأمر وحي.

لكن إذا كان هناك تساؤل فهل هو اعتراض أو احتجاج كاحتجاج يهود؟ المؤمنون أرقى من ذلك، إن لهم قلوباً رقيقة ومشاعر طيبة، وأدباً جماً. كان تسألهم رحمة وشفقة بإخوانٍ لهم ماتوا ولم يصلوا تجاه المسجد الحرام. البراء ينقل تلك المشاعر فيقول: (فقال رجال من المسلمين: وددنا لو علمنا علم من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة، وكيف بصلاتنا نحو بيت المقدس؟) (٣).

(١) سننده صحيح. رواه ابن إسحاق (تفسير ابن كثير، البقرة ١٤٣): حدثني إسماعيل ابن أبي خالد، عن أبي

إسحاق، عن البراء. وشيخ ابن إسحاق وشيخ شيخه تابعيان ثقتان ثبتان.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠).

(٣) حديث صحيح. وهو جزء من حديث ابن إسحاق السابق.

بل إن البراء رضي الله عنه كان أحد المتسائلين. هو نفسه يقول: (وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالاً قتلوا، لم ندر ما نقول فيهم؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> وهو أرحم من أن يخذل من قصده، وأناخ رحله وقلبه ببابه. ولعل تلك التساؤلات بدأت بعيد الصلاة، حيث بدت المدينة مشغولة بهذا الحدث الكبير، فتأخر وصول الخبر إلى أهل قباء ومسجد قباء، ف (بينما الناس بقاء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليهم الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة. فاستقبلوها. وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة)<sup>(٢)</sup>. كما استدار أصحابهم في المدينة.. كما امتثل إخوانهم هناك خلف رسول الله ﷺ. أما اليهود فقد استدارت قلوبهم ودروبهم عن الله، وعن رسوله ﷺ، وعن قبلته الجديدة، وتطايرت من حصونهم وألستهم ألفاظ الاستهجان والاحتجاج.

ها هم يجوبون شوارع المدينة، في سفاهة وسماجة يقولون: (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟! فأنزل الله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ قَوْلًا بَاطِلًا لَّعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

لله المشرق والمغرب ولا شيء لاليهود، والأمر وحي، واليهود حاربوا الوحي، وقتلوا حملة الوحي من الأنبياء، فكيف لا يحاربون وحياً نزل على غيرهم؟ ونبياً ليس من بينهم؟ واكتملت الآيات، فتلاها رسول الله ﷺ وتلاها أصحابه، ومن بعدهم سيتلونها.. سيتلونها هكذا: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ<sup>(٤)</sup> مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ قَوْلًا بَاطِلًا لَّعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٥)</sup> . وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠).

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠٣) ومسلم من حديث ابن عمر (المسجد ١٢).

(٣) سنده صحيح. وهو جزء من حديث ابن إسحاق السابق.

(٤) أي اليهود.

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٦﴾ قَدْ رَزَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ (١) الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَيْتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٥٠﴾ وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ كُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥١﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٢﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَنَّيْ عَلَى كُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٣﴾ .. يهتدون إلى ما أعرضت عنه اليهود، وضل عنه النصارى. كانت تلك الأحداث بعد منتصف شهر رجب من السنة الثانية من الهجرة، وبعد عودة سَرِيَّة عبد الله بن جحش، حدثنا بذلك سعد بن أبي وقاص.. ربما بعد أن وجد بغيره.

يقول رضي الله عنه: (صلى رسول الله ﷺ ست عشر شهراً، ثم حول بعد ذلك قبل المسجد الحرام قبل بدر بشهرين)<sup>(٤)</sup>.

إذا فالنخل الذي كان في قبلة المسجد أصبح في خلفية المسجد، وبما أن المسجد كان (مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل) فبالتأكيد تكون خلفيته كلها

(١) أي باتجاه المسجد الحرام.

(٢) أي اليهود.

(٣) سورة البقرة: الآيات ١٤٢-١٥٠.

(٤) سنده صحيح رواه البيهقي ٢-٥٧٢: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبد الجبار،

حدثنا ابن فضيل، عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب: سمعت سعد . سعيد إمام التابعين وتلميذه

تابعي ثقة التهذيب ١١-٢٢١ ومحمد بن فضيل بن غزوان ثقة ثبت ٥٠٢ وسماع تلميذه للسيرة صحيح،

وأبو العباس الأصم ثقة ثبت.

مسقوفةً، وبناء جدار في قبلته السابقة أو أحد زواياها، قد يفي بحاجة ماسة.. فهناك أمر يحطم القلب، وتدمع له العين.. هناك حاجة ملحة تطل من منافذ المدينة كل يوم، حيث يتهاذى إلى المدينة مهاجر أو مهاجرون. بعضهم ضاق بقومه، والبعض ضاق به قومه وضيقوا عليه، وسلبوا كل شيء لديه، أو دفع كل شيء ثمناً لهروب جميل أو هجرة أجمل. دون مال يأتون.. البعض حفاة، وبعضهم أشباه عراة، وأحضان المدينة والأنصار مفتوحة لهم، وهذه الدولة الصغيرة تستقبلهم وتحميهم، لكن بيوت الأنصار قد امتلأت، والهاريون والمطاردون قد كثروا.

نظر ﷺ إليهم.. تأملهم.. تأمل أبيات الأنصار الممتلئة، وتأمل فقره وفقرهم.. نظر ﷺ إلى مسجده، فجعله دار من ليس له دار، ومأوى من ليس له مأوى، فبنى ذلك الجدار في آخر المسجد<sup>(١)</sup>، فأصبحت حجرة (صفة) متواضعة.

تدافع القادمون إليها، وعاش في تلك الصفة رجال يمسي الفقر معهم حيث أمسوا.. يبيت معهم، ويصبح كظلمهم، يأكل ولا يأكلون، ويشرب ولا يشربون.. عاشوا فيها أياماً ليست كالأيام، وميزهم الفقر بلقب كالفقر هو:

## أهل الصفة

رجال فضلوا جوار رسول الله ﷺ رغم العوز على أن يعيشوا عيشةً أيسر بجوار طاغية أو صنم.. يصفهم أحد الصحابة فيقول: (أهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال)<sup>(٢)</sup>.

ويقول أحد الذين شاهدوهم: (كان أصحاب الصفة الفقراء)<sup>(٣)</sup> لا يملكون شيئاً.. غرباء لا يعرفون أحداً. هذا هو أحد الفقراء.. أحد الذين عاشوا تلك المعاناة، ودلفوا إلى تلك الصفة الجميلة.. غريب اسمه (طلحة بن عمرو) رضي الله عنه يقول: (كان

(١) لا أعرف تحديداً صحيحاً لموقع الصفة وإلا لذكرته وذكرت إسناده.

(٢) متفق عليه.. انظر البخاري (٦٤٥٢) وهو حديث طويل وما ذكرته جزء منه.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٤٠).

الرجل إذا قدم على النبي ﷺ وكان له بالمدينة عريف نزل عليه، وإذا لم يكن له عريف نزل مع أصحاب الصفة. وكنت فيمن نزل الصفة<sup>(١)</sup>.

لكن ماذا عن شعور رسول الله ﷺ نحو هؤلاء الضعفاء بعد أن بنى لهم تلك الصفة؟ هل تخلى عنهم؟

بواصل طلحة حديثه فيقول: (وكنت فيمن نزل الصفة، فوافقت رجلاً، وكان يجري علينا من رسول الله ﷺ كل يوم مد من تمر بين رجلين)<sup>(٢)</sup> لأن رسول الله ﷺ لا يجد لهم أكثر من مدٍ للثنتين معاً.. نصف مدٍ يملأ الكف الواحدة.. هو طعام الرجل الواحد من أهل الصفة.. من الليل إلى الليل.. ليومه وليلته، وقد يأكل الرجل منهم، وقد يأكلون جميعاً بينما رسول الله ﷺ لا يجد ما يأكله، وقد لا يجدون ولا يجد رسول الله ﷺ ما يأكله.

يقول أحد الصحابة: (أهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال. إذا أتته ﷺ صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها وأشركهم فيها)<sup>(٣)</sup>.

إذاً فنصف المد لم يكن متوفراً يومياً، بل ربما مر يوم أو يومان والانتظار يحرق أهل الصفة.. ينظر بعضهم إلى بعض، وينظرون إلى باب الصفة.. إلى باب المسجد.. إلى باب رسول الله ﷺ يبحثون عن لقمة.. عن نصف لقمة.. عن أي شيء يسد جوعهم، فلا يجدون سوى الجوع طعاماً وشراباً، ويخرج رسول الله ﷺ من بيته، فتتعلق أعينهم به، ويحدقون ببديه فيجدونها خالية كبطونهم. فيدركون أنه ما من طعام.

يقول أحدهم: (الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع)<sup>(٤)</sup> مثل هذا الجائع.. كيف سيصلي وقد حان وقت الصلاة؟!

(١) سنده صحيح رواه أحمد ٢-٢٨٧ وأبو نعيم ١-٣٢٩ واللفظ له من طريق: داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن طلحة بن عمرو. داود ثقة متقن وشيخه تابعي ثقة قيل اسمه محجن أو عطاء التقریب ٢٠٠ و٦٣٢ وطلحة صحابي رضي الله عنه.

(٢) إسناده صحيح. رواه أحمد (٢/٢٨٧) وهو الحديث السابق.

(٣) متفق عليه قال أبو نعيم (١/٣٢٩).

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري (٦٤٥٢).

ها هو ﷺ يدخل المسجد فتقام الصلاة، ويقوم أهل الصفة خلف رسول الله ﷺ للصلاة، وبعضهم يترنح من الهزال والجوع، فيصطفون بين إخوانهم المصلين، ويكبر ﷺ، فيكبرون. وفي لحظات الخشوع الهادئة مع الله.. يسمع المصلون دويًا وارتطاماً بين الصفوف، ويسمع رسول الله ﷺ خلفه حركةً وأنياناً، وتخفق القلوب القريبة من الحدث، ويتألم الجميع بعد انقضاء الصلاة، وينهض عليه السلام بنفسه، فما الذي حدث؟

هذا هو فضالة بن عبيد الأنصاري.. أحد الصحابة.. كان يصلي خلف رسول الله ﷺ..  
سألناه:

### ماذا حدث يا فضالة

فيجيب فضالة وهو عالم من الشعور والألم فيقول: (كان رسول الله ﷺ إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم لما بهم من الخصاصة<sup>(١)</sup> وهم أصحاب الصفة، حتى يقول الأعراب: إن هؤلاء مجانين. فإذا قضى رسول الله ﷺ صلاته انصرف إليهم فيقول: لو تعلمون ما لكم عند الله، لأحببتم أنكم تزدادون حاجة وفاقة<sup>(٢)</sup>).

قال فضالة: فأنا مع رسول الله ﷺ يومئذ<sup>(٣)</sup> حيث كان يواسيهم، ويدفع عنهم ما يؤلمهم بشيء يهون معه الجوع، وتحلو معه المعاناة.. يعزيهم بشيء يحول الموت وما بعده إلى أمنية وحلم لا حدود له. ومع هذا العزاء وهذه المواساة كان ﷺ يتألم لتألمهم، ويتألم مثل ألمهم.

تقول حبيبتة عائشة رضي الله عنها: (كان ﷺ إذا دخل قال: هل عندكم طعام؟ فإذا قيل: لا. قال: إني صائم)<sup>(٤)</sup>.

(١) الجوع.

(٢) الفقر والحاجة.

(٣) سنده صحيح. رواه أبو نعيم في الحلية (١٧/٢) من طريق حيوة وابن وهب عن ابن هانئ أن أبا علي الجنبي حدثه أنه سمع فضالة بن عبيد. أبو هانئ: حميد بن هانئ الخولاني ثقة التهذيب ٣-٥١) وشيخه عمرو بن مالك الهمداني تابعي ثقة أيضاً التهذيب ٨-٩٥.

(٤) صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع الصغير ١-٨٦٠.

لقد تحول الجوع إلى عبادة، وتحول الأكل عبادة..

قال ﷺ مبشراً إخوانه الموسرين: (الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر)<sup>(١)</sup>.

ويقول ﷺ مندهشاً ومبشراً: (عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)<sup>(٢)</sup> (عجبت للمؤمن إن الله تعالى لم يقض له قضاءً إلا كان خيراً له)<sup>(٣)</sup>.

يقول ﷺ ذلك، وهو يتمنى لو يدفع عنهم هذا الفقر وهذا الهزال، لكنه لا يجد، فقد كانت تمر به أوقات لا يملك فيها سوى المواساة.. يستمع إلى الشكوى تلو الشكوى، في أجواء من الحرية والفاقة. ها هو (طلحة بن عمرو) أحد أهل الصفة.. يروي لنا حواراً جرى بعد إحدى الصلوات بين رسول الله ﷺ وبين أحد الفقراء، فيقول: (كان يجري علينا من رسول الله ﷺ كل يوم مد من تمر بين رجلين، فسلم ﷺ ذات يوم من الصلاة، فناده رجلٌ منا فقال: يا رسول الله، قد أحرق التمر بطوننا، وتخرقت عنا الخنف.

فمال رسول الله ﷺ إلى منبره فصعده، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ما لقي هو وأبو بكر الصديق عليه السلام من قومهما، فقال: مكثت أنا وصاحبي بضعة عشر ليلة ما لنا طعام إلا البرير، فقدمنا على إخواننا من الأنصار وعظم طعامهم التمر، فواسونا فيه. فوالله لو أجد لكم الخبز واللحم لأطعمتكم، ولكن تدركون زماناً - أو من أدركهم منكم - تلبسون فيه مثل أستار الكعبة، ويغدى<sup>(٤)</sup> عليكم ويراح<sup>(٥)</sup> بالجفان)<sup>(٦)</sup>.

(١) صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع الصغير ١-٧٣١.

(٢) صحيح مسلم ٤-٢٢٩٥.

(٣) صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢-٨٢٨.

(٤) يقدم لكم في الصباح.

(٥) يقدم لكم في المساء.

(٦) سنده صحيح. رواه أبو نعيم (٢٧٤/١) من طريقين: عن داود بن أبي هند، عن أبي حرب ابن أبي الأسود الدؤلي عن طلحة بن عمرو ورواه أحمد من الطريق نفسه وقد مر معنا.

فرح أهل الصفة بهذا الوعد الصادق، وتأثروا لما تعرض له رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق من أذى ومعاناة، حيث يمر معظم الشهر ليس عندهما ما يأكلانه سوى ثمر الأراك، فما تعرض له أهل الصفة شديد، ولكن ما تعرض له رسول الله ﷺ وصاحبه كان أقسى وأشد.

ينصرف أهل الصفة إلى صفتهم، وقد طوَاهم الجوع والرضى والاحتساب، وانتظار الفرج. ولم يكن ﷺ يواسيهم بالماضي أو بالمستقبل فقط، بل كان إذا اشتدت حاجتهم يتحرك، ويحرك المدينة كلها من حولهم.

يقول أحد أبناء أبي بكر الصديق: (إن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء، وإن رسول الله ﷺ قال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، بسادس»، وأن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة<sup>(١)</sup>).

مأساة هم أهل الصفة وارتحال وقصص باكية.. تنصت لها الأجيال بإجلال، فهذا أحدهم: (قرة بن إياس) يقص لابنه ما جرى لهم مع رسول الله ﷺ، وكان اسم ابنه معاوية. معاوية ينصت لأبيه وهو يقول: (لقد عمرنا مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام إلا الأسودان. ثم هل تدري ما الأسودان؟ قال معاوية: لا. قال: التمر والماء)<sup>(٢)</sup> هذا هو الطعام وهذا هو الشراب فما هي:

## ملايسكم يا أهل الصفة

لو شاهدتهم لبكيت، ولاستحيوا منك وأنت تنظر إليهم، وتنظر إلى تلك الأشياء التي ألقوها على أجسادهم.. يسمونها ملابس! وما هي بملايس. إنها أسمال مهلهلة بالية.. باكية.

(١) متفق عليه قاله أبو نعيم ورواه في الحلية (١/٣٢٨).

(٢) سنده صحيح. رواه أبو نعيم في الحلية ٢-٢٢-٢٣ من طريق روح بن عباد. ورواه جعفر بن سليمان، قال: حدثنا بسطام بن مسلم عن معاوية بن مرة قال: قال أبي. وروح وجعفر ثقتان، وشيخهما ثقة من رجال التقريب، وشيخه تابعي ثقة التقريب ٥٣٨.

لو استمعت إليهم وهم يستغيثون: (يا رسول الله قد أحرق التمر بطوننا، وتخرقت  
عنا الخنف)<sup>(١)</sup> الكتانية الغليظة الرديئة.

من يصدق أنه (كان من أهل الصفة سبعون رجلاً ليس لواحدٍ منهم رداء)<sup>(٢)</sup>.  
والرداء كالعباءة.

لقد كان ذلك.. رأهم رسول الله ﷺ، ورأهم أحد الصحابة، فنقل للجميع ما رآه  
وقال: (رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب، فمنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من  
هو أسفل من ذلك، فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته)<sup>(٣)</sup> فهو لا يملك  
غيره، ولا يملك ثمن سراويل أو ملابس داخلية تستر عورته.

وفي تفصيل آخر يقول: (رأيت سبعين من أصحاب الصفة، ما منهم رجل عليه  
رداء: إما إزار، وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها  
ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته)<sup>(٤)</sup>.

إن من يطلع على تلك المآسي التي تلوى منها أولئك الفقراء العظماء، ليظن أنهم  
مجرد فقراء مساكين.. جاءوا يبحثون عن الطعام والشراب والمأوى، وهم - والله - ما  
قدموا من أجل لقمة أو رغيف، ولم يتسللوا من أجل صُفة متواضعة.. إذا ضربها  
المطر ساعة أمطرت عليهم ساعات، وابتلت ثيابهم وجنوبهم وظهورهم، والأرض التي  
يتوسدونها. إن هؤلاء العظماء قد فروا من العيش الرغيد، وتركوا الأهل والأموال  
والعشيرة، وربما الخدم.. تركوا الدنيا بكل زخارفها، لأنها كانت تركز إلى صنم.. لأنها  
كانت تلوذ بغير الله. قرأوا القرآن فاكتشفوا التوحيد، فأعاد خلق تصوراتهم وأفكارهم  
ورؤيتهم للكون والحياة من جديد، فاتجهوا بكليتهم.. بعواطفهم ومهجم وعقولهم إلى

(١) مر معنا وهو صحيح.

(٢) سنده قوي. رواه أبو نعيم. الحلية ١-٣٣٩ حدثنا محمد بن محمد بن إسحاق حدثنا زكريا الساجي حدثنا  
أحمد بن عبد الرحمن حدثنا عمي عبد الله بن وهب، عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة.  
وشيخ أبي نعيم هو أبو أحمد الحاكم حافظ عصره (طبقات الحفاظ ٣٢٨) وشيخه ابن يحيى ثقة فقيه  
من رجال التقريب وأحمد صدوق من رجال مسلم، وعمه ثقة معروف، وابن غزوان ثقة التهذيب ٨-٢٩٧  
وأبو حازم الأشجعي تابعي ثقة التقريب ٢٤٦.

(٣) رواه أبو نعيم (٣٤١/١) من طريق الإمام أحمد بسند قوي وانظر ما بعده فهو هو...

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٤٢).

الله سبحانه وتعالى، وتسئلوا والناس نيام إلى صفة لا تقي من البرد، ولا من الجوع. لكنها بالتأكيد صفة تستدفئ بمسجد رسول الله ﷺ، وبقرب رسول الله ﷺ.. يعمرها القرآن، ويزينها الإيمان.

تمر بها عائشة رضي الله عنها ذات ليلة وهي في طريقها إلى بيتها، فتقف خلف جدارها مأسورة مأخوذة. فتبطئ الخطا، وتبطئ على زوجها رسول الله ﷺ. ثم تعود، وعندما تصل يسألها رسول الله ﷺ: (أين كنت؟ قلت: يا رسول الله سمعت قراءة رجل في المسجد، ما سمعت مثله قط.

فقام رسول الله ﷺ وتبعته. فقال لي: ما تدرين من هذا؟

قلت: لا. قال: هذا سالم مولى أبي حذيفة.

ثم قال: الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا<sup>(١)</sup>.

سالم هذا عبد فقير صغير السن.. لكن النبي ﷺ يفخر به.. يبتهج به، ويشكر الله سبحانه أن وهب هذه الأمة مثله.

إن أمة تفخر بالموالي والعبيد كما تفخر بالأشراف، لأمة عظيمة. وإن ديناً يتساوى فيه البشر، ليستحق الخلافة في الأرض.. كل الأرض، ويستحق أن تنقطع الأعناق في الصحاري والقفار بحثاً عنه.

في يوم من الأيام يقرر أحد المؤمنين أن يترك أهله ودياره.. يقرر أن يلتحق بتلك الصفة المتواضعة خوفاً على دينه. أيام تمر وليالي تمضي، وهو يسير مع غلامه في طريق الهجرة، وذات يوم وعندما خيم الليل.. يقرر ذلك الغلام الفرار والهرب من سيده، فيفعل، ويتركه وحيداً مع الليل الخوف، فيواصل سيده المسير دون تردد، وتلك الليلة المشحونة بالهموم والوحدة والإرهاق تملأ صدره.. فيتهد شعراً ويقول:

(١) سنده صحيح. رواه ابن المبارك وأبو نعيم في الحلية (٢٧١/١) من طريق: حنظلة بن أبي سفيان عن عبد الرحمن بن سابط عن عائشة رضي الله عنها ج. حنظلة شيخ ابن المبارك وشيخ الوليد عند أبي نعيم ثقة حجة (التهذيب ٦٠/٣) والتقريب (٢٠٦/١) وشيخه عبد الرحمن بن سابط تابعي ثقة (التقريب (٤٨٠/١) والتهذيب (١٨٠/٦).

يا ليلة من طولها وعنائها على أنها من دارة الكفر نجت مسافر بلا رفيق، وليل طويل مخيف، وطريق غير آمنة. كل ذلك يهون، لأنه يؤدي إلى المدينة.. إلى الحبيب محمد عليه السلام.

سكن ذلك المسافر في الصفة، وتخرج منها ليكون أعظم علماء الإسلام في الحديث.. تخرج هو وغيره من تلك الصفة علماء، لأنها لم تكن ملجأً فقط. لقد تحولت إلى كتاب مفتوح منذ ذلك اليوم الذي خرج فيه ﷺ على أهل الصفة فنثر الكنوز بين أيديهم.

عقبة بن عامر كان أحد الحاضرين. سألناه ماذا قال لكم رسول الله ﷺ يا عقبة؟ فقال: (خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين، في غير إثم ولا قطيعة رحم؟».

فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك. قال ﷺ: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل، خير له من ناقتين، و ثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»<sup>(١)</sup> الإبل التي هي أنفس ما يملكه العربي.. حولها الإسلام إلى أشياء رخيصة أمام أحرف العلم.

وحدث رسول الله ﷺ أصحابه ذات يوم عن العلم والمال، فأمرهم أن يحفظوا هذا الحديث فقال: (وأحدثكم حديثاً فاحفظوه إنما الدنيا لأربعة نفر:

«عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعمل لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل.

وعبد رزقه الله تعالى علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية» يقول: «لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء.

وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخط في ماله بغير علم، لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقاً. فهذا بأخبث المنازل.

(١) حديث صحيح. رواه الإمام مسلم، صلاة المسافرين.

.. وعبيدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان. فهو بنيته، فوزرهما سواء»<sup>(١)</sup>.

حتى النوايا والأمنيات حولها الإسلام إلى كنوز، لتتحول حياة المسلم إلى أحلام وآفاق تهون نحوها المعاناة. لذا فقد انطلق أهل الصفة نحو العلم، وانطلق أغنياء الصحابة نحو العلم، ونحو أهل الصفة وغيرهم من الفقراء، وانطلق الأنصار، وتفجر كرمهم من جديد، وفاح عبيدهم، وتوهجت شمسهم نحو أهل الصفة والفقراء.

هاهم يقومون بأعمال أشبه بالمعجزات.. أشبه بالخيال، لأنهم الأنصار، ولأنهم ينجزونها كلها في اليوم واللييلة، وفي كل يوم ولييلة.

يحدثنا عنهم أنس بن مالك فيقول: إنهم رجال (من الأنصار يقال لهم «القراء» فيهم خالي «حرام» يقرأون القرآن ويتدارسون بالليل، يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء، فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه، ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء)<sup>(٢)</sup>.

ألم أقل إنه عمل أشبه بالمعجزات. قبل شروق الشمس ينهضون.. يصلون، ثم يستسقون لأهل المدينة.. يضعون لهم الماء في المسجد مسبلاً للعطشان، وابن السبيل، ولمن يمر أو يقيم في المسجد. ثم يتوجهون كالحياة إلى خارج المدينة.. تهوي فؤوسهم وسواعدهم.. يحتطبون، ويكدحون، ثم يذهبون به إلى بيوتهم؟

لا، بل إلى السوق حيث يمارسون البيع والشراء.. يبيعون الحطب، ويشترون بثمنه طعاماً لأهل الصفة وللفقراء الآخرين.

هذا هو نهارهم سقاية.. وكدح، وبيع وشراء، ثم صدقة طيبة يدخلون بها البسمة إلى قلوب إخوانهم المساكين. فإذا جن الليل عليهم توجهوا إلى مدرسة الإسلام، ومنبع ثقافته.. إلى المسجد.. يقرأون القرآن، ويتدارسون العلم ويصلون.

لا تدري أهم علماء، أم عمال، أم عباد، أم تجار؟

(١) حديث صحيح. صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع وصحّحي الترمذي وابن ماجه.

(٢) حديث صحيح. رواه الإمام مسلم، الإمارة، ٣ - ١٥١١.

إنهم الحياة إذا رسمها القرآن، ونفتت فيها السنة.. إنهم العطاء بكل أبعاده وأعماقه وأفاقه.. إنهم الأنصار، ولا تعرف الدنيا للأنصار مثيلاً. أما رسول الله ﷺ فقد انطلق من جديد.. يكثف الشعور بالمساكين والفقراء. انطلق رسول الله ﷺ نحو الجميع بوحى جميل وجديد.. وحي يجعل من الإحساس بالفقر والفقراء عبادةً جديدةً.

الإسلام من جديد يقدم للفقراء الهدايا والهبات والمشاعر، فبعد أن مر شهر رجب من السنة الثانية، وحل بعده شهر شعبان أصبح المؤمنون ينتظرون هذا الجديد الجميل، الذي سيطل مع إطلالة هلال شهر رمضان القادم. فرمضان هذه السنة سيختلف عن أي رمضان مضى. لقد أمر الله سبحانه ب:

## صيام شهر رمضان

وأنزل على نبيه ﷺ آيات بينات يقول فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ (١).

إذاً فالصيام كان مفروضاً على الأنبياء السابقين.. كان مفروضاً على اليهود، وكان مفروضاً على النصارى، لكنهم حرفوا فيه كما حرفوا الكتب التي جاء بها أنبيأؤهم، وزادوا ونقصوا كما فعلوا في التوراة والإنجيل. فصار لكل طائفة صيام، وتشكل الصيام وتنوع حسب أمزجة الأحرار والرهبان.

أما الآن فقد جاء محمد ﷺ، وجاء رمضان، وكتب الصيام من جديد. فما هذا الصيام الذي ضيعه أهل الكتاب وأعاد الله طرياً بمحمد ﷺ؟

## ما هو الصيام

بدأ الصيام ب: ترك الطعام والشراب والجماع من بعد صلاة العشاء إلى غروب الشمس، فكان المسلم يأكل ويشرب من بعد الغروب إلى أن يصلي العشاء فقط، فإذا

(١) سورة البقرة: الآيات ١٨٣، ١٨٤.

صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب. كما أن من نام في الليل، ثم استيقظ في الليلة نفسها فلا يحل له أن يأكل أو يشرب شيئاً حتى غروب شمس الغد.

هذا إن كان المسلم سليم الجسم، ولا يشكو من أي مرض، وكان مقيماً في بلدته غير مسافر. فإن كان مريضاً أو مسافراً فيجوز له أن يفطر، لكن يجب عليه صيام الأيام التي أفطرها فيما بعد. وقبل ذلك كله كان بإمكان أي مسلم سليماً كان أو مريضاً.. مقيماً كان أو مسافراً. كان بإمكان أي مسلم أن يفطر، ولا يقضي أي يومٍ أفطره، لكن بشرط.

هذا الشرط هو أن يقوم المفطر بتقديم وجبة تشبع مسكيناً واحداً عن كل يوم أفطره. لكن هذه الأحكام لم تدم. لقد تغيرت ونسخت، وجاءت بعدها:

### أحكام جديدة في الصيام

وكان لهذه الأحكام الجديدة أسباب وقصص.. بعضها طريف، وبعضها يتلوى من الجوع. لكن الصيام لم يتغير. ما زال: ترك الطعام والشراب و... فما هذه القصص؟

البراء بن عازب رضي الله عنه يقص علينا إحداها، ويحدثنا عن أهل بيت صاموا وصام معهم بيتهم، الذي كان خالياً كبطون أهله. ذلك البيت الذي لم يكن فيه ما يبيل الرقيق، أو يسد الجوع. إنه باختصار صفة أخرى..

يقول البراء: (إن أحدهم كان إذا نام قبل أن يتعشى لم يحل له أن يأكل شيئاً، ولا يشرب ليلته ويومه من الغد حتى تغرب الشمس، حتى نزلت: وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

ونزلت في أبي قيس بن عمرو، أتى أهله وهو صائم بعد المغرب، فقال: هل من شيء؟ فقالت امرأته: ما عندنا شيء، ولكن أخرج ألتمس لك عشاء.

فخرجت ووضع رأسه فنام، فرجعت إليه فوجدته نائماً، وأيقظته فلم يطعم شيئاً، وبات وأصبح صائماً حتى انتصف النهار، فغشي عليه، وذلك قبل أن تنزل هذه الآية فأنزل الله فيه<sup>(١)</sup>. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾.

(١) صحيح النسائي ٢-٤٦٧ للإمام الألباني وهو في للبخاري (١٩١٥) بلفظ آخر.

فقط ولم ينزل الله كلمة: (من الفجر) بعد قوله تعالى: ﴿مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾. في بداية الأمر مما جعل بعض الصحابة يخطئ في معنى الخيط الأبيض والخيط الأسود فكانت هذه القصة الطريفة التي رواها صحابي اسمه سهل بن سعد رضي الله عنه فقال: (أنزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾. ولم ينزل: (من الفجر)، وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد: (من الفجر) فعملوا أنما يعني الليل والنهار<sup>(١)</sup>.

أما القصة الأخرى فهي تتحدث عن قصر وقت الفطر، وأنه مرهون بأداء صلاة العشاء.

يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم وهو يتحدث عن قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: فكان الناس على عهد النبي ﷺ إذا صلوا العتمة<sup>(٢)</sup> حرم عليهم الطعام والشراب والنساء، وصاموا إلى القابلة، فاختان رجل نفسه فجاءع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر، فأراد الله أن يجعل ذلك يسراً لمن بقي ورخصة ومنفعة، فقال سبحانه: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾. وكان هذا مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر<sup>(٣)</sup> فجعل الفطر مباحاً حتى طلوع الفجر، فيصوم المسلم حتى يغيب قرص الشمس حيث قال ﷺ لأصحابه: «إذا أقبل الليل من ها هنا، وأدبر النهار من ها هنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»<sup>(٤)</sup>.

أما عن الصوم الاختياري في أول الأمر، فقد تغير أيضاً وألغى كما قال الصحابي سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: (لما نزلت هذه الآية: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ كان من أراد منا أن يفطر ويفتدي فعل، حتى نزلت هذه الآية التي بعدها فنسختها)<sup>(٥)</sup>.

(١) حديث صحيح. رواه الإمام البخاري (٤٥١١).

(٢) العشاء.

(٣) حديث صحيح. صححه الإمام الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٤٠/٢).

(٤) حديث صحيح. انظر صحيح الجامع الصغير (١٢٧/١).

(٥) حديث صحيح. رواه البخاري وأبو داود واللفظ له (صحيح أبي داود ٤٤١/٢).

فما هي الآية التي بعدها والتي نسختها وغيرت كل الأحكام السابقة التي مرت معنا؟ هذه الآية هي في قوله سبحانه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرِّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَّاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْقَنَ بِشُرُوهنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ الْآتِلِ وَلَا تَبْشِرُوا بِهِ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴿١﴾ ..

هذا هو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، والذي قال فيه ﷺ: (أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان)<sup>(١)</sup>.

شهر الكتب المنزلة التي ضاع بعضها، وحرف بعضها، ولم يبق منها سوى القرآن شاهداً لها.. شاهداً على أممها، التي ضيعتها وحرفتها، ورغم الصوم.. رغم الجوع والعطش، لم يتحول هذا الشهر إلى شهر للخمول، ولم تتحول المدينة فيه إلى جدران يغط تحتها الصائمون، ويستندون كالكسل إليها وأعينهم إلى الشمس ينتظرون غروبها. فالمدينة تعج بالحركة نهاراً، وبالقيام والتهجد ليلاً. بيوت المؤمنين في ليالي رمضان تشتعل بنور القرآن.. بالسجود والركوع والدموع.

(١) سورة البقرة: الآيات ١٨٥-١٨٧.

(٢) حديث صحيح. صحيح الجامع (١/٣١٢).

في تلك الليالي كانت إحدى الحجرات وجعاً وأنيباً.. أنين قادم من الحبشة.. قادم من المعاناة، وما كادت تستقر به الأقدام بين حرات المدينة حتى كان موعده المحتوم مع المرض والآلام.

فلذة كبد رسول الله ﷺ وقرّة عينه هي تلك الأنين.. رقية بنت محمد ﷺ أقعدها المرض، وأسهر زوجها عثمان بن عفان، وآله.

## رقية مريضة

هاجرت من مكة.. خاضت البحر فألقاها في الحبشة، وخاضته مرةً ثانية، فتهادى بها حتى وضعها بين يدي والدها العطوف الحنون. وما كادت تتنفس هواء الحرية والأمن، حتى أطاح بها المرض، فهي طريحة الفراش والوجع في ذلك الشهر الكريم.

رسول الله ﷺ يزورها ويطمئن عليها، ويوصي زوجها الحزين بملازمتها. رقية بضعة من رسول الله ﷺ، والأمة أمانة، والرسالة أمانة. هموم تتداعى إلى قلبه ﷺ.. تتكتل أمام عينيه، ولا بد لها من حلول. رقية مريضة، وأهل الصفة جائعون، والمهاجرون قد سُلبوا أموالهم وبيوتهم لينجوا بأنفسهم وإيمانهم من سياط الشرك وأهله، وهناك فرصة تلوح في الأفق لاسترجاع شيء مما سلبه الطواغيت منهم.

ترى هل يبقى ﷺ قرب ابنته الحبيبة؟ أم سيركب إلى تلك الفرصة؟ هكذا كانت ليالي رمضان الأولى في المدينة، لكن كيف كانت ليالي رمضان في مكة. سنده رسول الله ﷺ حتى يقرر ولنتسلل إلى مكة لنرى:

## كيف كان ليل رمضان في مكة

إذا كانت أنسام الليل تحمل أنين رقية ودموعها، فإن أنسام مكة تحترق بزفرات نساء ورجال مستضعفين.. يمنعهم الضعف من البوح بتوحيدهم ودينهم، وحبهم لنبينهم ﷺ. أسرارهم كالجمر في صدورهم.. يرعبهم ليل مكة، ويؤرقهم العيش بين الأصنام والشرك والمشركين الذي كان ليلهم خليطاً من الخمر والغطيظ.

أنسام مكة تحترق بزفرات أخت رقية المريضة.. أختها الكبرى زينب، التي تتحرق شوقاً إلى أبيها.. إلى أخواتها الحبيبات.. رقية وأم كلثوم وفاطمة. إنها لا تعلم شيئاً عنهم، ولا تدري هل ستلتقي بهم يوماً من الأيام أم لا؟ ونبى الله ﷺ يشقائق إليها ويحبها ويشتي عليها، ويتمنى قربها وقدمها.

إنها أكبر بناته، وقد عانت وعانت الكثير في سبيل الله. إنها ابنة نبي، لكنها زوجة رجل لا يزال على شركه.. رجل صادق ووفى اسمه: أبو العاص بن الربيع، وهو شغوف بها ويحبها، لكن شركه يخنق ليلاً وأنفاسها. فتاة مستضعفة مبتلاة، وهموم تزدحم في صدر والدها عليها وعلى أختها، وعلى كل مستضعف ومستضعفة. هذا هو ليل زينب الحزينة. وهذا هو ليل مكة المخيف الذي كان يحمل الفرع إلى إحدى البيوت.. إلى إحدى النساء التي كانت غارقة في نومها، حتى انتشلها الفرع، وانتشلها فارس الأحلام.

فارس الأحلام أتاها، لا ليحملها بين ذراعيه، بل ليديك بيوت قومها. فارس الأحلام هذا مخيف ومرعب.. يقفز في الهواء.. فوق الكعبة والجبال.. يحرك الصخور.. يصيح بأهلها.. صوته مخيف.. يتوعد بالموت والشظايا.

تلك المرأة المفروعة لم تكن بعيدة من زينب بنت نبي الله ﷺ.. بل من أقرب الناس إليها، وتعيش بالقرب منها. امرأة من صلب قريش.. إنها ابنة عبد المطلب، وعمة رسول الله ﷺ واسمها: (عاتكة). فهل يا ترى ستكون رؤياها كرؤيا والدها، الذي غاص في الأعماق وحضر زمزم؟ أم أن فارس القمم الذي رآته في منامها سيدمدم ما تبقى لقريش من آبار تنضح بالشرك؟

تلك الرؤيا حولت مكة إلى غبار وضجيج، ونزاع وتشاتم. سنخيم على بيت عاتكة لننظر ما يحدث في منامها:

## رؤيا

### عاتكة بنت عبد المطلب

(كانت عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ساكنة مع أخيها العباس بن عبد المطلب، فرأت رؤيا قبيل بدر ففزعت، فأرسلت إلى أخيها عباس من ليلتها حين

فزعت، واستيقظت من نومها وقالت: رأيت رؤيا وقد خشيت منها على قومك الهلكة؟ قال: وما رأيت؟ قالت: لن أحدثك حتى تعاهدني أن لا تذكرها، فإنهم إن سمعوها آذونا، فأسمعونا ما لا نحب.

فعاهدا عباس، فقالت: رأيت راكباً أقبل على راحلته من أعلى مكة يصيح بأعلى صوته: يا آل غدر، ويا آل فجر، اخرجوا [لمصارعكم] في ليلتين أو ثلاث.

ثم دخل المسجد على راحلته، فصرخ في المسجد ثلاث صرخات، ومال إليه من الرجال والنساء والصبيان، وفزع الناس له أشد الفزع، ثم أراه مَثَلً على ظهر الكعبة على راحلته<sup>(١)</sup>، فصاح ثلاث صرخات: يا آل غدر، ويا آل فجر، اخرجوا [لمصارعكم] في ليلتين أو ثلاث. حتى أسمع من بين الأخشبين<sup>(٢)</sup> من أهل مكة.

[ثم إن بعيره مَثَلٌ به على رأس أبي قبيس<sup>(٣)</sup>] فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث].

ثم عمد لصخرة عظيمة فنزعها من أصلها، ثم أرسلها على أهل مكة، فأقبلت الصخرة لها دوي، حتى إذا كانت عند أصل الجبل أرفضت<sup>(٤)</sup>، فلا أعلم بمكة بيتاً ولا داراً إلا قد دخلها فلقة من تلك الصخرة. فقد خشيت على قومك أن ينزل بهم شر.

ففزع منها عباس وخرج من عندها، فلقي من آخر ليلته الوليد بن عتبة بن ربيعة - وكان خليلاً للعباس - فقص عليه رؤيا عاتكة، وأمره أن لا يذكرها لأحد.

فذكرها الوليد لأبيه، وذكرها عتبة لأخيه شيبه، وارتفع حديثها حتى بلغ أبا جهل ابن هشام، واستفاضة. فلما أصبحوا غدا عباس يطوف بالبيت حين أصبح، فوجد أبا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبه بن ربيعة وأميه بن خلف وزمعة بن الأسود وأبا البخخري في نفر يتحدثون. فلما نظروا إلى العباس يطوف بالبيت ناداه أبو جهل: يا أبا الفضل إذا قضيت طوافك فآتنا.

(١) قفز بعيره الذي يركبه على ظهر الكعبة.

(٢) جبلان يعيطان بمكة. أي سمعه الناس الذين يسكنون بين هذين الجبلين.

(٣) اسم جبل. أي قفز به بعيره على رأس ذلك الجبل.

(٤) تفرقت: أي تطايرت متحولة إلى حجارة صغيرة وشظايا عند أسفل الجبل.

فلما قضى طوافه أتى فجلس، فقال أبو جهل: يا أبا الفضل، ما رؤيا رأتها عاتكة؟

قال: ما رأيت من شيء. قال: بلى. أما رضيتم يا بني هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء، إنا كنا وأنتم كفرسي رهان<sup>(١)</sup>، فاستبقنا المجد منذ حين، فلما تحاذت الركب قلت: منا نبي<sup>(٢)</sup>. فما بقي إلا تقولوا: منا نبية!! لا أعلم في قريش أهل بيت أكذب رجلاً، ولا أكذب امرأة منكم.

فآذوه يومئذٍ أشد الأذى، وقال أبو جهل: زعمت عاتكة أن الراكب قال: اخرجوا في ليلتين أو ثلاث، فلو قد مضت هذه الثلاث تبينت لقريش كذبكم، وكتبنا سجلاً ثم علقنا بالكعبة: أنكم أكذب بيت في العرب رجلاً وامرأة<sup>(٣)</sup>.

يقول العباس: [فوالله ما كان إليه مني من كبير إلا أنني أنكرت ما قالت، فقلت: ما رأيت شيئاً ولا سمعت بهذا].

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقلن: أصبرتم لهذا الفاسق<sup>(٤)</sup> الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم تناول النساء وأنت تسمع، فلم يكن عندك في ذلك غيرة!!

فقلت: قد والله صدقتن وما كان عندي في ذلك من غيرة، إلا أنني قد أنكرت ما قال، فإن عاد<sup>(٥)</sup> لأكفينه.

فعمدت في اليوم الثالث أتعرضه ليقول شيئاً فأشاتمته، فوالله إنني لمقبل نحوه، وكان رجلاً حديد الوجه، حديد النظر، حديد اللسان، إذ ولى نحو باب المسجد يشتد. فقلت - في نفسي -: اللهم العنه كل هذا فرقاً<sup>(٦)</sup> أن أشاتمته، وإذا هو قد سمع ما لم

(١) أي كالتسابقين إلى هدف.

(٢) يقول هذا الطاغوت: إنكم يا بني هاشم ادعيتم النبوة كذباً عندما تساوينا وإياكم في الشرف والمجد حتى تتغلبوا علينا.

(٣) انظر تخريجه في نهاية القصة.

(٤) المقصود هو أبو جهل.

(٥) المقصود هو أبو جهل.

(٦) خوفاً.

أسمع: صوت ضمضم بن عمرو، وهو واقف على بعيره بالأبطح، قد حول رحله، وشق قميصه، وجدع بعيره<sup>(١)</sup> يقول: يا معشر قريش، اللطيمة، اللطيمة. أموالكم مع أبي سفيان، وتجارتم قد عرض لها محمد وأصحابه، فالغوث، الغوث. فشغله ذلك عني وشغلني عنه، فلم يكن إلا الجهاز حتى خرجنا<sup>(٢)</sup>.

لقد ثارت قريش وهاج الكفر كله، فما الذي أصاب القوم حتى صاروا كالمجانين؟ هل تحققت رؤيا عاتكة وصدقت، وكذب أبو جهل وطار عقله، فطار عقل أمية وصوابه؟ ما الذي حدث، وماذا فعل رسول الله ﷺ بأبي سفيان وقافلته هذه؟

لقد كنا في المدينة عند رقية حيث كان بيتها ساكناً إلا من أنينها.. حيث كانت المدينة ساكنة بالإيمان، فما الذي كان يخطط له رسول الله ﷺ والناس نائمون؟

سنعود إلى المدينة حيث ترقد رقية. ها هي طريحة الفراش والألم، وها هو عثمان يقربها ينظر إلى حبيبته وردة تذبل يوماً بعد يوم.. تذبل ألماً بعد ألم. لقد عاها أبوها ﷺ قبل أيام، ورأى ما بها فأوصى عثمان الحزين بالمكوث عندها، ثم ودعها بعد أن ألقى عليها نظرة الوالد المحب الحاني، وودعته بعينين حزينتين.

كأنني بعينها تغرقان بالدموع.. تتعلقان بهذا الوالد الذي لا يستطيع البقاء عندها، ولا يملك لها سوى الدعاء.

استودعها الله وتركها، ومرارة الوداع في حلقها وقلبها، ومرارة الوداع في كلماته لعثمان. وعثمان صابر محتسب.. يفوته الخروج مع حبيه ﷺ فيصبر، وقد تفوته رقية وترتحل عنه. أي ليلٍ سيخيم على عثمان؟

(١) أي قطع أنفه تعبيراً عن هول الكارثة التي حلت بقريش.

(٢) هذا الخبر حسن بطرقه... وهو عند الطبراني (٢٤٦/٢٤): ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير. وهذا مرسل وابن لهيعة فيه ضعف، لكن الرواية ثابتة عن عروة عند ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة، ويزيد ثقة كما رواها ابن إسحاق بسند متصل: حدثني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس، وقد صرح ابن إسحاق باسم شيخه الذي وثقه فقال: حدثنا حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس.. ورغم أن رواة السند كلهم من بيت العباس بن عبد المطلب إلا أن حسيناً هذا ضعيف، وروايته تتقوى بمرسل عروة.. انظر البيهقي ٢-٢٩ وهي عند الطبراني من طريق عبد العزيز بن عمران. حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط عن عاتكة وعبد العزيز قد توبع عند ابن منده لكن شيخه ضعيف وبقية الرواة ثقات، والقصة حسنة بهذه الطرق.

رسول الله ﷺ أكثر صبراً واحتساباً.. ابنة في مكة لا يستطيع رؤيتها.. حبيسة الشرك. وابنة حبيسة المرض، وأصحاب معدمون يتزاحمون في صفة مليئة بالجوع، وقريش تسرح وتمرح وتتاجر بأموال أصحابه، وأمة تحتاج إلى قائد يحملها إلى المستقبل، وإلى تلك الفرصة من التعويض وانتزاع الحقوق المغتصبة.

قدم ﷺ حاجة أمته على حاجته، ومصالحتها على هموم أسرته، فخرج، لكن إلى أين..؟ هاهو أنس بن مالك يسير مع رسول الله ﷺ سنعرف منه ما حدث. إنه يتكلم فلننصت إليه:

## الخروج وأسبابه

يقول أنس رضي الله عنه: (بعث رسول الله ﷺ (بسياسة) عيناً ينظر ما صنعت غير أبي سفيان. فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>).

ذهب الصحابي المدعو «بسياسة» في مهمة حددها ﷺ، وهي تحسس أخبار القافلة القرشية القادمة من الشام نحو مكة، والتي يقودها أبو سفيان بن حرب، وتم رصد وتحديد طريق سيرها ومكانها. أتم بسياسة مهمته كما هو مطلوب منه، ثم عاد إلى رسول الله ﷺ (فحدثه الحديث، فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: إن لنا طلبة، فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا، فجعل رجال يستأذنون في ظهورهم في علو المدينة؟ قال: لا، إلا من كان ظهره حاضراً)<sup>(٢)</sup>.

جاء أبو بكر، وجاء عمر، وجاء علي، أما عثمان فاستبقاه رسول الله ﷺ بالمدينة، وأمره بالمكوث، وجاء بقية الصحابة من المهاجرين والأنصار، وجاء عمر بن الخطاب بابنه الصغير عبد الله فتأمله ﷺ، فوجده طفلاً، فأعاده مكسور الخاطر بعد أن كان يحلم بخطوات يسيرها في دروب البطولة والشهادة.

وجاء طفل آخر اسمه البراء بن عازب، فأعاده ﷺ أيضاً، فراح فيما بعد يتحدث إلى من حوله عن تلك الرفقة العظيمة، ويصفها بالإيمان ويتمنى لو سار معها فيقول:

(١) قال بعد هذه الكلمة: لا أدري ما استثنى بعض نسائه، أي أن بعضهن كانت عنده ﷺ.

(٢) حديث صحيح. رواه مسلم (كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد).

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم (كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد).

(استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر، وكنا -أصحاب محمد- نتحدث أن عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر، كعدة أصحاب (طالوت) الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوز معه النهر إلا مؤمن)<sup>(١)</sup>.

وجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ومعه فتى صغير اسمه (عمير) إنه أخوه، وهو شجاع مثله، لكنه كان خائفاً مضطرباً، بل لقد بكى. فكيف يكون شجاعاً، وكيف يرغب في الشهادة وقد انتابه الخوف والبكاء؟!

تلك قصة عجيبة رويت عن أخيه سعد حيث يقول: (رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ بدر يتواري، فقلت: مالك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرنني، فيردني وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة.

[فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره، فقال: ارجع.

فبكى عمير فأجازه رسول الله ﷺ] فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره)<sup>(٢)</sup>.

كأنني بسعد يعقد سيور سيفه لأخيه ويبتسم، فيبتسم عمير لمن حوله وللجنة. قصة مؤثرة تسيل دموعاً وشوقاً للشهادة، وشباب ملأت الجنة روحه وجوانحه. إنها حال الشباب في أي زمان ومكان تحل فيهما قيادة إسلامية صافية ومخلصة. لقد اجتاز عمير بن أبي وقاص آخر العقبات في حياته، وها هو أمام بوابة مشرعة على الخلود. عمير من ثمار الرسول ﷺ .. عمير وغيره.

انظروا إلى هذين.. إنهما صديقان يكبران عميراً بقليل.. أسدان اسم أحدهما: (معاذ بن عمرو بن الجموح) واسم الآخر (معاذ بن عفراء) وعلى أحد الأبواب، وفي

(١) حديث صحيح. رواه البيهقي (٣٦/٢) وهو عند البخاري بلفظ آخر... انظر البخاري (٣٩٥٥، ٣٩٥٦، ٣٩٥٧، ٣٩٥٨).

(٢) ما أريده من هذه القصة هو ما بين المعقوفين أما ما كان خارجهما فسنده ضعيف لأنه من طريق الواقدي كما في الإصابة -ترجمة عمير- وعند ابن سعد (١٤٩/٣) وما بين المعقوفين عند الحاكم (٤٧/٣) من طريق يعقوب الزهري أخبرنا إسحاق بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن جعفر عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن عامر بن سعد عن أبيه.. وهذا السند صحيح ورجاله ثقات لولا أوهام يعقوب بن محمد الزهري وهو صدوق لكنه لم ينفرد فقد تابعه شيخ البزار في روايته (كشوف الأستار ٣٥١/٢) واسمه محمد بن قيس. ولعله توبع أيضاً عند البغوي فقد روى الحديث كما قال الحافظ في الإصابة.

بيت من أبيات المدينة كانت الدموع، وكان الوداع والعناق بين شاب وأمه، ولك أن تتخيل ما تشعر به أم تفارق ابنها.. تودعه وهي لا تدري هل سيعود إليها أم أنها بعثت به إلى الموت، وبعثت بنفسها إلى الحزن والحداد. أم الربيع بنت النضر - عممة أنس بن مالك، وأخت الأسد الهصور: أنس بن النضر- تودع ابنها الذي يرتع في قلبها.. تودع ابنها (الحارث<sup>(١)</sup> بن سراقه) وداعاً حاراً باكياً، لكنها الجنة فليذهب الحارث إلى الجنة من أي طريق شاء.

فارس آخر.. ربما كان يشترى بعض التمر.. ربما كان قبل قليل بين النخيل يخترف منها، وربما غير ذلك، لكنه كان يضع بعض الثمرات في جيبه، ولما سمع النداء هب مسرعاً لنداء الله ورسوله ﷺ.. إنه (عمير بن الحمام)<sup>(٢)</sup>.

اجتمع هؤلاء وغيرهم حول نبي الله ﷺ، فكانت المشورة وحرية الرأي قبل الانطلاق.

## المشورة قبل الانطلاق

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه. فقال سعد بن عبادة: إيانا يريد رسول الله ﷺ؟ والذي نفسي بيده لو أمرت أن نخيضها البحار لأخضناها، ولو أمرت أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد، لفعلنا.

فندب رسول الله ﷺ الناس، فانطلقوا)<sup>(٣)</sup>.

ولئن كانت المشورة قبل الانطلاق فقد كان هناك:

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا الفتى رضي الله عنه فيما بعد إن شاء الله.  
(٢) سيأتي الحديث عن هذا الصحابي رضي الله عنه فيما بعد إن شاء الله.  
(٣) سنده صحيح. رواه أحمد (سيرة ابن كثير ٢/٣٩٤) وروى مسلم نحوه.. وسند أحمد صحيح متصل رجاله أئمة ثقات هم... عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس.

## سرية في الانطلاق

تقول عائشة رضي الله عنها: (إن رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر)<sup>(١)</sup>.

دون ضوضاء.. دون أجراس وضجيج انطلق ﷺ وصحابته، وسمح ﷺ بالانطلاق معه لمن ليس معه راحلة، وأمر ﷺ بالاشتراك والتناوب بين الاثنين والثلاثة على الرحلة الواحدة. فامتثل الجميع وتحركوا نحو تلك القافلة مسرعين.. يطوون الأرض طياً، وفي طريقهم يرون راكباً يسابق الريح إليهم، فيلحق بهم.

ما الذي حدث؟ هل هو عثمان بن عفان جاء ليخبر رسول الله ﷺ أن ابنته زينب اشتد بها المرض؟ أم هو رجل لم يعلم إلا متأخراً فلحق بهم بعد أن علم بالأمر؟

ليس هذا ولا ذاك.. إنه رجل مشرك، لكن فيه من الشهامة والرجولة الشيء الكثير.. إنه يمتطي راحلته وشهامته، ويتجه بهما نحو رسول الله ﷺ يكلمه، ثم يرد عليه ويسير ﷺ، فيلحق به ثم يكلمه مرة أخرى، فيرده ثم يسير ﷺ ويتركه. فمن هذا الرجل، ولماذا تركه ﷺ في مكان يقال له (حرة الوبرة)؟

تقول عائشة رضي الله عنها: (خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فلما كان بحرة «الوبرة» أدركه رجل يذكر منه جراً ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: «جئت لأتبعك وأصيب معك».

قال له رسول الله ﷺ: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا.

قال ﷺ: «فارجع فلن أستعين بمشرك».

ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة. فقال له النبي ﷺ كما قال له أول مرة، قال: فارجع فلن أستعين بمشرك.

ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: نعم.

(١) سنده صحيح. رواه أحمد (١٥٠/٦) والنسائي وغيرهما (سيرة ابن كثير ٢/٣٨٩).... سعيد بن أبي عروبة وسعيد بن بشر والصواب: سعيد بن بشير عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة وقد خالفهما هشام فرواه عن قتادة عن زرارة عن أبي هريرة ومع احتمال التعدد إلا أن سعيداً رغم كونه مدلساً فإنه أثبت الناس في قتادة وشيوخه ثقافت. التقريب (١/٢٥٩) و (١/٢٨٩).

فقال له رسول الله ﷺ: فانطلق<sup>(١)</sup> فانطلق الرجل مع النبي ﷺ وأصحابه مسلماً، بعد أن دفن الشرك والأصنام بالبيداء، ورفرف مع شجاعته ونجدته في أجواء التوحيد الطاهرة الفسيحة، وواصل المسلمون سيرهم نحو القافلة، لكن مشكلة وقعت، وأمرًا خطيراً لم يحسب له المسلمون حساباً؟ لقد علمت قريش بخروج رسول الله ﷺ. لكن كيف؟

## كيف علمت قريش بخروج

### رسول الله ﷺ

يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم: (لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين وقال: هذه غير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها).

فانتدب الناس، فخف بعضهم، وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً على أموال الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان: أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك. فحذر عن ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه.

فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة<sup>(٢)</sup> ووصل إليها، فسمعت قريش (صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي، واقفاً على بعيره، قد جدع بعيره، وحول رحله، وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة.. اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمداً في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث.. الغوث)<sup>(٣)</sup>.

وتجمعت قريش حول هذا المشهد الفاجعة، وصرخت بوجه ضمضم بن عمرو تسأله عن تفاصيل أكثر، وثارت مكة وارتجت، وتعالى الضجيج، وسلت السيوف، ونسى

(١) حديث صحيح. رواه مسلم (١٨١٧).

(٢) رواه ابن إسحاق ومن طريقه الطبري ٦-١٨٢ من طريقين: مرسل صحيح إلى عروة، والثاني عن ابن عباس وابن إسحاق لم يذكر أسماء شيوخه وهم جمع، ويشهد له ما بعده.

(٣) حديث حسن. مر معنا عند الحديث عن رؤيا عاتكة وهو جزء من حديث الرؤيا.

العباس شجاره مع أبي جهل، واحتقن الطواغيت.. طواغيت قريش كلهم.. كلهم إلا واحداً أذهله الخبر، فأصيب بالهلع.

إنه لا يدري ما يفعل، ولا كيف يتصرف؟ إنه يرتجف ويرتجف.. يهرول مسرعاً إلى منزله، وعندما يصل لا يبحث عن سلاح، ولا يفتش عن درع ورمح.. إنه خائف جداً، ويكاد يموت من الخوف.

لم يكن سبب ذلك الخوف تجارة له مع أبي سفيان يخشى أن يفقدها، ولم يكن خائفاً على سمعة قريش. الأمر أشد وأخطر.. إنه يحس بدنو أجله.. ويرى في كل شبر خارج مكة قبراً مشرعاً ينتظره. إنه أمية بن خلف، وهو لا يستطيع التفريق بين من يقول: الغوث.. الغوث، أو من يقول: الموت.. الموت..

كأنى به وهو يستمع إلى صراخ ضمضم يتذكر صراخ سعد بن معاذ في ذلك اليوم المشئوم، عندما كان سعد بن معاذ في نزاع مع أبي جهل، بعد أن رفض أبو جهل أن يطوف سعد بالكعبة وهو من أنصار محمد ﷺ، وعندما حاول أمية إسكات سعد بن معاذ رضي الله عنه.. بشره سعد بنهاية تصطك لها الركب.. بشره سعد بكارثة فقال له: (دعنا منك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه قاتلك. قال أمية: بمكة؟ قال سعد: لا أدري.

ففرع لذلك أمية فزعاً شديداً، فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تري إلى ما قال لي سعد..؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنه قاتلي، فقلت له: بمكة؟ فقال: لا أدري. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة<sup>(١)</sup>.

واليوم هاهي قريش غاضبة وستخرج كلها، ولن يتخلف منها أحد، فهل سيتخلف سيد من ساداتها، وما عذره؟ هل سيقول: إني خائف؟ هل سيقول: إن محمداً صادق في قوله ووعدته؟ حائر أمية.. حائر.. يلتفت إلى امرأته يحدثها أنه قد (جاء الصريخ. قالت له امرأته: أما علمت ما قال لك أخوك اليثربي؟

قال أمية: فإني لا أخرج<sup>(٢)</sup>.

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (٢٩٥٠) والبيهقي (٢٧-٣).

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٢٦/٣).

إذا فقد قرر أمية البقاء في مكة وعدم الخروج، فلتذهب القافلة إلى الجحيم، ففي خروجه سفر إلى الموت على يد محمد وأصحابه. لكن هل سيتركه أبو جهل ينعم بالبقاء؟ لا أظن ذلك، فأبو جهل الآن كالمجنون.. يجول في شوارع مكة، كالثور الهائج يثير الغبار في أزقتها.. يطرق أبوابها. لن يتركه أبو جهل ينعم بالطعام والشراب والرقاد ليواجه الموت نيابة عنه، لقد (استتفر أبو جهل الناس فقال: أدركوا عيركم. فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك.

فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتني فوالله لأشتري أجود بغير بمكة. ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزني. فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً.

فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بغيره فلم يزل بذلك<sup>(١)</sup> كلما نزل منزلاً ربط بغيره السريع تاهباً للهرب والفرار.. لم يزل كذلك خائفاً، يرى الموت خلف الصخور وبين الشجر.. يرى الموت يسيل في الوادي.. يراه مقبلاً مع قطع السحاب الصيفية، وفي المساء يرى الظلام عباءة يرتديها الموت، والنجوم عيون تحديق به.

مضوا خلف أبي جهل مصطحبين المغنيات والخمر والموت، حتى وصلوا إلى أرض بين مكة والمدينة يقال إنها كانت (موسماً من مواسم العرب، يجتمع لهم بها سوق كل عام)<sup>(٢)</sup> واسم هذه الأرض:

## بدر

وقد قرر أبو جهل ومن معه تحويل أرضها إلى ساحة لاحتفال صاخب، سيجعلون أرض بدر خمراً ونساءً، ورقصاً ومقابر لمحمد وأصحاب محمد، سيجعل أبو جهل من تلك الأرض احتفالاً غير عادي.. احتفالاً لقريش وحدها.. في موعد هو الذي يحده، وقد وصف الله عز وجل ذلك الخروج وتلك الغطرسة بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٥٠).

(٢) تفسير الطبري (تفسير سورة الأنفال).

كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ (١).

زحفت الجموع، وزحف معهم أمية، وخيم شبح الموت على كل شبر يسير إليه.. إنه الآن يتوقع خروج رسول الله ﷺ أو بعض صحابته في أية لحظة، ومن أي مكان ليقتلوه.. إنه ليتساءل.. ترى:

## أين محمد

أجل أين رسول الله ﷺ؟

لقد (خرج رسول الله ﷺ في أصحابه [حتى بلغ وادياً يقال له: «ذفران» فخرج منه، حتى إذا كان ببعضه نزل] وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار النبي ﷺ الناس، وأخبرهم عن قريش) (٢).

لكن كيف علم ﷺ بخروج قريش.. كيف عرف عددهم، ولماذا يستشير أصحابه مرة أخرى، وهم قد وافقوا على الخروج معه عندما كانوا في المدينة؟ لنبدأ بالأمر الأول.

## كيف علم ﷺ بخروج قريش

يقول أحد الصحابة المشاركين بتلك الأحداث وهو أنس بن مالك: (إن رسول الله ﷺ ندب أصحابه، فانطلقوا إلى بدر، فإذا هم بروايا قريش فيها عبد أسود لبني الحجاج، فأخذه أصحاب رسول الله ﷺ فجعلوا يسألونه: أين أبو سفيان؟ فيقول: والله ما لي بشيء من أمره علم، ولكن هذه قريش قد جاءت فيهم: أبو جهل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف.

فإذا قال لهم ذلك ضربوه. فيقول: دعوني، دعوني أخبركم. فإذا تركوه قال: والله ما لي بأبي سفيان علم، ولكن هذه قريش قد أقبلت، فيهم أبو جهل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف قد أقبلوا. والنبي ﷺ يصلي -وهو يسمع ذلك- فلما انصرف (٣)

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٧.

(٢) حديث حسن. دون ما بين المعقوفين. رواه ابن إسحاق وهو جزء من حديثه الطويل.

(٣) انصرف من صلاته: انتهى والانصراف يعني أيضاً: التسليم.

قال: «والذي نفسي بيده إنكم لتضربونه إذا صدقكم، وتدعونه إذا كذبكم، هذه قريش قد أقبلت لتمنع أبا سفيان»<sup>(١)</sup>.

هكذا علم رسول الله ﷺ بمقدم قريش وطواغيتها.. كان الأمر خطيراً وعصياً جداً، ولا بد لنبي الله ﷺ من أن يعيد حساباته من جديد.. لا بد من معرفة حجم الخطر القادم، وهل في الإمكان مواجهته؟ أم أن في مواجهته تهوراً، ولا بد من الانسحاب للحفاظ على صفوة الأمة ونواتها؟.. ما غاب ذلك عن رسول الله ﷺ ولم يغب. فقط وبحوار قصير بين رسول الله ﷺ وبين ذلك الغلام المشرك، ودون ضرب، أو تعنيف، أو إكراه.. دون سياط أو حبال.. انتهى كل شيء.

## كيف عرف ﷺ عدد قريش

يتحدث عن ذلك بطل آخر من شباب الإسلام. علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث يقول: (كان النبي ﷺ يتخبر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا، سار الرسول ﷺ إلى بدر - وبدر بئر- فسبقنا المشركون إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم، رجلاً من قريش، ومولى لعقبة بن أبي معيط.

فأما القرشي فانظرت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم -والله- كثير عددهم، شديد بأسهم. فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربه، حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ، فقال له: كم القوم؟ فقال: هم -والله- كثير عددهم، شديد بأسهم، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم، فأبى. ثم إن النبي ﷺ سأله كم ينحرون من الجزور؟<sup>(٢)</sup> فقال: عشراً كل يوم.

فقال رسول الله ﷺ: القوم ألف، كل جزور لمائة)<sup>(٣)</sup>. بفطنته وذكائه ﷺ توصل إلى عدد قريش، لكن كم كان:

(١) حديث صحيح. رواه مسلم وأبو داود واللفظ له صحيح أبي داود ٢٣٣٢.

(٢) الإبل.

(٣) سنده صحيح. رواه البيهقي ٤٢٠٣-٤٢٠٤ وأحمد ١-١١٦: إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن حارثة عن علي: إسرائيل ثقة وسماعه من شيخه (جده) قبل الاختلاط، وجده تابعي ثقة التقريب ٤٢٣ أما حارثة بن مضرب فتابعي كبير ثقة التقريب ١٤٩.

## عدد الصحابة؟

إذا كانت قريش ألفاً، فإن ذلك الطفل الذي منعه الرسول ﷺ من الخروج لصفر سنه يحدثنا عن عدد المسلمين (البراء بن عازب) رضي الله عنه يقول: (استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر، وكنا -أصحاب محمد- نتحدث أن عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر، كعدة أصحاب (طالبوت) الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوز معه النهر إلا مؤمن)<sup>(١)</sup> لقد كان امتحاناً صعباً لطالوت ومن معه أمام جيش الروم، وهاهو امتحان آخر لأصحاب رسول الله ﷺ.. إنهم ثلاثمائة وبضعة عشر فقط، وهؤلاء الثلاثمائة إذا نظرت إليهم باحثاً عن خيل يركبونها لم تجد سوى فرسين. يقول علي: (ما كان معنا إلا فرسان، فرس للزبير، وفرس للمقداد بن الأسود)<sup>(٢)</sup>.

ثلاثمائة ليس معهم إلا فرسان، فماذا عن البقية..؟

إنك لو نظرت مرة أخرى إليهم، لنظرت إلى مشهدٍ خلاب، رغم الفقر والحفاء والعوز.. لن تجد أحداً يسير على قدميه كل الطريق، ولن تجد أحداً يركب كل الطريق.. كانت قافلة من القلوب والمشاعر قادها ﷺ إلى بدر. عبد الله بن مسعود أحد تلك القلوب التي تخفق بالإيمان والإيثار والنظام يقول رضي الله عنه وعنهم: (كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعليّ زميلي رسول الله ﷺ، فكانت إذا حانت<sup>(٣)</sup> عقبة رسول الله ﷺ يقولان له: نحن نمشي عنك.

فقال: ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما)<sup>(٤)</sup>.

(١) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي واللفظ له ٣-٣٦.

(٢) سنده حسن رواه البيهقي ٣-٣٩: أخبرنا أبو عبد الله، أخبرنا عبد الله بن إسحاق البغوي، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا ابن وهب، وأخبرني أبو صخر عن أبي معاوية الجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن علي: أبو معاوية صدوق من رجال مسلم واسمه: عمار بن معاوية الدهني، وأبو صخر: حميد بن زياد التهذيب ٣-٣٦ من رجال مسلم حسن الحديث، وتلميذه إمام معروف، والبغوي مسند بغداد التذكرة ٨٨٩.

(٣) إذا جاء دور الرسول ﷺ في المشي.

(٤) إسناده حسن رواه أحمد ١-٤١١ و٤١٨ و٤٢٢ من طريق حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود. عاصم حسن الحديث وزر ثقة التقريب ٢٨٥٢١٥.

رسول الله ﷺ ونبيه وخير خلقه يقطع المسافات مشياً، رغم وجود من يبذل روحه فداءً لتلك الخطوات الشريفة. لكنه كان يشارك أصحابه.. يعلمهم.. يتماهى بهم.. يشفق عليهم، ويرأف بهم، ويحنو عليهم، ويطمع مثلهم بالأجر من عند الله.

لقد رقى ﷺ لمنظرهم وهم يتعاقبون، ورق لحالهم وهم يتساقطون من التعب والجوع وطول السفر، فاتجه إلى أرحم الراحمين يستمطره رحمة لهؤلاء المساكين. ابتهل.. لهج بقلبه ولسانه وقال: (اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم)<sup>(١)</sup>.

دعاء يفيض رحمةً وشفقةً، وحالة أصحاب يرثى لها، وظرف صعب يفاجئ القافلة المؤمنة، وعدو كشر عن أنيابه وسيوفه وحقده. ومع ذلك كله.. لم تخف القلة المؤمنة، ولم ترتجف، لكن هناك من كره لقاء قريش بهذا الاستعداد الضعيف، فما للقتال خرجوا، وما لهذه الجموع احتسبوا. لقد خرجوا يريدون مالاً لهم في قافلة، فصاروا أمام جيش متأهب لأخذهم.

لقد كرهوا ذلك خوفاً على دولتهم الفتية.. على رسولهم أن تناله أيدي المشركين ورماحهم. لقد وصف الله سبحانه تلك المشاعر فقال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرْهُونَ ۗ وَمُجِدِّدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

يقول كعب بن مالك رضي الله عنه: (تخلفت عن غزوة بدر، ولم يعاتب الله أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد)<sup>(٣)</sup>.

لقد رأى ﷺ في وجوه الصحابة العزم والشجاعة، ورأى في وجوه البعض الشجاعة والكرهية معاً، وذلك لعدم الاستعداد، وقلة العدد والعدة.

رأى خوفهم عليه وعلى دينهم ودولتهم فتوقف ﷺ ل:

(١) سنده حسن. رواه البيهقي ٣-٢٨ وأبو داود ٢٧٤٧ من طريق ابن وهب حدثنا حبي عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو. ابن وهب ثقة مر معنا، وحبي حسن الحديث، قوي إذا روى عنه ثقة، والحبلي ثقة من رجال مسلم اسمه: عبد الله بن يزيد.

(٢) سورة الأنفال: الآيات ٥، ٦.

(٣) حديث صحيح طويل. رواه البخاري (٤٤١٨).

## المشورة الثانية

(خرج رسول الله ﷺ في أصحابه [حتى بلغ وادياً يقال له «ذفران»، فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل]، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار النبي ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر رضوان الله عليه فقال وأحسن. ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، امض إلى حيث أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢٤) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، [فوالذي بعثك بالحق لنن سرت بنا إلى برك الغماد<sup>(١)</sup>، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه] (٢) (لا نقول كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢٤) ولكن نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك. قال ابن مسعود: فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره<sup>(٣)</sup>).

لقد تأثر ابن مسعود بما قاله المقداد، وتمنى في تلك اللحظات لو كان هو صاحب تلك الكلمات، ولم يستطع ابن مسعود أن يكتفم ذلك في نفسه، لقد صرح به فيما بعد فقال: (شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً، لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به)<sup>(٤)</sup> أما رسول الله ﷺ فبعد أن رأى تلك العواطف الجياشة تموج أمامه، وعن يمينه، وعن شماله، وتحميه من خلفه.. بعد أن رأى الفداء يظلل كالحب.. كالغمام. صاح مرة أخرى بالفئة المؤمنة؟ فتتبه أحد الأنصار لهذا النداء المتكرر، وفهم مراد رسول الله ﷺ. لقد تحدث أبو بكر وعمر وتحدث المقداد، ومع ذلك كله ينتظر رسول الله ﷺ رأياً آخر، له في نفسه وزن لا يقل عن تلك الآراء السابقة.

(١) قال الراوي: مدينة الحبشة.

(٢) حسن. رواه ابن إسحاق وقد مر معنا، حيث صرح بالسماع من شيوخه الثقات: الزهري، وعاصم بن عمر، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان.. وهؤلاء أخذوه عن شيخهم الإمام عروة بن الزبير ورواه شيوخ غيرهم عن ابن عباس، لكن هؤلاء الشيوخ غير معروفين والحديث يشهد له ما قبله من الأحاديث وما بعده عدا ما بين المعوقين فلم أجد له شاهداً. والحديث جزء من حديث بدر الطويل.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري عن ابن مسعود (٣٩٥٢).

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري عن ابن مسعود (٣٩٥٢).

كان ﷺ (يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة قالوا: يا رسول الله، إنا براء من ذمامك<sup>(١)</sup> حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه<sup>(٢)</sup> بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: أجل.

قال: فقد آمننا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك<sup>(٣)</sup>.

## وجاءت البشرية من الله..

وأَنْزَلَ اللهُ كَلامَهُ وَعَدَاً صَادِقاً لَا يَتَأَخَّرُ، وَأَمْنًا يَمَلَأُ الْأَجْواءَ وَالصُّدُورَ، فَأَزَالَ بَقايا الخوف، وطهر به القلوب المؤمنة.

نزل جبريل بقوله الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَوَدُّوْنَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ . والشوكة هي جيش قريش، وغير ذات الشوكة هي القافلة.

(١) الذمام: الحرمة أي نحن غير مسئولين عنك حتى تسكن في مدينتنا.

(٢) هاجم المدينة.

(٣) هو جزء من حديث ابن إسحاق الطويل وله شاهد عند ابن مردويه (سيرة ابن كثير ٢/٢٩٥). من طريق محمد بن عمرو ابن علقمة عن أبيه عن جده وجده ولد في عهد رسول الله ﷺ وروايته عن الصحابة أما عمرو فهو حسن الحديث في الشواهد والمتابعات.

أخذ ﷺ تلك الآيات ونادى رفقة الدرب والإيمان، وقال لهم: (سيروا على بركة الله وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم غداً)<sup>(١)</sup>.

قال أحد الأنصار وهو أبو أيوب الأنصاري: (فلما وعدنا إحدى الطائفتين، إما القوم وإما العير، طابت أنفسنا)<sup>(٢)</sup> وطاب المسير إلى بدر (فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر)<sup>(٣)</sup> ونزل المسلمون بالعدوة الدنيا، أي بحافة الوادي من جهة المدينة (وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: لا يتقدم أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه)<sup>(٤)</sup> وأقبل المشركون من هناك.. من الجهة الأخرى المسماة بالعدوة القصوى، أي حافة الوادي البعيدة.. البعيدة عن المدينة جهة مكة وكان ذلك في:

٥٢/٩/١٦ هـ

في السادس عشر من شهر رمضان بنى الصحابة لرسول الله ﷺ قبة.. هي أشبه بغرفة عمليات المعركة، كان ﷺ يصلي فيها ويدعو، ويوجه ويبشر، وكان أبو بكر معه فيها.

يقول أحد الصحابة: (إن النبي ﷺ قال وهو في «قبة له» يوم بدر: اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم «إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك، حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك -وهو في الدرع-.

فخرج وهو يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)<sup>(٥)</sup>

(١) المصدر السابق.

(٢) سننه قوي. رواه الطبراني ٤-٢٠٩ من طريق ابن لهيعة ورواه من الطريق نفسه الطبري ٦-١٨٦ والراوي عند الطبري هو ابن المبارك فصح بذلك هذا الجزء من السند: وشيخ ابن لهيعة، يزيد بن أبي حبيب ثقة التقريب ٦٠٠ وقد رواه عن التابعي الثقة: أسلم بن يزيد التجيبي (التقريب ١٠٤ وأسلم رواه عن أبي أيوب رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم.

(٤) حديث صحيح. رواه مسلم.

(٥) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٨٧٥-٤٨٧٧).

خرج ﷺ من القبة، وخرج وراءه أبو بكر، وخرجت معهما البشرية العظيمة: سيهزم الجمع ويولون الدبر، وصار ﷺ يتمشى ويشير، ثم يمشي ويشير، وإذا أشار إلى موضع من الأرض تكلم، ولهج بالبشرى للجميع.. لقد كان يشير بيده ويتحدث إلى من معه وحيأً، فإلى أي شيء كان يشير، وعن أي شيء كان يتحدث؟

## مصارع القوم

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ ليخبرنا عن مصارع القوم بالأمس: هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً، هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً)<sup>(١)</sup>.

ويتحدث أنس بن مالك عن تلك المواقع فيقول: (قال رسول الله ﷺ: هذا مصرع فلان غداً. ووضع يده على الأرض. وهذا مصرع فلان. ووضع يده على الأرض. وهذا مصرع فلان. ووضع يده على الأرض)<sup>(٢)</sup> وكأنه يضع يده على مواضع الحماس في القلوب المؤمنة ليفجرها.

لقد ملأت هذه البشرية المؤمنين حماساً ونشاطاً، وأيقنوا بنصر يشرق عليهم مع صباح الغد إن شاء الله، فقضوا يومهم ذلك همّة وحركة.. يستعدون وينفذون أوامر قائدهم ﷺ، ويدعون ربهم نصراً طال انتظاره، ويرجونه الظفر في هذه الحرب التي قبعت في طريقهم دون موعد، حتى تتكسر شوكة الباطل، وترتفع راية التوحيد، وتتطاير فلول الشرك مع الرياح.

كان ذلك اليوم مليئاً بالدعاء والعمل والأحلام، وكان يوماً مرهقاً، وكانت ليلة مقمرة.. ليلة فرش فيها القمر بساطاً للجميع، لكن القمر افتقد أحبابه إلا رسول الله ﷺ، فلقد خلدوا إلى نوم عميق بعد يوم شاق، كان العمل فيه مرهقاً.

يقول علي بن أبي طالب عن تلك الليلة: (لقد رأيتنا ليلة بدر وما من أحد إلا وهو نائم، إلا رسول الله ﷺ فإنه يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح)<sup>(٣)</sup> أما الصحابة فنام

(١) حديث صحيح. رواه مسلم (الجنة) والبيهقي (٤٨/٣) واللفظ له.

(٢) سنده صحيح. رواه أبو داود ومن طريقه البيهقي ٢-٤٦: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن ثابت عن أنس. موسى ثقة ثبت من رجالهما والبقية أئمة ثقات.

(٣) سنده صحيح مر معنا. رواه أحمد ١-١٢٥ وغيره عن شعبة أخبرنا أبو إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي، وهؤلاء رجالهما عدا حارثة وهو تابعي ثقة التقريب ١٤٩.

بعضهم بعد أدائهم صلاة العشاء، ثم ناموا جميعاً، وعندما استيقظ علي رأهم نائمين جميعاً، وهاهم الواحد تلو الآخر يهبون من نومهم العميق بعد علي بن أبي طالب، فما الذي أيقظ علي وأيقظهم؟.. هل هو القمر؟.. هل هي الليل القمراء التي يحلو معها الحديث والسمر؟.. لا، فالقمر قد اختفى، والتعب أشد من أن يقاوم لكنه:

## المطر..المطر

تآلف السحاب وحجب القمر، وتساقط المطر قطرات.. قطرات، ثم ازدادت القطرات شيئاً قليلاً حتى تتبه الصحابة.. فإذا المطر زخات.. زخات.. يغسلهم، ويخاطبهم القرآن كالمطر: ﴿ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (١).

تحرك الصحابة يستظلون من المطر، أما رسول الله ﷺ فلم يكن نائماً ليستيقظ..

كان كما يصف علي رضي الله عنه: (أصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف<sup>(٢)</sup> نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه عز وجل ويقول: اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تعبد

فلما أن طلع الفجر نادى: الصلاة عباد الله

## - الصلاة جامعة -

فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرص على القتال<sup>(٣)</sup> ثم احتضنت رسول الله ﷺ إغفاءة قصيرة رأى فيها:

(١) سورة الأنفال: الآية ١١.

(٢) الحجفة ترس من جلد.

(٣) سنده حسن. رواه الطبري التفسير ٦-١٩٣: حدثنا هارون بن إسحاق، حدثنا مصعب بن المقدام، حدثنا إسرائيل، حدثنا أبو إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي. وقد مر معنا، لكن الذي جعل السند حسناً هو أنه من رواية مصعب، وهو حسن الحديث من رجال مسلم. التقريب ٢-٢٥٢ وهارون الهمداني صدوق التقريب ٥٦٨.

## بشرى ومنام

ربنا سبحانه يتحدث عن ذلك المنام القصير فيقول: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرْنٰكَهُمْ كَثِيرًا لَفَسَلْتُمْ وَلَنَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَالْحِكْمِ اللَّهُ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلَيْهِ يُدَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ (١) ..

أشرقت في وجوه الصحابة شمس جديدة، ويوم جديد، فتنفسوا هواءً منعشاً، وصباحاً طرياً بالصلاة والمطر.. الأرض أمامهم ساكنة ملبدة لا غبار فيها، والأجواء تملأ صدور المؤمنين حماساً وثقة بالله ووعده، ورسول الله ﷺ يحرضهم على القتال.. يشرع لهم أبواب الشهادة والجنة، ويجعل من أصحابه أحبباً لله ف ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ يُتِنُّ مَرْضُوصٌ﴾ (٢) .. والرسول ﷺ يحب أن يكونوا كذلك، لذلك نظمهم وجعلهم صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وصار يمشي بينهم يصفهم ويعدل صفهم، ثم قال لهم: (إن جمع قريش عند هذا الضلع الحمراء من الجبل) (٣).

## جمع المشركين عند الجبل

بدأوا بالنهوض مثقلين، وصداع الخمر يرن في رؤوسهم.. بدأوا بالنهوض وقلوبهم شتى، وأفكارهم شاردة، والنظام عنهم شارد.. بعضهم كان لا يريد الخروج، والبعض يرى أن من الخطأ قتال أبناء عمومته وإخوانهم وأبنائهم، وهناك من خرج أشراً وبطراً، وقد أغراه قلة عدد المؤمنين فضمن النصر واطمأن للنتيجة، ولما اطمأن القوم بعثوا عمر بن وهب الجمحي فقالوا: أحرز لنا القوم من أصحاب محمد.

فاستجال حول العسكر ثم رجع إليهم فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً، أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر ألقوم كمين أو مدد.

فضرب في الوادي حتى أبعده فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئاً، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلياء تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٣.

(٢) سورة الصف.

(٣) رواه أحمد بسند صحيح وهو جزء من حديث علي الطويل الذي مر معنا.

ليس لهم منعة إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم<sup>(١)</sup>.

سكت الجميع وهم يستمعون إلى هذا الوصف المرعب، وتسلسل من بين هذا الحشد الصامت رجلٌ حكيم، واسمه أيضاً: حكيم.. (حكيم بن حزام) تأثر بكلام عمرو بن وهب الجمحي، وأحس بشيءٍ خطير تحمله نواضح يثرب، (فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد.. إنك كبير قريش الليلة، وسيدها والمطاع فيها، [هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت]<sup>(٢)</sup>؟ هل لك ألا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر؟

قال: وماذا يا حكيم؟

قال: [إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي]<sup>(٣)</sup> ترجع بالناس، وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي.

قال عتبة: قد فعلت، [أنا أتحمل بديته]<sup>(٤)</sup> أنت علي بذلك إنما هو حليفي، فعلي عقله وما أصيب من ماله، فأنت ابن الحنظلية [يعني أبا جهل فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك]<sup>(٥)</sup> فأني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره؟

ثم قام عتبة خطيباً فقال: يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه، أو ابن خاله، أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا واخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان ذلك ألكم ولم تعرضوا منه ما تريدون<sup>(٦)</sup>.

(١) أترّ رواه ابن إسحاق ومن طريقه الطبري (٤٢/٢): حدثني إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار وهذا السند صحيح فوالده ثقة وقد سمع من بعض الصحابة (التقريب ٦٢/١) وهؤلاء الأشياخ ربما كانوا من الصحابة فإن كانوا كذلك فالسند متصل وللأثر شاهد يقويه أيضاً انظر ما بعده.

(٢) هذه الزوائد ليست عند الطبري (انظر ابن كثير ٤٠٧/٢).

(٣) هذه الزوائد ليست عند الطبري (انظر ابن كثير ٤٠٧/٢).

(٤) هذه الزوائد ليست عند الطبري (انظر ابن كثير ٤٠٧/٢).

(٥) هذه الزوائد ليست عند الطبري (انظر ابن كثير ٤٠٧/٢).

(٦) هذا الأثر هو بقية الأثر السابق (انظر ابن كثير ٤٠٧/٢ - السيرة) وشاهده عند الطبري عن حكيم بن حزام، وفيه ضعف ليس بالشديد. (٤٤٣/٢).

كان عتبة بعيد النظر.. خائفاً من مصير قومه الأسود الذي يقودهم إليه رجل طائش حاقد هو أبو جهل.. كان عتبة على جملة الأحمر يدور بين المشركين.. يحاول تثييمهم عن عزمهم، فهو يرى الموت سهاماً في نظرات أصحاب محمد ﷺ، ويرى العار في قتل أبناء العم وقتالهم.. كان عتبة على تلك الحال يناشد، ويمشي ويناشد، ويحاول حقن دماء توشك أن تُسْفَح على جنبات بدر.. يحاول ردم مقابر ومآس كالهافية. لا بد أن أمية بن خلف كان في تلك اللحظات يستمع إليه، ويستبشر به، ويحتفي بكلماته وقلبه يرقص طرباً بما يقول، ولسان حاله يقول: لله درك يا أبا الوليد.. كم أنت رائع، فأنت تتقذني من موت ينتظرنني.. موت وعدني به محمد.

لم يكن من حول عتبة فقط هم الذين يثنون على رأيه.. رسول الله ﷺ كان يراقبه من بعيد.. من الجهة الأخرى كان ينظر إليه، ولم يعرف من هو حتى الآن، لكنه أدرك من حركاته أنها حركات رجلٍ نصوح مشفق على قومه. (نظر رسول الله ﷺ إلى عتبة وهو على جملٍ أحمر فقال: إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا - وهو يقول: يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم، فإنكم إن فعلتم لم يزل ذلك في قلوبكم، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه، وقاتل أبيه، فاجعلوا جنبها برأسي وارجعوا)<sup>(١)</sup>. كان عتبة يريد أن يتحمل عارها وشنارها، ويجنب قومه جحيم الحرب ونارها.

أراد ﷺ أن يعرف من هو صاحب الجمل الأحمر (فقال النبي ﷺ للزبير: ناد بعض أصحابك، فسله من صاحب الجمل الأحمر؟ قالوا: عتبة ابن ربيعة، وهو ينهى عن القتال وهو يقول: يا قوم إني أرى قوماً مستميتين، والله ما أظن أن تصلوا إليهم حتى تهلكوا)<sup>(٢)</sup>.

(١) سنده جيد وهو صحيح بالشواهد. رواه البزار ٢-٢١٢ - زوائد. يزيد بن هارون أنبأنا جرير بن حازم، عن أخيه يزيد بن حازم، عن عكرمة عن ابن عباس: يزيد ثقة متقن وشيخه ثقة إلا عن قتادة وهذا ليس منها فشيخه هنا هو أخوه يزيد وهو ثقة (التقريب ٦٠٦ و١٣٨ و٦٠٠ وعكرمة غني عن التعريف. وللحديث شواهد.

(٢) سنده صحيح. رواه البزار (٣١١/٢) بالسند الذي مر معنا كثيراً وهو: إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة عن علي. وتلميذ إسرائيل هو عثمان بن عمر العبدي: ثقة. (التقريب ١٢/٢) وتلميذه الثقة الثبت: محمد ابن المثني المعروف ب (الزمن) (التهذيب ٤٢٥/٩).

والتفت ﷺ فرأى عمه حمزة في موقع قريب من المشركين فأراد أن يتحقق من قول أصحاب الزبير ويتأكد: (فقال رسول الله ﷺ: يا علي، ناد لي حمزة -وكان أقربهم من المشركين- من صاحب الجمل الأحمر؟ وماذا يقول لهم؟

فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال ويقول لهم: يا قوم إنني أرى قوماً مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم، اعصبوها اليوم برأسي وقولوا: جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أنني لست بأجبنكم<sup>(١)</sup>.

كان عتبة يثير الحسرات والزفرات، فابنته هند زوجة أبي سفيان تحبه وتخشى عليه، أما ابنه الوليد وأخوه شيبه فكانا رهن إشارته، لكن أين ابنه الآخر؟

### حسرة على عتبة

كان عتبة فوق جملة الأحمر يثير إعجاب النبي ﷺ برأيه السديد، لكنه كان يثير حسرة لدى أحد الشباب المؤمنين خلف رسول الله ﷺ.. كأنني بهذا الشاب يتناول، ويتناول ليحظى بنظرة أخيرة لصاحب هذا الجمل الأحمر.. كأنني به يرفع رأسه ليراه، فيتحرك قلبه نحوه بالأسى والحزن، والذكريات الحلوة الميرة. فعندما كان هذا الشاب طفلاً كان صاحب الجمل الأحمر يحمله ويداعبه.. كان يسير معه في طرقات مكة وكان يكسوه أحسن الثياب، ويطعمه أطيب الطعام.. كم مرة قبله، وكم مرة عانقه، وكم مرة تعثر فحمله، وبكى فأسكتته بما يرضيه، ومرض فبحث له عن يداويه.. ذكريات حلوة ومريرة، فمن يكون هذا الشاب، وما صلته بهذا الشيخ الكبير؟

إنه: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وهذا الشيخ هو أبوه الذي رباه ورعاه وحنا عليه، وهو اليوم عدوه.. والده اليوم أعقل وأحكم من في معسكر قريش، فأين تلك الحكمة، وأين هذا العقل قبل اليوم؟! أين الحكمة في الخروج من أجل أصنام لا تستطيع الحراك من أماكنها؟ أين الحكمة في عبادة حجر أو خشبة تفتقر إلى أبسط صفات السيادة، ألا وهي إصدار الأمر أو النهي..؟!؟

(١) حديث صحيح مر معنا. رواه أحمد بالسند السابق.

كان هذا الشاب يتحسر على أبيه، مثلما تحسر علي بن أبي طالب على أبيه، وهو يشاهد رجاءات النبي ﷺ تتحطم على صخرة العناد في قلب أبي طالب، ليموت أبو طالب وهو كتلة من العناد، وهاهي الصورة تتكرر على أرض بدر.

كان عتبة خائفاً أشد الخوف على مجد قريش أن يدفن في هذا الصباح الممطر الجميل.. عتبة يرى الموت يطل عليهم من فوق الجبال.. يرى الموت في السحاب، وفوق نواضح يثرب، لذلك أرسل حكيم بن حزام إلى أبي جهل لعله يتراجع عن غيه. أرسل حكيم بن حزام إلى أبي جهل ليعرف رأيه فهو صاحب شر مستطير، وعقل صغير. أبو جهل سفيفه متهور.. قد يثير الفتنة والمشاكل بين جيش قريش نفسه، فيكونون غنيمةً سهلةً لمحمد وأصحابه.. غنيمة أسهل من قافلة أبي سفيان، فلا بد من كلمة واحدة، ورأي واحد ولو كان مرأً.

توجه حكيم كما طلب منه عتبة، ليروي ما حدث فيقول: (فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل درعاً فهو يهثها<sup>(١)</sup> فقلت له: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا؟ فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال، ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه، فقد تخوفكم عليه)<sup>(٢)</sup>. كان أبو جهل يستخدم العواطف.. يثيرها.. يفجرها فتنةً.. يفجرها ثارات وسيوفاً، وهاهو يقبل الحقائق.. يجعل من رأي عتبة العاقل جبناً، وخوفاً على ابنه أبي حذيفة الذي بين صفوف المؤمنين. ويبرر هذا الرأي الساقط بأن عتبة يرى أن محمداً ﷺ وأصحابه.. لا يأخذون من المشركين جهداً أكثر من جهدهم في تناول وجبة من الطعام قد طبخ فيها جمل من الجمال.

إنه يرى المسلمين جزوراً شهياً قد قدم على مائدة بدر، وقد حان موعد التهامه، وابن عتبة لقمة في هذه الوجبة الشهية، وقد خشى عتبة على ابنه من أفواه قريش وسيوفهم المتلمظة المتعطشة.

(١) أي يصلحها ويهيئها ويطلبها بعكر الزيت.

(٢) أثر حسن. رواه ابن إسحاق ومن طريقه الطبري (٤٤٤/٢) وهو حديث طويل ضعيف عدا ما كان له من الشواهد ما يقويه كهذا الجزء الذي يشهد له ما عند البزار التالي.

أبو جهل يقول: (انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه، إنما محمد وأصحابه كأكلة جزور لو قد التقينا)<sup>(١)</sup> ويفقد أمية بن خلف آخر آماله في الحياة، فلقد تحرك ابن الحنظلية البغيض مفتشاً عن إثارة أكثر لهذه القلوب السوداء، ومفتشاً عن جمر يلقيه في تلك النفوس كي تتحرق للثأر. أرسل إلى عامر بن الحضرمي الذي يتحرق للأخذ بثأر عمر بن الحضرمي الذي قتلته سرية (نخلة) السابقة.

أرسل أبو جهل المزيد من الجمر ليلقيه في صدر عامر المتلهف للثأر.. (بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع الناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فانشد خضرتك ومقتل أخيك. فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ:

واعمراه..

واعمراه..

فحميت الحرب، وحقب أمر الناس، واستوثقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة، فلما بلغ عتبة قول أبي جهل: انتفخ والله سحره. قال: سيعلم مصفر أسته من انتفخ سحره أنا أم هو)<sup>(٢)</sup>.

لم يكف أبو جهل ببلوغ صراخه إلى عتبة.. لقد تحرك الطاغوت نحو عتبة بن ربيعة لاستفزازه، ليوظفه باتجاه شقه أبو جهل، ليحوّله من نقطة ضعف وسكينة، إلى بركان تتفجر منه المعركة حالاً.. توجه أبو جهل إلى عتبة صارخاً بوجهه: (أنت تقول ذلك! والله لو غيرك يقوله لأعضضته، قد ملأت رثتك جوفك رعباً)<sup>(٣)</sup> فتار عتبة وانفجر في وجه أبي جهل قائلاً: (إياي تعير يا مصفر أسته؟ ستعلم اليوم أينما الجبان)<sup>(٤)</sup> (ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه، فما وجد في الجيش بيضة<sup>(٥)</sup> تسعه من عظم رأسه، فلما رأى ذلك اعتجر<sup>(٦)</sup> على رأسه ببردٍ له)<sup>(٧)</sup>.

(١) حديث صحيح. وهو جزء من حديث البزار السابق (٢١٣/٢ - الزوائد).

(٢) جزء من حديث ابن إسحاق السابق القوي. ومصفر أسته: الذي يُخرج الريح من الجبن.

(٣) حديث صحيح. وهو جزء من حديث الإمام أحمد وقد مر معنا.

(٤) حديث صحيح. وهو جزء من حديث الإمام أحمد وقد مر معنا.

(٥) الخوذة التي توضع على الرأس في الحروب.

(٦) لف البرد على رأسه كالعمامة... والبرد قماش يلتحف به.

(٧) جزء من أثر ابن إسحاق السابق وهو حسن.

نجح أبو جهل بتحريضه لغضب عتبة، فأوصله إلى حالة شديدة من التوتر والتهور، وأفلح الطاغوت في إثارة حمية أخيه وابنه (فيرز عتبة وأخوه شيبه وابنه الوليد حمية)<sup>(١)</sup> يريدون الحرب.

سمع المسلمون ذلك الضجيج فتزينوا للجنة، وتوجه النبي ﷺ إلى جبار السموات والأرض يناشده ويناشده، ويستمطره رحمةً ونصراً. فنظر إليه أبو بكر الصديق فرق لحاله، وأشفق عليه، ثم تحرك نحوه بكل رفق، والتف حوله وضمه ضمةً لا يجروء عليها إلا أبو بكر، فمشاعر أبي بكر لا يعبر عنها إلا أبو بكر.

فكم أبكى ذلك المشهد من الصحابة عندما (نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال:

اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً.

فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده -ألقاه على منكبيه<sup>(٢)</sup>- ثم التزمه من ورائه، ثم قال: كفاك يا نبي الله بأبي وأمي<sup>(٣)</sup> مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

لقد فعل ﷺ كلما يمكنه فعله.. فعل الأسباب كلها، ثم توجه إلى الله يناشده ويدعوه. هذا هو التوكل الصحيح الذي رسمه لأتباعه:

فعل السبب، ولكن جعل النتائج على الله

فعل ﷺ ذلك كله وما زال يفعل:

شاور المهاجرين والأنصار قبل الانطلاق.

(١) حديث صحيح. وهو جزء من حديث الإمام أحمد وقد مر معنا.

(٢) لفظ مسلم.

(٣) لفظ ابن جرير.

(٤) حديث صحيح. رواه مسلم ١٣٨٣-٢ وغيره.

ثم قطع الأجراس من أعناق الإبل إمعاناً في السرية.

رفض أن ينتظر أي شخص لم يكن جاهزاً.

أبقى هدف المسير سراً عند انطلاقه.

رفض أن يصحبه أي مشرك حتى ولو كان صادقاً ذا حمية وشهامة.

سمح للقادرين على القتال فقط بمصاحبه.

أمرهم بالتعاقب على الرواحل حتى يهون عليهم المسير قليلاً وهو ليس بهين.

استطاع أن يعرف عدد الخارجين للقتال من قريش.

استشار أصحابه في الماضي أو العودة فوافقوا على الماضي.

سبق ﷺ المشركين إلى العدو الدنيا حيث الماء الآبار.

بنى المسلمون لهم حوضاً يشربون منه أثناء المعركة.

وبعد ذلك وقبله توجه إلى الله يناشده ويدعوه.

يقول علي رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ لما أصبح بيدر من الغد أحيا تلك

الليلة كلها وهو مسافر)<sup>(١)</sup>، والسفر إرهاق ومشقة، ومع ذلك يقول علي: (لقد رأيتنا

ليلة بدر وما منا أحد إلا وهو نائم، إلا رسول الله ﷺ فإنه يصلي إلى شجرة، ويدعو

حتى أصبح)<sup>(٢)</sup>.

عمل ودعاء.. هذا هو منهج نبي الله ﷺ، وهذا هو توكله على الله، وبعد الدعاء بدأ

العمل من جديد، فالصحابة قليلون، ولا بد من خطة محكمة، وتطبيق صارم كالسيف،

فالخطأ يكلف كثيراً، وعدم تنفيذ الأوامر كارثة، فالمعركة تحتاج إلى كل الجهود.. تحتاج

(١) سنده حسن مر معنا كثيراً. رواه أبو يعلى ومن طريقه ابن حبان (موارد ٤٠٩): حدثنا الأزرق ابن علي أبو

الجهم، حدثنا حسان بن إبراهيم، حدثنا يوسف بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن

علي. الأزرق صدوق وشيخه حسن الحديث من رجال الشيخين التقريب ٩٧ و١٥٧ ويوسف حفيد أبي

إسحاق ثقة من رجال الشيخين.

(٢) حديث صحيح مر معنا.

للجميع دون استثناء، وفي أمس الحاجة تلك، وفي أخرج الظروف وأصعبها يصل صحابي ووالده للمشاركة مع نبيهم ﷺ، ومع ذلك يرفض ﷺ مشاركتهما.. رغم صدقهما وإخلاصهما، وتحملهما المشاق في السير نحوه. ذلك الصحابي هو حذيفة بن اليمان.

## لماذا يرفض ﷺ مشاركة حذيفة ووالده؟

سؤال بحجم المعركة، والإجابة بحجم محمد ﷺ. ليس هناك أزمة ثقة بحذيفة، بل إن حذيفة فوق الشبهات، كيف لا وقد سلمه الرسول ﷺ يوماً قائمة سرية بالأسماء والأحداث التي سيفصح عنها التاريخ..؟ سلمها ﷺ لأمانة حذيفة وأعماقه.

الأمر هنا لا يتعلق بالثقة.. الأمر يتعلق بالرسول ﷺ وبالقيادة الإسلاميين والدعاة من بعده. حذيفة مر من هناك.. هناك حيث صادفه المشركون هو ووالده حسيل. سألنا حذيفة عن أمر يستطيع إخبارنا به.. إنه ليس سراً: ما الذي منعك يا حذيفة من المشاركة في غزوة بدر؟

فيجيب حذيفة رضي الله عنه قائلاً: (ما منعتني أن أشهد بدرًا، إلا أنني خرجت أنا وأبي (حسيل) فأخذنا كفار قريش، فقالوا: إنكم تريدون محمداً. فقلنا: ما نريد إلا المدينة.

فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لئنصرف إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم)<sup>(١)</sup>.

إنها إجابة بحجم محمد ﷺ، والتزام أعين من يهتبلون ثماراً ناضجة وغير ناضجة.. أعين زعماء ودعاة ذوي نظرة آنية.. لا يرون إلا ما أمامهم: (نفي لهم بعهدهم)<sup>(٢)</sup> وهم المشركون الذين يعبدون الأصنام، ويحاربون الله ورسوله، وما خرجوا إلا لطمس التوحيد وسفك دماء الموحدين.. خرجوا لذبح نبي الإسلام، وتدمير دولته، ومع ذلك (نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم)<sup>(٣)</sup>.

(١) سنده حسن رواه ابن أبي شيبة ٧-٢٦٣: حدثنا أبو أسامة، عن الوليد بن جميع، حدثنا أبو الطفيل، حدثنا حذيفة بن اليمان. الوليد تابعي حسن الحديث ومن رجال مسلم التقريب ٥٨٢ وتلميذه حماد بن أسامة ثقة ثبت التهذيب ٢-٣ وأبو الطفيل صحابي.

(٢) حديث صحيح وهو الحديث السابق.

(٣) حديث صحيح وهو الحديث السابق.

ما أعظم هذا الدين وأنقاه وأرقاه... ياله من تحضر وسمو غير مسبوق. إذا كان هذا هو حجم الاحترام للعلاقة - العهد مع الأعداء، فكم هو حجمه بين المسلم وأخيه!!  
سؤال عرف الإجابة عليه حذيفة ووالده ووعياه، فودع النبي ﷺ صاحبيه وانصرفا وهما ثقيلان لا يطيقان ذلك الوداع.

تَوَجَّها والحزن إلى المدينة، وتوجه ﷺ إلى صحابته بعد هذا الدرس الذي تغفلت في أعماقهم، وسرى في دمائهم، وعاد ﷺ إلى العمل من جديد، فجعل ﷺ لجيشه رايةً ولواءً، والراية هي (علم الجيش) واللواء أصغر منها و(كانت رايته ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض)<sup>(١)</sup>.. رايته (كانت سوداء مربعة من نمرة<sup>(٢)</sup>). وتحت هذه الراية نظم ﷺ أصحابه صفوفاً أو صففاً، لأن الله يحب ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَنٌ مَرْمُوسٌ﴾<sup>(٤)</sup> بنيان متماسك وقوي، ولذلك فإن رسول الله ﷺ لما رأى خللاً في الصف سارع إلى تقويمه.

يحدثنا أبو أيوب الأنصاري عن ذلك فيقول: (صففنا يوم بدر فندرت منا نادرة أمام الصف، فنظر رسول الله ﷺ إليهم فقال: معي، معي)<sup>(٥)</sup> وجعل جزءاً منهم خلف الصفوف، وفي أماكن مناسبة تمكنهم من مراقبة تحركات الأعداء، وتقديم المعلومات لرسول الله ﷺ، وكان من بين هؤلاء ذلك الغلام الذي يدعى: (حارثة بن سراقة) وهو أنصاري من بني النجار، وقد أدرك ﷺ أن هذه القلة المؤمنة تحتاج إلى شعار يعرف بعضهم بعضاً به إذا حمي الوطيس، والتحمت السيوف بالأعناق والرؤوس فكان:

(١) حديث حسن. صحيح ابن ماجه (١٣٣/٢).

(٢) برده من صوف.

(٣) حديث صحيح. صحيح أبي داود (٤٩١/٢) عدا قوله: مربعة.

(٤) سورة الصف.

(٥) سنده قوي. رواه أحمد (٤٢٠/٥) من طريق موسى بن داود وعبد الله بن المبارك حدثنا.. وأخبرنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أسلم أبا عمران التجيبي حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول:.. وهذا السند قد خلا من علة اختلاط ابن لهيعة لأن أحد تلميذيه هو ابن المبارك.. وشيخه يزيد بن أبي حبيب المصري ثقة فقيه من رجال الشيخين (التقريب ٢/٢٦٣) وقد سمع من التابعي المصري الثقة أسلم ابن يزيد التجيبي (التقريب ١/٦٤).

## الصفات الأبيضة شعاراً للمسلمين

قال علي بن أبي طالب: (كان سيماً أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر: الصوف الأبيض)<sup>(١)</sup>.

وقد كان لبعض الصحابة علامات يعرفون بها، فحمزة مثلاً (معلم بريشة نعامة في صدره)<sup>(٢)</sup> كان أسداً عليه ريش النعام.

أما الزبير فعلامته يحدثنا بنفسه عنها فيقول: (كان على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجراً بها)<sup>(٣)</sup> ولهذه العمامة الصفراء أصداء في السماء تنتظر النزول سنعرها بعد قليل، وسنعر معها علامتين لا يراها أحد.. علامة لأبي بكر، وعلامة لعلي رضي الله عنهم أجمعين، ولكن قبل ذلك كان هناك علامة للجميع.. علامة في العيون والنفوس.. علامة غشيت المؤمنين كلهم إنها:

### النعاس وشيء آخر

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾<sup>(٤)</sup>

لقد ألقى الله النعاس على المؤمنين أمناً منه وسلاماً، وثقة بنصر الله، كما بث في نفوسهم شيئاً جعلهم يتحفزون للقتال (لقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم، وقللهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم)<sup>(٥)</sup>.

(١) سنده صحيح. رواه ابن أبي شيبة ٧-٢٥٤ بالسند الصحيح الذي مر معنا كثيراً: إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة عن علي.. وشيخه وكيع بن الجراح إمام ثقة.

(٢) رواه ابن إسحاق بسند وغيره عنه: حدثني عبد الواحد بن أبي عوف، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف. عبد الواحد ثقة وليس كما قال الحافظ صدوق يخطئ. راجع تعليقي على التقريب، وسعد ووالده تابعيان ثقتان من رجالهما.

(٣) سنده صحيح رواه ابن أبي شيبة ٧-٣٦١ من طريقين أحدهما: حدثنا عبدة، عن هشام، عن عباد بن حمزة عن الزبير، وعبدة بن سليمان ثقة ثبت التقريب ٣٦٩ وهشام ثقة مر معنا كثيراً، وشيخه تابعي ثقة وروايته عن أسماء وعائشة وجابر ووالده وللحديث شواهد.

(٤) سورة الأنفال: الآية ١١.

(٥) رواه ابن إسحاق بسند صحيح ومن طريقه الأموي (سيرة ابن كثير ٢/٤٣٤) حدثني الزهري عن عبد الله ابن ثعلبة بن صعير. الزهري تابعي ثقة معروف وشيخه صحابي.

كان الصحابة مزيجاً من التحفز والنعاس الغريب، وكان الوحي يتنزل على الملائكة أن يهبطوا إلى أرض المعركة لتثبيت المؤمنين، حيث يقول سبحانه: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾<sup>(١)</sup>. لكن أين الملائكة؟ بل أين رسول الله ﷺ في هذه اللحظات الحرجة، التي بدأت فيها أصوات المشركين بالارتفاع والشجار من أجل المعركة؟ أين رسول الله فهو ليس بين الصفوف، وليس مع النظار وليس عند الحوض؟

## أين رسول الله وأين الملائكة

لقد ذهب قبل قليل إلى العريش، وتبعه أبو بكر.. إنه الآن داخل العريش، وهو يعاني حالة من النعاس، ورأسه يخفق..

هاهو لقد أفاق من نعاسه، وخرج والبشرى تحمله ويحملها.. إنه يبشر صاحبه أبا بكر بشيء مفرح فما هو؟!

يقول أحد الصحابة: (خفق)<sup>(٢)</sup> رسول الله ﷺ خفقة في العريش، ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل معتمر بعمامته أخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع، أتاك نصر الله وعدته)<sup>(٣)</sup> (هذا جبريل أخذ رأس فرسه عليه أداة الحرب)<sup>(٤)</sup> هبط جبريل مُعْتَمّاً.. ما لون عمامته، وهل هبط لوحده؟

سنعرف بعد قليل، فرسول الله ﷺ يتجه مبشراً أصحابه بما حدث، ومحرضاً شجاعتهم للتضحية بأرواحهم في سبيل الله. إنه يحدثهم.. يوقظ فرحهم بالجنة والشهادة، لقد (خرج ﷺ إلى الناس فحرضهم)<sup>(٥)</sup> وعندما يحرض رسول الله ﷺ لا يقول إلا حقاً، وإذا قال.. تحرك الجميع من حوله.

(١) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٢) حرك رأسه وهو ناعس.

(٣) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ومن طريقة الأموي (سيرة ابن كثير ٢-٤٣٤): حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير.. وقد صرح ابن إسحاق بالسمع من شيخه التابعي الثقة، وعبد الله بن ثعلبة صحابي.

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري.

(٥) رواه ابن إسحاق وهو جزء من حديثه الطويل وهو ضعيف إلا ما كان له ما يقويه. كهذه العبارة عند أحمد وسندها صحيح وقد مر معنا (سيرة ابن كثير ٢-٤٢٢).

يقول ﷺ وهو يتحدث عن الصفوف: (قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة)<sup>(١)</sup> و(الشهداء الذين يقاتلون في سبيل الله في الصف الأول، ولا يلتفتون بوجوههم حتى يقتلوا، فأولئك يلقون في الغرف العلاء من الجنة، يضحك إليهم ربك، إن الله تعالى إذا ضحك إلى عبده المؤمن فلا حساب عليه)<sup>(٢)</sup>.

ويقول ﷺ: (موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود)<sup>(٣)</sup> وإن (للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين من أهل بيته)<sup>(٤)</sup>.

إذا فهي الرحلة للنصر في الدنيا والتمكين لدين خالق هذه الدنيا، أو السفر العاجل إلى الجنة.. لا العودة إلى تلك الصفة أو بيوت الحجر والطين، بل السفر إلى قصور بحجم الأحياء والمدن.. قصور ليست من الحجارة أو الطين أو القش، بل من الذهب أو الفضة أو المرجان، أو اللؤلؤ أو الياقوت، أو الألماس، ليس فيها دورات للمياه، فأهل الجنة و(أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتقلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك)<sup>(٥)</sup>.

إذا كانوا بهذا الجمال، وأجسادهم بهذه النضارة، ولا إفرازات مؤذية لتلك الأجساد، ولا روائح منتنة أو كريهة تتبعهم، وإذا كان عرقهم ورائحة آباطهم أرقى من كل أنواع العطور الدنيوية، فلك أن تحلق في الخيال حتى تتعب، كي تصف حبيباتهم المؤمنات، وفتتهن التي لو بدى شيئاً منها لذهل رجال الأرض صالحهم وفاسدهم.. إنها الجنة، حيث السيارات والطائرات واليخوت في منتهى الروعة وجمال التصميم والرفاهية.. ليست حكراً على أحد، وليست لأناس دون ناس.

(١) حديث صحيح. صحيح الجامع (٢-٨١٥).

(٢) حديث صحيح. المصدر السابق (١-٦٩٥).

(٣) حديث صحيح. المصدر السابق (٢-١١٢٧).

(٤) حديث صحيح. السابق (٢-٩٢٠).

(٥) صحيح البخاري ٢-١٢١٠.

إنها الجنة حيث لا أمراض ولا قبح ولا ترهل ولا شيخوخة ولا ملل، ولا حسد ولا كراهية، ولا شرك ولا جهل ولا تخلف ولا حروب ولا دمار ولا خوف من القادم والمجهول، بل اقتحام لا ينقطع ولا يتوقف للجديد والجميل والرائع والمثير، واكتشاف متواصل، وأجمل ما فيها رؤية الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى.

إن من يسمع كلمات النبي عليه السلام، ليهون أمامه الموت والفناء، بل إن الموت يهون ويسهل للشهيد حقاً، فالموت يداعب الشهداء مداعبةً.. بشر بذلك رسول الله ﷺ فقال: (الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة)<sup>(١)</sup>.

إن من يستمع إلى هذه الأحاديث وهو على سريره سيبحث عن أي معركة يكون فيها شهيداً، فكيف لو سمعها رجل يحمل سلاحه وسط الصفوف. بل كيف إذا سمعها من يرى زخات المدد من السماء.. يبشر بها رسول الله ﷺ أصحابه، ويبشر بها الله فيقول سبحانه: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ رِيحَكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وكانوا خير مدد، وكانوا خير الملائكة.

هذا كبيرهم: جبريل عليه الصلاة والسلام يصفهم بنفسه، فقد (سأل جبريل النبي ﷺ: كيف أهل بدر فيكم؟ قال ﷺ: خيارنا).

قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة هم خيار الملائكة)<sup>(٣)</sup>.

أما كبار الملائكة: ميكائيل وإسرافيل، فقد كان في نزولهم تكريماً لأبي بكر الصديق، ولعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فلقد (قيل لأبي بكر الصديق وعلي يوم بدر: مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم، يشهد القتال، أو يقف في الصف [ولا يقاتل])<sup>(٤)</sup>.

(١) حديث صحيح. السابق (١-٦٩٦).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٤.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٩٣) والبيهقي (١٥١/٣) واللفظ له.

(٤) سنده صحيح. رواه ابن أبي شيبة واللفظ له عدا ما بين المعقوفين ٧-٣٥٢ والبيهقي ٣-٥٥ وأحمد والبخاري (الزوائد ٢-٣١٤) من طرق عن مسعر بن كدام الهلالي وهو ثقة ثبت فاضل (التقريب ٢/١٨٧) عن شيخه أبي عون الثقفي وهو ثقة من رجال الشيخين (التقريب ٢/١٨٧) عن شيخه التابعي الثقة أبي صالح عبد الرحمن بن قيس الحنفي (التقريب ١/٤٩٥).

لقد ثارت المعارك في نفوس الصحابة، واستعر لهيبها في دمائهم، فقال ﷺ لهم قولاً ينظم حماسهم وتوثبهم، ويسدد رميهم وسيوفهم.. قولاً يفتك بأعدائهم.

ها هو أحدهم أبو أسيد الساعدي ممتلئاً بالحماس والتوثب، سأله: ماذا قال لكم نبينا يا أبا أسيد الساعدي فقد كنت بين الصفوف؟

فقال رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ حين اصطفنا يوم بدر: إذا أكثبوكم - يعني إذا غشوكم - فارموهم بالنبل، واستبقوا نبلكم)<sup>(١)</sup>.

يكاد الصبر يفتك بالصف المؤمن.. ذلك الصف المرصوص كالبنيان، إلا لبنة قوية كانت تتلملل.. تشعر بالحرج.

إنه عبد الرحمن بن عوف، فما الذي جرى له؟ ولماذا يشعر بالإحراج وكأنه يريد أن يغير مكانه؟

### عبد الرحمن بن عوف يتمنى مكاناً آخر

أيتمنى ابن عوف أنه كان في بيته، حتى لا يقاتل عشيرته وأبناء عمومته؟ أم هو خائف؟

الأمر ليس كذلك، فليست هذه طباع عبد الرحمن بن عوف، لكن القدر ساقه ليكون بين غلامين صغيرين في الصف.. كان ينظر يميناً فيرى غلاماً، وينظر عن يساره فيرى مثل ذلك. ماذا سيفعل ابن عوف؟ لم يمهل الغلامان، لقد بادراه بالهمس. كان همساً غريباً.. كان كل واحد منهما لا يريد أن يُسمع صاحبه ما يقول. ما قصة هذين الغلامين؟

سألنا عبد الرحمن بن عوف عما جرى له مع هذين الغلامين فقال: ([إني لواقف] يوم بدر في الصف، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما [سراً] من صاحبه] فقال: يا عم أتعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم، وما حاجتك إليه؟ قال: أخبرت

(١) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٣-٧٠) وغيرهم.

أنه يسب رسول الله ﷺ، [عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه] والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك.

فغمزني الآخر فقال لي أيضاً [سراً من صاحبه] مثلها، [فما سرني أنني بين رجلين مكانهما]، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتما<sup>(١)</sup>

سَلَّ كل فتى سيفه ليسبق صاحبه إليه، لكننا سنسبق الفتیان إلى أبي جهل. ها هو.. إنه يحرض الناس على القتال، بل إنه يفعل أمراً عظيماً طالما كفر به، إنه يدعو الله وحده.. إنه لا يدعو الأصنام.. لماذا؟

### هل أسلم أبو جهل

هل أسلم في اللحظات الأخيرة؟ يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم: (إن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم [أينا كان] أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرفه فاحنه الغداة، فكان المستفتح)<sup>(٢)</sup>.

لم يسلم أبو جهل.. كان يريد استدراج سذاجة قومه أكثر فأكثر للقتال..

كان لا يريد أن تقع كارثته، فزعامته لقريش مرهونة بهذه المعركة، وبقاء رسول الله ﷺ حياً.. كأني بأمية بن خلف يستمع إلى دعائه فيقول: لعنة الله عليك من أفاك..

وقد أنزل الله على نبيه آيات تبشر أبا جهل بما أراد فقال سبحانه: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِن تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدَّ وَلَنْ نُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وأبو جهل ليس منهم.. إنه يحاول أن يكرس وهماً في نفوس أتباعه بأنهم على حق. لم يكتف أبو جهل بالاستفتاح والاستتصار من الله، لقد هرع إلى عتبة بن ربيعة ليسخر منه أمام الجميع، وليجعله أضحوكة وعبرة لمن يفكر بالتراجع عن الحرب مجرد تفكير.

(١) صحيح البخاري ٣-١١٤٤ والزوائد له أيضاً لكن في رواية أخرى.

(٢) رواه ابن إسحاق بسند صحيح ومن طريقه الإمام أحمد ٥-٤٣١: حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة ابن صعير. والزهري ثقة وشيخه صحابي والسند مر معنا من قبل.

(٣) سورة الأنفال: الآية ١٩.

وقف أبو جهل أمام عتبة (فقال: أنت تقول ذلك! والله لو غيرك يقول لأعضضته، قد ملأت رثتك جوفك رعباً)<sup>(١)</sup>، فغضب عتبة من تلك الكلمات الجارحة، ونجح أبو جهل في إثارتها، فأخذته العزة بالإثم، فالتفت إلى أبي جهل وقد احتقن من الغضب فقال له شيئاً يمرغ رجولته وزعامته.. قال عتبة لأبي جهل: (إياي تعني يا مصفر أسته، ستعلم اليوم أينما الجبان)<sup>(٢)</sup> (ستعلم من الجبان المفسد لقومه، أما والله إنني لأرى قوماً يضربونكم ضرباً، أما ترون؟ كأن رؤوسهم الأفاعي، وكأن وجوههم السيوف)<sup>(٣)</sup>.

تجمد الدم في عروق أمية، وأدرك أبو جهل أن حمزة في الطريق، وتهاوت معنويات الوثنيين، لكن عتبة أصر على الخروج ليغسل عار الجبن الذي سكب عليه أبو جهل، ثم صاح بعد أن لف قطعة قماش على رأسه: يا شيبية بن ربيعة.. يا وليد بن عتبة، لقد دعا أخاه وابنه فخرج يمشي بينهما)<sup>(٤)</sup> (فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار مشبية)<sup>(٥)</sup> (ثلاثة نفر: عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفرأ، ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحة. فقال: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار. فقالوا: ما لنا بكم حاجة.

ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا)<sup>(٦)</sup> (وقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن نبارز من بني عمنا من بني عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ:

### (قم يا حمزة.. وقم يا علي.. وقم يا عبيدة)<sup>(٧)</sup>

ثلاثة من بني عبد المطلب كأن وجوههم السيوف.. ثلاثة أقبلوا كأنهم الموت، فكان عتبة الضحية لحمزة هذا اليوم، فهوت حكمته وشجاعته، وشركه وعناده على أرض

(١) حديث صحيح مر معنا وهو جزء من حديث الإمام أحمد ١ - ١١٧.

(٢) هو جزء من الحديث الصحيح السابق ١ - ١١٧.

(٣) سنده صحيح. رواه البزار زوائد ٢-٣١٢. يزيد بن هارون أنبأنا جرير بن حازم عن عكرمة عن ابن عباس. جرير ثقة إذا روى عن غير قتادة، ويزيد ثقة وتلميذه شيخ البزار إبراهيم بن سعيد الجوهري ثقة التقريب ٦٠٦ و٨٩ وللحديث شواهد.

(٤) جزء من حديث البزار السابق وهو صحيح زوائد ٢-٣١٢.

(٥) جزء من حديث أحمد الصحيح وقد مر معنا ١ - ١١٧.

(٦) جزء من حديث ابن إسحاق وهو حسن بإسناد أحمد السابق.

(٧) جزء من حديث أحمد الصحيح وقد مر معنا ١ - ١١٧.

بدر، وهوى أخوه شيبه جثة هامدة تحت قدمي علي. لم يستغرقنا وقتاً طويلاً أمام هذين الفارسين من بني عبد المطلب، لكن ماذا حدث لعبيدة بن الحارث رضي الله عنه.

عليّ يقص علينا ما حدث فيقول: (أقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شيبه، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأخذ كل واحدٍ منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه، واحتملنا عبيدة)<sup>(١)</sup>

ابتهج ﷺ بفرسانه، وفرح بانتصارهم، وتحمس المؤمنون جميعاً لعناق الموت، فرائحة الشهادة تعطر أجواء بدر.. تأجج حماسهم، وأيقنوا كما أيقن نبيهم ﷺ بالنصر، فصاح بأصحابه: (قوموا إلى جنة عرضها السموات الأرض)<sup>(٢)</sup>.

سمع أحد الصحابة -وهو الذي كان يحمل تمرًا في جيبه- سمع ذكر الجنة فطار قلبه، وتوجه نحو رسول الله ﷺ كالفرح، ولما وقف أمامه قال: (يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال ﷺ: نعم.

قال: بخ.. بخ. فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قول بخ.. بخ؟ قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال ﷺ: فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن)<sup>(٣)</sup>.

ما هذا الرجل، ومن هو..؟ يبشره ﷺ بالجنة فيأكل تمرًا..!! سنعرف بعد قليل، فلنعد إلى رسول الله ﷺ حيث لا تمر في كفيه، لكن كفه كانت مليئة بشيء غير التمر.. شيء لا يؤكل. فما هذا الشيء وماذا يريد أن يفعل به؟

لقد (أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى بيده، ثم خرج فاستقبل القوم، فقال:

## شاهت الوجوه

ثم نفحهم بها، ثم قال لأصحابه: احملوا)<sup>(٤)</sup> فانطلق الصحابة كالسهام.. كالموت، ونظر صاحب التمرات إلى تمراته، ثم قال: (لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها

(١) سنده صحيح. رواه أبو داود ٢-٥٩ وغيره بسند إسرائيل عن أبي إسحاق... السابق.

(٢) حديث صحيح. رواه مسلم ٣-١٥٠٩.

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم ٣-١٥٠٩.

(٤) سنده قوي مر معنا رواه الأموي (ابن كثير ٢/٤٢٤) حدثنا أبي حدثنا ابن إسحاق حدثني الزهري عن عبد

الله بن ثعلبة بن صعير. الزهري ثقة وشيخه صحابي والأموي وولدها ثقتان.

لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل<sup>(١)</sup> قتل شهيداً رضي الله عنه وأرضاه.. هذا الشهيد أنصاري يدعى: عمير بن الحمام.

أما حمزة فقد شق صفوف الوثنيين بسيفه.. يتساقطون أمامه واحداً واحداً. أحد الجبناء: أمية بن خلف كان ينظر إليه وينتفض، وينتفض السيف في يده، وتنتفض الريشة التي زين بها حمزة صدره.. أمية بن خلف كان يرتعد خوفاً ويقول لمن حوله: (ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل) وهو لم يحدد من ذلك الشخص بعد.. لم يعرف أنه حمزة بعد، وكان أحد ضحايا حمزة رجل من مشاهير قريش اسمه: (طعيمة بن عدي) وهو أخو الرجل الشهم (المطعم بن عدي).

ومن مكان آخر انطلق عبد الرحمن بن عوف، وانطلق الشابان كقذيفتين من حوله.. يتسابقان نحو رأس أبي جهل، لكن كيف والمشركون كالشجر الملتف حوله.. يحمونه من سيوف المهاجرين والأنصار؟ أي سيف سيشق طريقاً نحو أبي جهل؟ أي سيف سيجز ذلك الشجر الوثني الملتف حول أبي جهل؟

الذين صنعوا الأحداث يتحدثون. عبد الرحمن بن عوف يقول للغلامين وسط الموت والسيوف: (نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه [فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين] فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه فقال: أيكما قتله؟

قال كل منهما: أنا قتلته. قال ﷺ: هل مسحتما سيفيكما؟ قالوا: لا.

فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال: كلاهما قتله. وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، والآخر معاذ بن عفرأ<sup>(٢)</sup>

هذا ما حدث باختصار، أما التفاصيل فعند من خاض سيفه في تفاصيل أبي جهل.. التفاصيل عند معاذ بن عمرو بن الجموح، فبعد أن أشار عبد الرحمن بن عوف بيده إلى أبي جهل قال معاذ: (سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة<sup>(٣)</sup>) وهم يقولون:

(١) هو باقي حديث مسلم السابق.

(٢) حديث صحيح. رواه مسلم ١٣٧٣-٢ وما بين المعقوفين عند البخاري.

(٣) الشجر الملتف.

أبو الحكم لا يخلص إليه، فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربةً أظنت<sup>(١)</sup> قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنوأة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها، وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني<sup>(٢)</sup> القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها من خلفي، فلما أذنتي وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها، ثم مر بأبي جهل وهو عقير معوذ بن عفرأ، فضربه حتى أثبته وتركه (وبه رمق)<sup>(٣)</sup> فتركه يشقى بأخر أنفاسه.. تدوسه الأقدام وتدوس زعامته، ويكسوه التراب الذي طالما نثره في وجوه الضعفاء والمساكين. هوى الطاغية الشرس الذي قضى أكثر من عشر سنين في محاربة الله ورسوله ﷺ.. قضاها في اضطهاد الفقراء، وقتل العجائز والمسنين من المؤمنين.. هوى هذا الكافر على يد شابين صغيرين اقتحما ثأراً لله ولرسوله وللمؤمنين، وخيم الموت على أبي جهل، والتهمت الصحراء ساقه.

خيمة من الموت ضربها الشابان الأنصاريان عليه، فلم يبق منه سوى عينين زائغتين.. تضعفان كلما سقط طاغوت آخر...

ها هو الطاغوت الآخر: عقبة بن أبي معيط يهوي إلى الأرض.. سقط سيفه، وسقط شرکه، لكنه لم يمت ما زال حياً.. إنه يرسف في قيوده، وأحد فرسان الإسلام يقتاده كذلٍ وديع.. يمر به على جثث رفاقه في اضطهاد محمد عليه السلام فيرتجف.

وهنا طاغوت ثالث يرتطم بالأرض.. يرتج عند ارتطامه.. إنه أمية بن خلف، وشحمه الذي يلف جسداً يتموج من الرعب، وبالقرب منه يسقط علي ويرتجف من الخوف.

أجل عليٍّ خائف جداً فسيفه ليس بيده، وهو يخشى طعنة من هنا أو هناك، أو أن تدوسه الأقدام والحوافر، فما الذي أصاب علياً؟ ومن الذي أسقطه وكيف يرتجف من الخوف؟

(١) أطارت.

(٢) أي حال بينه وبينه.

(٣) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق والبيهقي (٨٤/٣) حدثني ثور بن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس. عكرمة تابعي ثقة وثور بن يزيد الحمصي ثقة ثبت. التقريب ١٣٥.

## علي خائف من الموت

أما كيف.. فلا بد أن أحد فرسان الإسلام قد أسقطه عن ظهر دابته، وأما لماذا.. لماذا أسقط ذلك الفارس علياً عن ظهر دابته. فالسبب بسيط.. لقد أسقطه، لأنه علي بن أمية بن خلف وليس علي بن أبي طالب، فابن أبي طالب يصول ويجول كالأسد بين عجول الشرك.. يلتقي بمن شاء، ويُسقط ما شاء منهم.. أما علي بن أمية فهو كالذبيحة قرب أبيه الجبان.. قرب أبيه الذي شاهد الموت عدة مرات. لم ينفعه أبو جهل، ولا هبل، ولا بعيره الذي اشتراه بأعلى الأثمان. فأبو جهل يتلبط في دمائه، وهبل حجر تركه في مكة، وبعيره وبعير ابنه بين غنائم المؤمنين، والموت قادم.. قادم يا أمية..

لكن أمية -فجأة- يشعر أن الحياة قادمة.. إنه يرى من خلال الموت فرجة إلى الحياة.. يحملها أحد المهاجرين.. يحملها عبد الرحمن بن عوف وهو شاهر سيفه يجندل به جنود الشرك، لكن أي أمل يحمله عبد الرحمن وسيفه يقطر دماً؟!

يبدو أن أمية بن خلف يحمل سراً، فلقد تطلق وجهه واستبشر عندما رأى عبد الرحمن بن عوف، ويبدو أن ابن عوف يحمل في ذاكرته المزيد عن تفاصيل ما حدث في بدر.

دعونا نستمع إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يحكي سر أمية، وآخر آمال أمية، فهو إن لم ينج الآن على يد صديقه ابن عوف فسوف ينتن على أرض بدر.

## قصة أمية وعبد الرحمن بن عوف

كان أمية وعبد الرحمن صديقين في الجاهلية، وكان بينهما تعامل تجاري بعد الإسلام، بل وبعد الهجرة.. هذه العلاقة تخللتها قصة مثيرة، بدأت في مكة قبل الإسلام فمتى ستنتهي؟..

يحدثنا عن بدايتها وعن نهايتها عبد الرحمن بن عوف فيقول: (كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت: عبد الرحمن، فكان

يلقاني ونحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو، أرغبت عن اسم سماك أبوك؟ فأقول: نعم  
هداني الله للإسلام، فتسميت عبد الرحمن. قال: إني لا أعرف الرحمن<sup>(١)</sup>.

ومضت الأيام والأحداث بالاثنتين.. بقي أمية في مكة على شركه وأصنامهم، وهاجر  
عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة، ومارس التجارة بعد أن دلوه على سوق المدينة، فصار  
أحد رجال الأعمال والتجار الناجحين. ويمضي ابن عوف متحدثاً عن قصته مع أمية  
وهو في المدينة فيقول: (كاتب أمية بن خلف كتاباً: بأن يحفظني في صاغيتي بمكة،  
وأحفظه في صاغيته بالمدينة)<sup>(٢)</sup> (كان بيني وبين أمية بن خلف كتاباً، بأن يحفظني  
في ضياعي بمكة، وأحفظه في ضياعه بالمدينة، فلما ذكرت: الرحمن، قال: لا أعرف  
الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته: عبد عمرو.

فلما كان يوم بدر<sup>(٣)</sup> (مررت به وهو واقف مع ابنه علي، وهو أخذ بيده، ومعني أذراع لي  
قد استلبتها فأنا أحملها، فلما رأيته قال: عبد عمرو. فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله، فقلت:  
نعم، قال: هل لك في، فأنا خيرٌ لك من هذه الأذراع التي معك؟ قلت: نعم، ها الله.

فطرحت الأذراع من يدي وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول: ما رأيت كالليوم قط،  
أما لكم حاجة في اللبن، ثم خرجت أمشي بينهما)<sup>(٤)</sup> (خرجت به إلى شعب لأحرزه حتى  
يأمن الناس)<sup>(٥)</sup>، وتوجه الثلاثة إلى ذلك الشعب، ثم توجهوا (إلى جبل)<sup>(٦)</sup>، فارتاحت  
نفس أمية بن خلف.. يا لها من أيام عصيبة تلك التي كانت تحمل في دقائقها الموت  
والحياة معاً لأمية.

(١) حسن. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي ٣-٩١: حدثني يحيى بن عباد عن أبيه وحدثني صالح بن  
إبراهيم بن عبد الرحمن قالوا: وهناك انقطاع بين صالح وجده، لكن عباد تابعي كبير والحديث حسن بما  
بعده وحديث صالح موصول عند البخاري وهو التالي.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٢٣٠١) والصابغية: الحاشية والأتباع.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي واللفظ له (٣-٩٠).

(٤) حسن. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي (٢-٩١): حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن  
أبيه وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قالوا: وفي الطريق الثانية انقطاع بين صالح  
وجده لكن عباد بن عبد الله ابن الزبير تابعي كبير والحديث بعد هذا حسن بما بعده وحديث صالح  
موصول عند البخاري وهو ما بعده.

(٥) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي واللفظ له (٣-٩٠).

(٦) جزء من حديث البخاري (٢٣٠١).

اطمأن أمية فتحدث عن اللبن الذي سيشره ابن عوف وأصحابه من نياق أمية، التي سيفتدي نفسه وابنه بها، واسترخت أعصابه، فاسترسل في الحديث وقال لعبد الرحمن بن عوف وهو يمشي (بينه وبين ابنه آخذاً بأيديهما: يا عبد الإله: من الرجل منكم المعلم بريشة نعامه في صدره؟

قلت: حمزة. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل<sup>(١)</sup>

وواصلوا المشي والمسير، وفجأة دوت صرخة مرعبة من بعيد.. اتسعت لها عيون أمية وابنه.. صرخة قلبت أرض بدرٍ على رأس أمية من جديد.. صرخة من أعماق مضطهد لا تزال جراحه تلتهب. يقول عبد الرحمن بن عوف: (فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي - وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على الإسلام- فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قلت: أي بلال، أسيري.

قال: لا نجوت إن نجا. ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا)<sup>(٢)</sup> (فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال: أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا أمية بن خلف.

فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم، فقتلوه، ثم أتوا حتى تبعونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: أبرك.

فبرك، فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتخللوه بالسيوف من تحتي)<sup>(٣)</sup> (فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة<sup>(٤)</sup>)، فأنا أذب عنه، فأخلف رجل بالسيف فضرب رجل ابنه فوق، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثله قط، قلت: انج بنفسك ولا نجاء، فوالله ما أغني عنك شيئاً، فهبروهما بأسيا فهما حتى فرغوا منهما)<sup>(٥)</sup>..

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه البزار (٣-٢٢٧) وغيره: حدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف. إبراهيم له رؤية وابنه تابعي ثقة وشيخ ابن إسحاق ثقة وجرح ابن حبان لا يضره.

(٢) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق وهو الحديث السابق.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٢٣٠١).

(٤) التفوا حولنا وكانهم داخل بئر صلبة لا تحتاج إلى طي.

(٥) حديث صحيح. جزء من حديث ابن إسحاق السابق.

(قتلوه وأصاب أحدهم رجلي بسيفه)<sup>(١)</sup>..

يتذكر عبد الرحمن رضي الله عنه ذلك مبتسماً ويقول: (يرحم الله بلالاً، فجعني بأدراعي وبأسيري)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا انتهت قصة أمية الطويلة، كما تنتهي قصص كثير من أمثاله الذين قضوا حياتهم في التعذيب، والتكيل بمن يقع بين أيديهم من المؤمنين والضعفاء والمساكين.. انتهت حياته على يد من كان يتفنن في تعذيبه، ويسلقه تحت شمس مكة المحرقة. لقد اشترى أبو بكر بلالاً، وهو مدفون بالحجارة)<sup>(٣)</sup> الحامية في حرارة الصيف.. دفنه أمية، فهل سيدفن أمية بالحجارة؟

لم تنته المعركة بعد، والساحة حبلى بالمشاهد المثيرة.. المثيرة، فهذا سعد بن أبي وقاص، وقد سقط أخوه الصغير عمير شهيداً.. يقاتل بضراوة، وكأنه يقاتل عن اثنين.. كأنه يقاتل عن أخيه الصغير. يشاهده عبد الله ابن مسعود فيتعجب من شجاعته ويقول: (كان سعد يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر قتال الفارس والراجل)<sup>(٤)</sup>

وفي مكان آخر كان الزبير بن العوام فارساً يقتحم قلعة من الحديد، فتهاوى بين يديه.

يقول رضي الله عنه: (لقيت يوم بدر عبيد بن سعيد بن العاص، وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش. فحملت عليه بالعترة قطعته في عينه فمات)<sup>(٥)</sup>.

وسقط مع من سقط من الكفار، الذين ملأت جثثهم أرض بدر، ورأى المشركون ما يحدث لقادتهم وأبطالهم، فجمعوا شظايا عزم لديهم، فشدوا على المسلمين في محاولة يائسة.. محاولة كالانتحار، وهي في حركتها تشبه كتلة من اللهب تهوي على

(١) حديث صحيح. جزء من حديث ابن إسحاق السابق.

(٢) حديث صحيح. جزء من حديث ابن إسحاق السابق.

(٣) حديث صحيح مر معنا في المجلد الأول.

(٤) سنده قوي رواه البزار ٢-٣١٥ حدثنا محمد بن المشي، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش عن إبراهيم عن ابن

مسعود. وهناك انقطاع بين إبراهيم وابن مسعود، ورواه متصلاً عن إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية.

فجعل علقمة بين إبراهيم وابن مسعود، وإبراهيم في التقريب صدوق به لين والصواب أنه: ثقة فخرج

النسائي غير مفسر التهذيب ١-١٨٥.

(٥) حديث صحيح. رواه البخاري (٢٩٩٨).

الأرض، فتطفتُ لكنها تؤذي من يتصدى لها. ومع ذلك كان أشجع الناس يتقدم كالموج يطفئها.. كالموت يخمدها، وخلفه كان سعد الذي يقاتل كرجلين، والزيير الذي يهزم الحديد، وعلي بن أبي طالب بشجاعته المعروفة، وعمه حمزة الذي فعل بهم الأفاعيل، وعمر بن الخطاب الذي تهابه كل قريش، وأبو بكر الصديق درع رسول الله ﷺ...

هؤلاء الذين صنعوا الأحداث والتاريخ.. هؤلاء وغيرهم قاتلوا في ساعة من ساعات بدر خلف ذلك الشجاع فمن هو:

## أشجع رجل في بدر؟

إنه رسول الله ﷺ، وأحد الذين كانوا يلوذون بشجاعة رسول الله ﷺ.. أحد الذين كانوا يلوذون بسيف رسول الله ﷺ يحدثنا بنفسه فيقول: (لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً<sup>(١)</sup>) و (لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله ﷺ، وكان أشد الناس بأساً<sup>(٢)</sup>)

وأمام هذا البأس تساقط المشركون من اليأس، وتفتت آخر حلم وثني على أرض بدر، وعلى سماء بدر أيضاً؛ فجيش محمد ﷺ ليس على الأرض فقط، بل وفي السماء له جيش.

أحد الذين كانوا يقاتلون المؤمنين.. أحد الذين أصابهم اليأس والإحباط.. رأى بين السماء والأرض شيئاً كالبساط.. شيئاً قادماً لمحمد، ولأصحاب محمد ﷺ. فماذا رأى جبير بن مطعم، وما أثره على قومه.

يقول جبير: (رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود، أقبل من السماء مثل النمل الأسود، فلم أشكك أنها الملائكة، فلم يكن إلا هزيمة القوم)<sup>(٣)</sup> الكافرين الذين تطايروا من جديد كالشظايا.. هرباً من الحتف القاسي الذي يمتطي

(١) حديث صحيح. رواه ابن أبي شيبة (٣٥٤/٧) وانظر ما بعده.

(٢) سنده صحيح. رواه أحمد ١-١٢٦ والبيهقي ٣-٦٩ واللفظ. وسنده وسند ما قبله هو: إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي وقد مر معنا كثيراً.

(٣) سنده قوي. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي (٦١/٢): حدثني أبي عن جبير بن مطعم. والد ابن إسحاق ثقة روى عن معاوية ومعاوية توفي بعد جبير رضي الله عنهما.

نواضح يثرب بعد أن أطلقه ﷺ.. أطلق شباب الإسلام حماساً يفتك بأوصال الوثنية.. حماساً أوقده ﷺ عندما قال: (من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا، فسارع في ذلك شبان الرجال وبقي الشيوخ تحت الرايات)<sup>(١)</sup>

وبين بريق الانتصار، وبرق التسابق نحو رقاب الطغاة كان هناك من يسابق الشباب نحو تلك الرقاب. هذا أحد شباب الإسلام، واسمه الحارث ويكنونه بأبي واقد الليثي.. يشد مسرعاً نحو أحد الطغاة فيشاهد العجب.. العجب.

يقول رضي الله عنه: (إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه، فوقع رأسه قبل أن يصل سيفي، فعرفت أن غيري قد قتله)<sup>(٢)</sup>

كان أحد الملائكة لا شك.. الملائكة التي تحز الرقاب، وتلطم الأنوف والوجوه المشركة؛ فبين السماء والأرض كان هناك صراخ.. كان هناك حيزوم. ولا أدري ما هذا المخلوق الذي تردد اسمه في الفضاء؟ هل هو جواد ذو أجنحة، أم أن حيزوماً ملك من الملائكة؟ لكنه كان مسرعاً لا شك.. يسابق أحد الفرسان نحو أحد المشركين.. ف(بينما رجل من المسلمين يشد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. إذ نظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقياً، فنظرنا إليه، فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاحضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال: صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة)<sup>(٣)</sup> ومدد السماء لم يقتصر على حز الرقاب ولطم الأنوف والوجوه، وتمريغها في الذل.. مدد السماء كان يفعل شيئاً آخر.

عم رسول الله ﷺ (العباس بن عبد المطلب) كان قد خرج مع قريش فوقع في الأسر، وها هو الأنصاري الذي أسره يقتاده نحو رسول الله ﷺ، لكن العباس يصر على أن هذا الأنصاري القصير القامة لم يأسره، والأنصاري يصر على أنه أسره!

(١) حديث صحيح. وصححه الإمام الألباني في صحيح أبي داود (٥٢٢/٢).

(٢) سنده حسن. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي ٥٦-٣ حديثي والذي إسحاق بن يسار حدثني رجال من بني مازن عن أبي واقد الليثي. شيوخ والده جمع وهو يروي عن الصحابة، فإن كانوا صحابة صح السند وإن كانوا من كبار التابعين فيقوي بعضهم بعضاً.

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم والبيهقي واللفظ له ٥٢-٣.

لم يكذب الأنصاري، ولم يكذب العباس؟ والحقيقة عند رسول الله ﷺ، لقد جاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله، والله إن هذا ما أسرني، لقد أسرني رجل أجح من أحسن الناس وجهاً، على فرس أبلق ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله.

فقال ﷺ: اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم<sup>(١)</sup>، لا بشيطان رجيم. لكن يا ترى أين الشيطان الرجيم من هذه الأحداث.. لا شك أنه بين صفوف المشركين يتلقى نصيبه من الهزيمة والذل. أخبرنا عن ذلك ربنا وهو يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفُتَاتِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٤٨﴾<sup>(٢)</sup>

لما تهاوت الأجساد من حوله، وشخبت الدماء منها خاف أن يلقي المصير الذي لقيته تلك الجثث ففر، وفر المشركون قبله.. تطايروا كالشظايا في الشعاب والجبال، وانفشعوا عن أرض بدر، فانقشع الغبار، وهدأت الأنفاس.. تأمل ﷺ ذلك المشهد، وتأمل فرسانه من حوله، فإذا الساحة صمت حزين ورهيب.. منظر لا يسر.. سبعون جثة من قريش بلا حراك.. سبعون جثة لأبناء العمومة والعشيرة.. بلا أرواح.

ما الذي أوصلهم إلى هذه المأساة؟ من وما الذي قادهم إلى هذه النهاية المخيفة.. إلى الهزيمة وإلى جهنم؟

أبو جهل قادهم، والشيطان أجج الشرك في نفوسهم. أما يكفيهم ثلاثة عشر عاماً من حديث رسول الله ﷺ.. من حب رسول الله ﷺ، ورحمته وحرصه عليهم؟!!

نهاية مخيفة تلك التي انتهت إليها أولئك السبعون.. لقد فر أصحابهم وتركوهم للشمس والغبار، وتركوا مثل هذا العدد بين القيود والحبال.. سبعون أسيراً يغشاهم الذل، وتجللهم الهزيمة.

(١) هو جزء من حديث أحمد ١-١١٧ المشهور عن علي وقد مر معنا.

(٢) سورة الأنفال: الآيتان ٤٧، ٤٨.

ها هو الشرير: عقبة بن أبي معيط بين الأسرى، وها هو أبو يزيد واسمه سهيل بن عمرو أسير أيضاً، وها هم الصحابة يستجيبون لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، فيكتفون بأسر العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وأسر ابن عمه عقيل بن أبي طالب، لأنهم خرجوا كارهين لقتال رسول الله ﷺ كما قال نبي الله ﷺ: «من استطعتم أن تأسروا من بني عبد المطلب فإنهم خرجوا كارهين»<sup>(١)</sup>

لكن لماذا لم ينه ﷺ عن قتل أمية بن خلف وقد خرج كارهاً أيضاً؟.. السبب لا يحتاج إلى كثير من التفكير، فأمية بن خلف كان من أشرس الناس على الإسلام وأتباعه خاصة بلال بن رباح بعكس بني عبد المطلب، ثم إن أمية لم يكن كارهاً لقتال المسلمين.. إنه يتمنى سحقهم وسحق نبيهم ﷺ، لكنه كان خائفاً على نفسه لأنه يدرك أن رسول الله ﷺ لم، ولا، ولن يكذب. وقد توعدده بالموت وهو يدرك خطورة وعيده ﷺ. لذلك اشترى تلك الراحلة ليهرب عندما يلوح الخطر، لكن الذي لاح لأمية لم يكن الخطر.. إنه شيء أكثر خطورة.. إنه بلال وقد (كان هو الذي يعذب بلالاً في مكة على الإسلام)<sup>(٢)</sup>

ثم إن بني عبد المطلب دافعوا عن رسول الله ﷺ، وشاركوه في المعاناة والسجن في الشعب.. لم يشذ عن هؤلاء الكرام إلا شرير يُسمى (أبو لهب)، وهو لم يحضر إلى أرض المعركة، ربما كان مريضاً، وقد أسر بالإضافة إلى العباس وعقيل زوج حبيبة رسول الله ﷺ.. زوج ابنته زينب، التي كانت كارهة لخروج زوجها، وخائفة على دينها ونبيها وأبيها ﷺ، وقد كان من السهل أسر هؤلاء الثلاثة، فهم لا يشعرون في أعماقهم بأي دافع لهذه المعركة سوى عنجهية أبي جهل وغطرسته. أبو جهل!!

أين أبو جهل يا ترى؟ إنه ليس بين القتلى ولا بين الأسرى والحبال؟

(١) رواه أحمد (٨٩/١) بسند حسن من أجل أبي سعيد شيخه وهو حسن الحديث من رجال البخاري (التقريب ٤٨٧/١) قال الحافظ: صدوق ربما أخطأ، ولعل الصواب أنه ثقة ربما أخطأ. انظر التهذيب وقد قال أبو سعيد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي... وهذا السند صحيح وقد مر معنا.

(٢) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن قتل أمية بن خلف.

## أين أبو جهل

ذلك المجرم، الذي رفض الإسلام حسداً لأن النبوة لم تكن في بيته. أين الطاغوت الذي أخرج قريشاً وهي كارهة لترقص حوله وهو يشرب الخمر..؟ إنه ليس بين القتلى، ولا بين الأسرى؟

لذلك (أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى)<sup>(١)</sup> وقال لأصحابه: (من ينظر ما صنع أبو جهل)<sup>(٢)</sup> (من يعلم ما فعل أبو جهل)<sup>(٣)</sup> فتقدم رجل نحيل الجسم.. دقيق الساقين.. كان يرعى الغنم في مكة، وكان أبو جهل قد استضعفه ذات يوم في مكة فأذاه. تقدم هذا الرجل النحيل الصالح وقال لرسول الله ﷺ: (أنا يا نبي الله)<sup>(٤)</sup> فانطلقت تلك الساقان تنفيذاً لإرادة رسول الله ﷺ، وبعد قليل هدأتا وتهادتتا نحو جريح ينزف.. قد طارت ساقه، وطار صوابه. حذق به ابن مسعود، فإذا هو أبو جهل (فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟ قال: وهل فوق رجل قتلتموه أو قتله قومه)<sup>(٥)</sup> فقال ابن مسعود: (قد أخزاك الله. فقال: هل أعمد من رجل قتلتموه)<sup>(٦)</sup> أي حقد ينضح من جثة هذا الطاغية، وأي روح خبيثة تلك التي بين جنبيه.

لقد كان أبو جهل جثة.. كتلة متورمة من العناد، فهل سيتركه ابن مسعود ليخبر رسول الله ﷺ.. أم ماذا؟

## ماذا فعل ابن مسعود بأبي جهل

قال رضي الله عنه: (أدركت أبا جهل يوم بدرٍ صريعاً فقلت: أي عدو الله قد أخزاك الله. قال: وبم أخزاني من رجل قتلتموه؟!)

(١) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن انقضاء معاذ بن عمرو بن الجموح على أبي جهل.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٨٦/٣ - ٨٧).

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٨٦/٣ - ٨٧).

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٨٦/٣).

(٥) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٨٦/٣).

(٦) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٨٧/٣).

ومعي سيف لي، فجعلت أضربه ولا يحيك فيه شيء، ومعه سيف له جيد، فضربت يده، فوقع السيف من يده، فأخذته، ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته.

فقال: الله الذي لا إله إلا هو؟ قلت: الله الذي لا إله إلا هو - حتى حلفني ثلاثاً - [قال: انطلق فاستثبت، فانطلقت فأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته].

فقال رسول الله ﷺ: فانطلق فأرني. فانطلقت معه فأريته، فلما وقف عليه ﷺ قال: هذا فرعون هذه الأمة<sup>(١)</sup> رأسه هنا، ورجله هناك، وباقية في مكان آخر.

أبو جهل الذي جمع الشرك كله، ورفض الحكمة كلها. أبو جهل الذي وصف رسول الله ﷺ وأصحابه بأنهم مجرد لقمة.. مجرد أكلة جزور.. أبو جهل الذي اتهم عقلاء قومه بالجبين.. يسقط على أرض بدر دون أن يمسه أحداً من المؤمنين بأذى.. دون أن يشفي غليله ولو بضربة واحدة، أما سيف أبي جهل الثمين، فلم تصدر منه سوى ضربة واحدة متجهة نحو رقبة صاحبها.. نحو أبي جهل. هلاك أبي جهل مروع، والتاريخ يكتب للطفة بحبر المضطهدين. لكنهم لا يقرأون، ولا يفيد من التاريخ سوى العقلاء. هلك أبو جهل بسيفه، والذين مزقوه شباب صغار انتقاماً ونصرة لحبيبيهم عليه السلام، والذي أجهز عليه وحز رأسه أحد الضعفاء، الذين أخافهم كثيراً، وأذلم كثيراً في شوارع مكة وأزقتها، بل وفي بيت الله الحرام.

ترى هل يتذكر ابن مسعود وهو يجهز على أبي جهل ذلك اليوم الذي كان فيه خائفاً بجوار الكعبة الآمنة.. ينظر إلى حبيبه ويتمزق حرقة، لكنه لا يستطيع فعل شيء؟ ف (بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور (بني فلان) فيأخذه فيضعه على كتفي محمد إذا سجد؟

(١) سنده قوي. رواه الطبراني ٩-٨٣ حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا أبو المعافى محمد بن وهب بن أبي كريمة حدثنا محمد بن أبي تملة عن أبي عبد الرحيم عن زيد ابن أبي أنيسة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود.. ابن أبي تملة لم أجد له من ترجمة والصواب محمد بن سلمة الحراني ابن أخت عبد الرحيم الحراني من تلاميذ خاله ومن شيوخ ابن وهب. التهذيب ٩-٥٠٦-٩-١٩٣-١٩٤ وهؤلاء ثقات كلهم، وابن ميمون مخضرم ثقة، التقريب ٤٢٧ وشيخ الطبراني حافظ جليل. أعلام النبلاء ١٤-٥٧ وللحديث شواهد منها الطبراني ٩-٨١-٨٢-٨٣ ومنها حديث سنده قوي عند البزار.

فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل إلى بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تسبهم.

فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً. وإذا سأل، سأل ثلاثاً، ثم قال النبي ﷺ: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش».

فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل ابن هشام، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمّية بن خلف، وعتبة بن أبي معيط»<sup>(١)</sup>.

واليوم سقط هؤلاء كلهم.. كلهم إلا عتبة بن أبي معيط، فأين هو.. هذا المجرم لا يزال حياً.. إنه بين الأسرى، ولا أدري ما سيفعل به رسول الله ﷺ، لكنه يتعذب الآن بمنظر شركائه في الإجرام وقد بدأوا ينتنون وينتن شركهم، وقد تحققت دعوة رسول الله ﷺ عندما: (استقبل رسول الله ﷺ البيت، فدعا على نفر من قريش فيهم أبو جهل، وأمّية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن أبي معيط).

قال ابن مسعود: فأقسم بالله لقد رأيتهم صرعى على بدر، قد غيرتهم الشمس، وكان يوماً حاراً<sup>(٢)</sup> وفي اليوم الحار تتن الجثث سريعاً. إذاً فلا بد من دفن تلك الجثث، ولو كانت جثث كفار، هذه هي تعاليم الإسلام، والإسلام دين صحة ونظافة، ودين يحترم الإنسان لأدميته، ورسول الله ﷺ يقول لأمته: (أسرعوا بالجنّازة فإن تك صالحاً فخير تقدمونها عليه، وإن تكن غير ذلك فشر تضعونه على رقابكم)<sup>(٣)</sup> لذلك أمر ﷺ أن تقذف تلك الجنّاز في بئر كان موجوداً على أرض بدر، ف (نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين من صناديد قريش، فحذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث)<sup>(٤)</sup> بئر يعج برائحة الموت وعضن الشرك، و (لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب، طرحوا فيه إلا ما كان من أمّية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه

(١) حديث صحيح. رواه مسلم الجهاد والزوائد له، والبيهقي ٢-٢٨٠ واللفظ له.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي ٢-٢٣٥.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري ١-٤٤٢ ومسلم ٢-٦٥١.

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري ٤-١٤٦١.

فملاها، فذهبوا ليخرجوه فتزاييل لحمه، فأقروه، وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة<sup>(١)</sup>... هلك أمية ين خلف.. لم يحضر له قبر كبقية الناس، فقد تفسخ لحمه فتركوه، ودفنوه بالحجارة بعد أن قتله بلال. يال انتقام الجبار لبلال المؤمن المسكين!

أيتذكر بلال وهو يرى عدوه مدفوناً بالحجارة.. أيتذكر تلك الأيام العصيبة، عندما كان أمية يدفنه بالحجارة في مثل هذه الأيام الحارة، وتحت هذه الشمس المحرقة؟ لقد كان بلال حتى آخر لحظات الرق مدفوناً بالحجارة.

يقول أحد الذين أدركوا تلك الأحداث: (اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدفون بالحجارة)<sup>(٢)</sup> وها هو أمية: الطاغوت الذي دفن بلالاً.. هاهو يدفن بالحجارة أمام عيني بلال المسكين. سبحانك ما أعظمك.. إنها دعوة المضطهدين والمظلومين.

وقبل أن يتخلص النبي ﷺ من تلك الجثث تهادى إلى شهداء الإسلام.. شهداء بدر فكم كان عددهم:

## ثمانية عشر شهيداً

دفنهم النبي ﷺ، وتحدث عنهم ابن مسعود رضي الله عنه بحديث كالماء البارد فقال: (إن الثمانية عشر الذين قتلوا من أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر، جعل الله أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة، فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة، فقال: يا عبادي، ماذا تشتهون؟

قالوا: يا ربنا ما فوق هذا شيء. فيقول: عبادي ماذا تشتهون؟ فيقولون في الرابعة: ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا)<sup>(٣)</sup> إنهم يبحثون عن الموت من

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق (سيرة ابن كثير ٢/٤٤٩) حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت:... وهذا السند صحيح. يزيد بن رومان تابعي صغير ثقة، وهو أحد موالى آل الزبير (التقريب ٦٠١) وشيخه لا يسأل عنه.

(٢) حديث صحيح مر معنا في الجزء الأول.

(٣) سنده صحيح. رواه الطبراني (١٠/٢٤٩): حدثنا سليمان بن الحسن العطار أبو أيوب حدثنا محمد بن علي ابن الحسن بن شفيق، سمعت أبي: أخبرني الحسين بن واقد عن الأعمش عن شقيق أن ابن مسعود: شقيق بن سلمة أدرك الجاهلية والإسلام التهذيب ٤ - ٣١٧) وسمع منه التابعي الثقة: قال لي أبو وائل: يا سليمان لو رأيتني ونحن هراب من خالد بن الوليد. وقال الأعمش عن إبراهيم: عليك بشقيق، فلا تضر عننة الأعمش، لا سيما وهما كوفيان، وتلميذه الحسن ثقة، وعلي بن الحسن وولده ثقتان، وشيخ الطبراني ثقة. سؤالات السهمي كما عزاه الشيخ عبد القدوس في مجمع البحرين ٦-١٤٧.

جديد.. يريدون فعل شيء يجعلهم يستحقون كل ما حولهم، ويستحقون ما هم فيه من الرفاهية والدهشة التي لا يمكن وصفها، وماذا يساوي ألم الموت أمام عوالم السعادة والابتهاج والخلود، ماذا يساوي الموت (الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة)<sup>(١)</sup>؟

ماذا يساوي ألم الموت أمام تلك القصور الفاتنة، والشوارع الفسيحة الساحرة، والملابس الراقية الأنيقة، والأجساد الشابة الغضة الفاتنة التي سينعمون بها والتي لا تعرف المرض ولا الهرم، ولا الترهل ولا الشحوم ولا الشحوب ولا القبح. لن تهم الطعنات إن كانت كل طعنة بوابة للخلود الذي لا يعرف الموت، والغنى الذي لا يعرف الفقر، والأمن الذي لا يعرف الخوف.. إنها الجنة حيث لا عين رأت مثل جمالها، ولا أذن سمعت بروعة كروعته، ولا خطر على بال بشر مستواها ومستوى البهجة داخلها.

دفن ﷺ شهداء بدر بثيابهم ودمائهم، وبشرهم وأمثالهم فيما بعد فقال: (أنا شهيد على هؤلاء، لفوهم في دمائهم، فإنه ليس جريح يجرح في الله، إلا جاء وجرحه يوم القيامة يدمي، لونه لون الدم، وريحه ريح المسك)<sup>(٢)</sup> ويقول ﷺ: (للشهيد عند الله سبع خصال: يفغر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته)<sup>(٣)</sup>.

هذا ما سيفرح به الشهداء من المهاجرين والأنصار، وما في الجنة أجمل وأبقى. أما ما سيلقاه قتلى قریش فشيء مخيف ومرعب.. بشرهم به ﷺ.. خاطبهم وهم أكوام محشورون في تلك البئر المنتن، ولكن بعد ثلاثة أيام من انقضاء المعركة، وقد

(١) حديث صحيح. انظر صحيح الجامع (١-٦٩٦).

(٢) سنده حسن رواه البيهقي في الكبرى ٤-١١ وابن سعد ٣-١٣ عن خالد بن مخلد، حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز حدثني الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه، عبد الرحمن حسن الحديث من رجال مسلم وخالد صدوق وعند البخاري وغيره.

(٣) سنده صحيح. رواه أحمد ٤-١٣١ عن شيخه قال: حدثنا إسماعيل بن عياش عن بغير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدم. إسماعيل عن شيخه حمصيان ثقتان التقريب ١٠٩ و ١٢٠ وابن معدان تابعي ثقة، التقريب ١٩٠.

كانت سنته ﷺ إذا انتصر في معركة أن يقيم ثلاثة أيام<sup>(١)</sup> على أرض المعركة بعد انقضائها، ثم يعود إلى المدينة.. ربما كان ذلك لتأكيد الانتصار، والمحافظة عليه من أية محاولة -ربما- تقوم بها الفلول الخاسرة لتعويض خسارتها، وفي تلك الأيام الثلاثة كان النبي ﷺ مشغولاً بتركة هذا الانتصار.. مشغولاً بقضايا وهموم تحتاج إلى أكثر من التفكير، ومن هذه القضايا والهموم.

## قضية الغنائم

فالغنائم بالنسبة للذين حضروا بدرًا لا تعني رصيماً مادياً أبداً.. إنها أكبر من ذلك، والصحابة مهاجرون وأنصار أكبر من هذا التفكير، فالمهاجرون تركوا أموالهم لله، والأنصار شاطروا إخوانهم وأموالهم ودورهم، لكنها غنائم أول معركة مع رسول الله ﷺ، وأول معركة ضد كفار قريش الذين أخرجوا رسول الله ﷺ، وأول معركة في الإسلام، والمشاركة فيها والحصول على شيء من غنائمها له في النفوس أثر ينام ويصحو مع الإنسان، ويظله في كل مكان يسير ويخطو عليه.. أثر يتطهر معه أهل بدر من كل ذنوبهم. لست أبالغ فقد قال رسول الله ﷺ: (لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة)<sup>(٢)</sup> ثم إن الصحابة بشر.. يصيبون ويخطئون، فيقوم ﷺ بتصحيح أخطائهم، لتصحيح الأمة أخطاءها، وتأخذ أحكامها من هذه الأحداث، وليس هناك أخصب من المعارك للانفعال والتأثر والخطأ.

فماذا حدث من الصحابة ومارأي بعضهم حول الغنائم؟

يقول أحد الصحابة رضي الله عنه وعنهم: (إن النبي ﷺ قال: من أتى مكان كذا وكذا، فله كذا وكذا. أو فعل كذا وكذا، فله كذا وكذا. فتسارع إليه الشبان، وبقي الشيوخ عند الرايات، فلما فتح الله عليهم جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبي ﷺ، فقال لهم الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا، فأنزل الله عليه هذه الآية: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> والآية التي نزلت هي قوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلْ

(١) (كان ﷺ إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال) رواه البخاري وسيمر معنا.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٨٣).

(٣) سنده صحيح رواه ابن جرير ٦-١٧١-١٧٢ عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس. داود تابعي

ثقة متقن التقريب ٢٠٠ وشيخه تابعي ثقة ثبت مر معنا كثيراً.

الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

ولكي تتضح الرؤية جيداً دعونا نمشي خلف هذا الشاب الذي يحمل بيديه سيفين.. سيفه وسيف رجل من المشركين. إنه يتوجه نحو رسول الله ﷺ.. يستأذنه، ويرجوه أن يمنحه هذا السيف؟ (فأتى به رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله نفلنيه. فقال ﷺ: ضعه. ثم قام فقال: يا رسول الله: نفلنيه. فقال ﷺ: ضعه.

ثم قام فقال: يا رسول الله نفلنيه، أُجعل كمن لا غناء له؟

فقال النبي ﷺ: ضعه من حيث أخذته) (٢).

هذا الشاب هو سعد بن أبي وقاص وهو يحدثنا بنفسه فيقول: (جئت إلى النبي ﷺ يوم بدر بسيف، فقلت: يا رسول الله، إن الله قد شفى صدري اليوم من العدو، فهب لي هذا السيف. فقال ﷺ: إن هذا السيف ليس لي ولا لك.

فذهبت وأنا أقول: يعطاه اليوم من لم يبيل بلائي، فبينما أنا إذ جاءني الرسول فقال: أجب. فظننت أنه قد نزل في شيء من كلامي، فجئت، فقال لي النبي ﷺ: إنك سألتني هذا السيف وليس هو لي ولا لك، وإن الله قد جعله لي، فهو لك. ثم قرأ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣) إذا فالسيف ليس لرسول الله ﷺ ولا لسعد بن أبي وقاص وكذلك الغنائم، فلمن كانت الغنائم في الحروب التي خاضها الأنبياء من قبل؟ لقد كانت الغنائم تحرق.

(١) سورة الأنفال: الآية ١.

(٢) سنده قوي. رواه ابن جرير ١-١٧٣ من طرق عن: سماك بن حرب، سمعت مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه. سماك صدوق روايته قوية إلا عن عكرمة، وهذه ليست منها، بل عن التابعي الثقة مصعب بن سعد وهو من رجال الشيخين.

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم والبيهقي واللفظ له (٦/٢٩١ من السنن).



أما الجزء الخامس فيقسم أيضاً إلى خمسة أجزاء:

- ١- جزء لله وللرسول ﷺ.
- ٢- جزء لقراءة الرسول ﷺ.
- ٣- جزء ليتامى المسلمين الذين فقدوا آباءهم.
- ٤- جزء للمساكين المحتاجين من المسلمين.
- ٥- جزء للمسافرين الذين فقدوا أموالهم، أو نفذت أموالهم وليس لديهم ما يسد حاجتهم للمواصله، أو الرجوع إلى ديارهم.

وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِنَّا إِن كُنتُمْ ءَامَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ (١) ويوم الفرقان هو يوم بدر.

انتهى المسلمون من قضية الغنائم وتقسيمها، وبقيت قضية أخرى لا تقل عنها .. إنها:

## قضية الأسرى

أما الأسرى فقد نظر إليهم النبي ﷺ نظرة أسف، ثم نطق بالوفاء كله لأحد رجالات قريش الكرام، الذين كانوا مثلاً في احترام النفس، واحترام الآخرين.. رجل شههم كأبي طالب. إنه المطعم بن عدي، ذلك الرجل الذي حمى رسول الله ﷺ في مكة يوماً من الأيام. تذكر ﷺ موقف المطعم بن عدي فانطلقت مشاعر الوفاء منه لكل صاحب معروف ولو كان مشركاً، فباح بوفائه وقال: (لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتن لأطلقتهم له) (٢) لكن المطعم بن عدي تحت الثرى، ولم ينزل على رسول الله ﷺ وحي في أمرهم حتى الآن، فكانت المشورة الملزمة عند عدم وجود نص.

توجه ﷺ نحو أبي بكر وعمر وعلي يستشيرهم: ماذا يفعل بهؤلاء الأسرى؟ فرسول الله ﷺ إذا لم ينزل عليه الوحي لا يستبد برأيه، ولا يفرضه على من حوله،

(١) سورة الأنفال: الآية ٤١ .

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠٢٤).

وقد قال ﷺ في أول المعركة: (أشيروا علي أيها الناس) وها هو يتجه بالمشورة في آخر المعركة نحو أبي بكر وعمر وعلي، فكانت الإجابة:

## رأيا لأبي بكر ورأيا لعمر

فبأيهما سيأخذ؟ يقول عمر رضي الله عنه: (لما أسروا الأسارى، يعني يوم بدر، قال رسول الله ﷺ: أين أبو بكر وعمر وعلي؟) (١) فجاء أبو بكر وجاء عمر وجاء علي رضي الله عنهم، ولما وقفوا أمامه ﷺ قال لهم: (ما ترون في الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة، وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ فقال: لا والذي لا إله إلا هو، ما أرى الذي رأى أبو بكر يا نبي الله، ولكن أرى أن تمكنا منهم: فتمكن علياً من (عقيل) فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من (العباس) فيضرب عنقه، وتمكني من (فلان) -نسيب لعمر- فأضرب عنقه. فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت.

قال عمر: فلما كان من الغد، جئت إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت.

فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض لأصحابي من أخذهم الفداء، ولقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة -لشجرة قريبة من رسول الله ﷺ-.

فأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخَبَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ تَوَلَّا كَنُتَبٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا... ﴿٢﴾ (٢).

(١) حديث صحيح. رواه مسلم وابن جرير في التفسير ٦-٢٨٧ واللفظ له من طريق عكرمة بن عمار حدثنا

أبو زميل، حدثني ابن عباس وسند ابن جرير صحيح.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٦٧-٦٩.

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم وابن جرير في التفسير بالسند السابق.

بكى ﷺ، وبكى صاحبه من خشية الله، وتلا على أصحابه عتاب الله له.. لم يخفه عنهم، ولم يضم هذه الآيات في نفسه، بل أعلنها للجميع. أعلنها لأنها وحي، وأعلنها لأنه مطالب بإعلانها، وأعلنها لأنه صادق، ولو لم يكن صادقاً لما كان نبياً.

كانت تلك الآيات تحمل كرامة لعمر، وتصويماً لرأيه، فهؤلاء الرجال خرجوا لحرب الله ورسوله. صحيح أن بعضهم كان كارهاً، وأن البعض الآخر قد استدرج واستفز من قبل أبي جهل، لكن ألا يستطيع هؤلاء وهؤلاء أن يقولوا: لا؟!

تألم ﷺ لما حدث، لكن الله رحيم بنبيه.. لم يتركه لآلامه ودموعه. بعث له جبريل مرة أخرى يحمل بشرى بالفداء والجنة.

ها هو (جبريل نزل على النبي ﷺ في أسارى بدر فقال: إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم أخذتم منهم الفداء، واستشهد قابل منكم سبعون. فنادى النبي ﷺ في أصحابه، فجاءوا، أو من جاء منهم، فقال ﷺ: هذا جبريل يخيركم بين أن تقدموهم فتقتلوهم، وبين أن تفادوهم واستشهد قابل منكم بعدتهم؟ فقالوا: بل فنأديهم فنقتوى به عليهم، ويدخل منا الجنة سبعون، ففادوهم)<sup>(١)</sup> أي يستشهد منا سبعون في السنة القادمة. وهكذا (فادى النبي ﷺ بأسارى بدر، فكان فداء كل واحد منهم أربعة آلاف)<sup>(٢)</sup> أربعة آلاف درهم.

وبعد الأمر بأخذ الفداء استثنى عليه السلام منهم طاغوتاً:

## إعدام طاغوت

فقبل أن يطلبوا من أسراهم الفداء أمر ﷺ بإخراج أحد المجرمين من بين الأسرى، واسم هذا المجرم: (عقبة بن أبي معيط).. أمر ﷺ بإخراج عقبة هذا، فهو لن يقبل

(١) سنده صحيح. ورواه ابن سعد (٢٢/٢) عن ابن سيرين عن عبيدة مرسلًا ورواه البزار ١٧٦-٢ والنسائي الكبرى ٢٠٠-٥ وغيرهم عن سفيان الثوري عن هشام ابن حسان، عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي وهذا السند كالذهب: عبيدة مخضرم ثقة ثبت، وهشام ثقة وأثبت الناس عن شيخه يقول: حدثني أصدق من أدركته من البشر التهذيب ٩-٢١٥.

(٢) رواه عبد الرزاق (٢٠٦/٥) عن معمر بن قتادة قال: وأخبرني عثمان الجزري عن مقسم عن ابن عباس: وفي الأول إرسال قتادة لكن معمر رواه من طريق أخرى فيها ضعف من أجل عثمان. وللحديث شاهد سيمر معنا عند الحديث عن فداء مشرك يدعى (وداعة).

منه فداءً ولا مالاً، لأنه لا يقل شراسة وإجراماً عن أبي جهل. عقبة كان فرعوناً آخر لهذه الأمة.. إنه مجرم، حتى لقد عزم يوماً على قتل رسول الله ﷺ. ليس في الطريق، وليس في بيته، ولا في الصحراء، بل وهو آمن مع ربه في بيته الحرام، الذي يلقي فيه الرجل قاتل أبيه فلا يتعرض له. لكن عقبة كان كتلة من الحقد والكفر والإجرام.

سأل رجل أحد الصحابة: (حدثني بأمر شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ؟

قال: أقبل عقبة بن أبي معيط ورسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة، فلوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذه بمنكبيه فدفعه عن رسول الله ﷺ، ثم قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم<sup>(١)</sup>.

فشلت محاولة عقبة.. أفضلها أسد من أسود الإسلام.. أحبطها أبو بكر رضي الله عنه، فانسحب عقبة وهو يضممر شراً، فلما خرجت قريش إلى بدر أشراً وبطراً خرج عقبة معها، لينفس عن أحقادها وشرورها، لعله يحظى برأس محمد وصاحبه أبي بكر معاً، لكنه فشل من جديد. وها هو علي بن أبي طالب يجتره من بين الأسرى، وهو يرتعد خوفاً من الموت، فيحاول أن يدفع الموت عنه بكلمة يستدر بها رحمة.. أي رحمة؟ لكن رسول الله ﷺ يقتله بكلمة قبل أن يقول السيف كلمته.

حدث ذلك عندما (قام علي بن أبي طالب فقتله صبراً قال: من للصبية يا محمد؟ قال ﷺ: النار)<sup>(٢)</sup>.

عقبة يذكر الصبية، لكنه لا يذكر الله، ولا الإسلام، وكأن سبب هذه المعركة ثأر قديم، أو خلاف في وجهات النظر بين أفراد قبيلة واحدة. ومع ذلك فيمكن لعقبة أن ينجو من الموت، وأن ينجو من النار، لو أنه اختار الله ورسوله. لكنه وهو على شفير الموت يرفض ذلك. لو تشهد لنجا من سيف علي، لكنه يرفض أن يكون عبداً لله وحده، ويرضى بأن يكون عبداً لحجر مقذوف على ظهر الكعبة.. هو صنعه بيديه، بل حاول قتل رسول الله ﷺ من أجل ذلك الحجر، فكان لعقبة ما اختار من لهيب السيف ولهب

(١) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي من الطريق نفسه (٢٧٤/٢).

(٢) هو آخر حديث عبد الرزاق السابق ٢٠٦-٥.

النار، وقذف عقبة مع أصحابه في تلك القلب الننتة المحشوة عنفاً وكفراً وجحيماً..  
 قذف عقبة باختياره. أما رسول الله ﷺ فلم يكن يكره أن يسلم عقبة والأسرى جميعاً.  
 لقد نفذ أمر ربه الذي يقول: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ  
 اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَعْفُوكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧٠) (١)  
 ورسول الله ﷺ كان رحيماً فلم يكره أن يسلم عقبة ابن أبي معيط.. لم يكره أن ينجو  
 من سيف علي، فدخل عقبة في دار الإيمان يكفل حمايته من السيف، ومن سيوف  
 المؤمنين جميعاً.

ها هو أحد فرسان بدر.. المقداد بن عمرو يبعث برسالة إلى العالم.. من أقصاه  
 إلى أقصاه.. من خلال حوار متحضر جداً مع رسول الله ﷺ.

قال المقداد لنبيه ﷺ: (يا رسول الله، أرايت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتلنا،  
 فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله. أقتله يا  
 رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله. فقال: يا رسول الله إنه قطع  
 إحدى يدي ثم قال ذلك بعدما قطعها؟)

فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته  
 قبل أن يقول كلمته التي قال (٢).

هذا هو الإسلام، وهذا هو خطابه الحضاري لأتباعه والعالم: لا شأن لكم بالنوايا..  
 لا شأن لكم، ولا يعرف ما في القلوب إلا من خلقها. لا انتقام ولا مقابر جماعية ولا  
 تشف ولا تشويه للجنث ولا جهاد دون انضباط.

وقد رفض عقبة هذا الخطاب الجميل، فغادر إلى الجحيم غير مأسوف عليه.

## بقية الأسرى في نعيم

بقية الأسرى لم يسحبوا إلى قلب، ولم يُقتادوا إلى معسكرات تجويع وتعذيب،  
 ولم يؤمروا بالقيام بأعمال شاقة. فمنذ أغمد الصحابة سيوفهم تحولت الساحة من

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٠.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠١٩).

أنهار دم إلى شلالات كرم وواحات سلام.. شرب فيها الأسرى وأكلوا وناموا أكثر من الصحابة، وأكثر من نبيهم عليه الصلاة والسلام.. شيء لا يصدق! لأنه لم يحدث من قبل.. شيء لا يصدق. أيعقل أن يعامل المسلمون هؤلاء المشركين الذين حملوا السيوف، وطردها الرسول ﷺ، واغتصبوا المال والدار.. أيعقل أن يعاملوا معاملة المسكين، والطفل اليتيم..؟! أجل، يعقل إذا كان القائد هو محمد ﷺ، وكان الجيش من الصحابة.. ها هم يقدمون طعاماً للأسرى أفضل من طعامهم، رغم جوعهم ورغبتهم الملحة فيه. ليس لأنهم أبناء العمومة والعشيرة، ولا لطمعهم بفضيلة أكثر، فإن من المشركين من لا يملك إلا سيفه. السبب ببساطة هو وعد نزل كالمطر من السماء، فأنبت في قلوب المؤمنين تلك الرياض، وتلك الرعاية، وذلك الفيض من العطاء.. وحي من الله يقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُوبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسَكِنَتَا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطَعِمُكُمْ لُوجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾﴾<sup>(١)</sup>.

هذه هي معسكرات الأسرى في الإسلام مهما كان الأسير مجرمًا، أو مشركًا أو حتى ملحدًا. هذا هو مفهوم الحبس في الإسلام إن كان في الإسلام حبس. أسير مشرك خرج لسفك الدماء يخجل من كرم أسرته، وأسر يستحي أن يقدم لأسيره طعاماً أقل من طعامه، أو مساوياً له. يكتفي الصحابة بالتمر والماء، ويقدمون الخبز واللحم -إن وجد- لأسراهم.

أخلاق زرعها ﷺ في أعماق أصحابه.. أخلاق تعادل درجات من الصلاة والصيام لا يطبقها الإنسان.. بشرهم ﷺ بذلك عندما قال لهم: (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار)<sup>(٢)</sup> ومن الذي يصلي ليله كله دون توقف، ويصوم كل يوم ولا يفطر؟ قال لهم ﷺ: (إن أقربكم مني منزلاً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً في الدنيا)<sup>(٣)</sup> (إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقاً)<sup>(٤)</sup> و(من كان سهلاً هيناً ليناً حرمه الله على النار)<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الإنسان: الآيات ٥-٩.

(٢) حديث صحيح. صحيح الجامع (١-٣٣٤).

(٣) حديث حسن. صحيح الجامع (١-٣٢٧).

(٤) حديث صحيح. صحيح الجامع (١-٤٢٨).

(٥) حديث صحيح. صحيح الجامع (٢-١١٠٥).

غرس ﷺ تلك الأخلاق عندما قال لهم: (أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة، والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)<sup>(١)</sup> وأنا زعيم بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)<sup>(٢)</sup>.

سحابة عطر كان محمد ﷺ وأصحابه، بعد أن كانوا قبل قليل عاصفة من السلاح والموت.. سحابة شعر الأسرى تحتها بالارتياح.. شعروا بنسيم الإسلام البارد يغمرهم، ويلطف لفتح الصحراء من حولهم، فانتشى الأنصار من جديد، وتوهج كرمهم وحبهم لرسول الله ﷺ بالإيثار من جديد.

يقول أحد أبنائهم: (إن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ قالوا: إئذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداء.

فقال: لا والله، لا تذرون منه درهماً)<sup>(٣)</sup> وطالب رسول الله عمه العباس بالفداء، بل كان فداء العباس أكثر من فداء غيره.

مكث ﷺ على أرض المعركة ثلاثة أيام كان فيها مشغولاً بأصحابه، يعالج قضاياهم وجراحهم، ويتلقى الوحي من الله سبحانه في علاجه ذلك.. لم يكن ﷺ مشغولاً بمن معه فقط، بل كان يعيش بقلبه وشعوره مع أحباب لا يراهم حوله. كان بقلبه وشعوره بين حرات المدينة.. يتذكر أصحابه وأهله، وحبيبته التي لا يدري ما فعل المرض بها، ولا يدري أي حالة تعيشها ابنته رقية.

ترى هل تعافت من مرضها، أم أن الأوجاع تداعت على شبابها؟ تذكر ﷺ المدينة ومن فيها فأرسل ابنه زيد -زيد بن حارثة<sup>(٤)</sup>- ليشير المدينة بنصر الله، والقضاء على طواغيت قريش.. يبشر بأسر أشرفهم في يوم الإسلام العظيم.. يوم الفرقان، وقد كان ابنه أسامة ابن زيد ملازماً لعثمان ورقية في مرضها، وكان مع أول من استقبل والده وأخباره.

(١) حديث صحيح. صحيح الجامع (١-٣١٠).

(٢) حديث حسن. صحيح الجامع (١-٣٠٦).

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠١٨).

(٤) كان يسمى في ذلك الوقت زيد بن محمد.

أسامة يحدثنا عن ذلك فيقول: (إن النبي ﷺ خلف عثمان بن عفان، وأسامة بن زيد على رقية بنت رسول الله ﷺ أيام بدر، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله ﷺ بالبشارة، فسمعت الهيعة، فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة، فوالله ما صدقت حتى رأيت الأسارى، فضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه<sup>(١)</sup>).

وهذا يعني أن عثمان كان يريد الخروج مع رسول الله ﷺ، لكن رسول الله ﷺ أمره بالبقاء لتبريض زوجته رقية.

قال الشاب عبد الله بن عمر بن الخطاب إن عثمان بن عفان (كانت تحته ابنة رسول الله ﷺ، وإنها مرضت، فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه)<sup>(٢)</sup>.

لكن أين رقية..؟ أين حبيبتك يا عثمان.. أين حبيبة رسول الله ﷺ وريحانته؟ الإجابة حزن على وجه عثمان، وعلى وجه أسامة.

ماتت رقية رضي الله عنها ووالدها بعيد عنها.. ماتت قبل أن ترى والدها، وتطمئن على سلامته.. دون أن ترى أختها الحزينة زينب. ها هو الحزن من جديد يخيم على بيت النبي ﷺ.. فاطمة تبكي، وأم كلثوم تبكي حزناً على رقية.. كم لعبوا سوياً.. كم ضحكوا وتراكموا وتسابقوا إلى حضن خديجة، وكم تواثبوا وتزاحموا ليركبوا على ظهر محمد.. ما أحوج فاطمة وأم كلثوم إلى أبيهما، وما أحوجهما إلى خديجة.. ما أحوجهما إلى أختها الكبيرة زينب.. ينثران على صدرها شيئاً من الدموع، فزينب بعيدة هناك.. حزينة هناك.. في مكة لا يعلمان عنها شيئاً، ولا تعلم عنهم شيئاً.

ماتت رقية قبل أن يصل زيد بالخبر، فقد (وافق زيد بن الحارثة ابنه أسامة حين

---

(١) سنده حسن. رواه البيهقي (١٣٠/٢) أخبرنا أبو الحسن المقرئ وهو إمام حافظ ناقد. انظر السير للذهبي (٣٠٥/١٧) وشيخه الحسن الدقاق صحيح السماع من أهل القرآن والصلاح. المصدر السابق (٥٢٥/١٥) وتاريخ بغداد (٤٢٢/٧) وشيخه هو الثقة يوسف ابن يعقوب القاضي. تاريخ بغداد (٣١٠/١٤) وشيخه أحد رجال الشيعين: الثقة محمد ابن أبي بكر المقدمي. التقريب (١٤٨/٢) وشيخه حسن الحديث فهو صدوق في حفظه شيء. التهذيب (٥٨/٨) والتقريب (٧٢/٢) وهو من رجال الستة واسمه عمرو بن عاصم الكلابي وشيخه ومن فوفه أئمة ثقات: حماد عن هشام عن عروة عن أسامة بن زيد. وللحديث شاهد يأتي.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠٦٦).

سوى التراب على رقية بنت رسول الله، فقيل له: ذاك أبوك، حين قدم.

قال أسامة: فجئت وهو واقف للناس يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل، ونبيه، ومنبه، وأميه بن خلف.

فقلت: يا أبت أحق هذا؟ قال: نعم والله يا بني<sup>(١)</sup>

ويختلط الحزن في أجواء المدينة بالفرح، وبيتهج بقية المهاجرين والأنصار بالخبر الذي لا يصدقه إلا مؤمن، ويخفف النصر من الحزن والدموع المنثورة على رحيل رقية، ويخيم الليل والوجد على عثمان.. إنه يعود إلى منزله، فلا يجد فيه رقية.. كم هو مشتاق إليها.. كم هو وحيد دون رقية، وكم هو وحيد وقد انقطع نسبه مع النبي ﷺ. يا له من ليل حزين لا تبدده إلا الصلاة.

هذا ما يحدث في المدينة، أما على أرض المعركة فتتسلل خيوط الفجر إلى سماء بدر، ويشرق باللُّ بالأذان، ويستيقظ من كان نائماً، ويصلي الجميع خلف رسول الله ﷺ. إنه فجر اليوم الثالث بعد انقضاء المعركة، حيث يأمر ﷺ بالاستعداد للعودة إلى المدينة، ويطلب تهئية راحلته، ويفرغ الجميع مما أمروا به، فينطلق ﷺ إلى غير ما توقع الصحابة، فهذا ليس بطريق المدينة.. إنه يتوقف ويتحدث إلى أقوام بشيء مفزع ومخيف جعل أحد الصحابة يستفسره عن ذلك؟

أنس بن مالك يحدثنا عن ذلك المسير، وعن ذلك التساؤل فيقول: (فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشددت عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفى الركي<sup>(٢)</sup> فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: [يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة... أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟] يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟

(١) حديث حسن. رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم (٢١٧/٣): حدثني عبد الله بن أبي بكر، وصالح بن أبي أمة عن أبيه.. وهذان طريقان يقوي بعضهما بعضاً لأن صالحاً لم يوثقه إلا ابن حبان. ويشهد للحديث حديث أسامة السابق.

(٢) حافة البئر.

فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟

فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم [ولكنهم لا يقدرُونَ أن يجيبوا<sup>(١)</sup>] ولا يقدرُونَ على أن يعودوا فیتوبوا. مصير أسود رسموه لأنفسهم، وجحيم مرعب تسابقوا إليه، وهم يحملون أصنامهم. أما رسول الله ﷺ فقد تركهم وما تسابقوا إليه، وانعطف براحلته نحو عواطف جياشة تنتظره في طيبة الطيبة، فليت شعري كيف استقبله أحبابه هناك؟ أيهنئون أنفسهم به ويهنئونه بنصر الله؟ أم يعزونه في رقية..؟

كيف استقبله عثمان هناك؟ كيف كانت حالته ﷺ عندما زاحم الحزن فرحاً يزين صدره؟ كيف كانت حالته عندما التقت عيناه بعيني فاطمة وعيني أم كلثوم؟ وكيف شكتا له الوجد على أختهما الحبيبة..؟

لم تصفُ الحياة لمحمد ﷺ.. لم تصفُ لحبيب الله، فالحزن والمعاناة جزء من حياته.. يفقد ابنته الشابة، ويصبر ويحتسب ويتوهج بوعد الله، فيخفف عن غيره مصيبته ولوعته رغم ما هو فيه، ويقول لعثمان: (لك أجر رجل شهد بداراً وسهمه)<sup>(٢)</sup> وفي مكان آخر من المدينة تركض أم حارثة.. ذلك الشاب المكلف بالمراقبة والرصد، والذي استشهد هناك في بدر. أمه اليوم مذهولة تتلقى الركب.. تمسك بأزمة المطايا.. تسأل عن حبيبها وقلدة كبدها، فيقع الخبر عليها كالموت، فيحملها الحزن إلى نبيها ﷺ.

لقد (أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع. فقال ﷺ: ويحك، أوهبست؟ أوجنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس)<sup>(٣)</sup> و(الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها، ومنها تفجر أنهار الجنة)<sup>(٤)</sup>.

(١) أي أنهم يستمعون لقوله ﷺ حقاً أثناء خطابه لهم.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري عن أنس (٣٩٧٦) وما بين المعقوفين عند مسلم عن أنس.

(٣) حديث صحيح مر معنا وهو عند البخاري (٤٠٦٦).

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري -٤- ١٤٦٢.

(٥) حديث صحيح. (صحيح الجامع الصغير ٢-٧٨٩).

سافر حارثة إلى الفردوس، إلى مدنها الساحرة، وبحيراتها وأنهارها ويخوتها ومركباتها المبحرة والطائرة والسيارة.. سافر إلى أحلامه وأمانيه ليجدها فوق ما يتصور ويتخيل ويحلم، فيتمنى العودة ليقتل مرات ومرات حتى يرى أنه استحقها. أما أمه الثكلى فعدت إلى بيتها صابرة محتسبة، فلقد حول الإسلام حزنها إلى مبعث لسعادتها، فاختلطت دموع الحزن بالفرح عند المؤمنين ف (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر وكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)<sup>(١)</sup>. وعجباً لهذا النبي ما أرحمه. إنه يتجاوز أحزانه إلى الآخرين، ليخفف عنهم، ليحثهم على الإبحار مع شهدائهم في أنهار الجنة، وأهل بيته كانوا مثله.. يواسون تلك البيوت الحزينة، كهذا البيت الذي تتوح فيه عفرأ رضي الله عنها:

### عفرأ حزينة تتوح

عفرأ حزينة على صغيريها. عاد الرجال من القتال.. عاد المحاربون بالأسرى والجمال، ولم يعودوا بالصغار.. لم يعودوا بعوف، ولا بمعوذ، ولن تراهما عفرأ بعد الآن، ولن تتاديهما لقضاء حوائجها بعد اليوم.. لن تبحث عن عروس لعوف، أو لأخيه، ولن تسعد مع نساء المدينة بزفاف بهيج لهما. ولن تفرح بأحفادها منهم.

عفرأ مشتاقة إلى صغيريها.. يحترق جوفها من الحزن، وتحمر عيناها من البكاء، ولا يدرك وجد الأم إلا الأم.. خيمة حزن بيت عفرأ، أما بيت النبي ﷺ فكان غيمةً من المشاعر.. تمتد إلى الجميع. ها هي سودة وقد سمعت بما حدث لعوف وأخيه.. تتوجه إلى بيت أمهما.. تواسيها، وتعزيها، وتخفف أحزانها ببشرى الشهادة، فصغيراها قد اجتثا فرعون الأمة، وعدو الله ورسوله، وهو أمر يسر أهل السماوات والأرض، ويُخلد ذكرهما، وذكر أمهما. مكثت سودة رضي الله عنها وقتاً عند عفرأ، لكن مفاجأةً أخرجتها فعدت إلى بيت زوجها ﷺ متأثرة بحال تلك الأم الوالهة الجريحة، وتأثرت كذلك بوقع تلك المفاجأة، فتحولت مشاعر سودة إلى كلمات عاتبها الرسول ﷺ عليها ف:

(١) حديث صحيح. رواه مسلم ٤-٢٢٩٥.

## ماذا قالت سودة حتى عاتبها زوجها

هذه هي القصة كما يرويها لنا الأنصاري عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة رضي الله عنهما فيقول: (قُدِمَ بالأسارى حين قدم بهم المدينة، وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفرَاء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفرَاء، وذلك قبل أن يضرب الحجاب. قالت سودة: فوالله إني لعندهم، إذ أتينا فقيل: هؤلاء الأسارى قد أتى بهم، فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه، فإذا أبو يزيد (سهيل بن عمرو) في ناحية الحجر، ويداه مجموعتان إلى عنقه بحبل، فوالله ما ملكت حين رأيت أبا يزيد كذلك، أن قلت: أبا يزيد أعطيتم بأيديكم! ألا متم كراماً؟

فما انتبهت إلا بقول رسول الله ﷺ من البيت: يا سودة أعلى الله ورسوله تحرضين؟!)

فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يدها إلى عنقه بالحبل، أن قلت ما قلت<sup>(١)</sup>.

لقد غمرت سودة أجواء مشحونة بالأحزان، والأحداث والمفاجآت.. تتدافع نحوها.. تنهوى عليها، وكأن العالم يتقوض فوق رأسها. فتتفلت منها تلك الكلمات دون أن تشعر.. موت رقية، ومناحة عفرَاء، وأسير من سادات قريش وكرمائها في حجرتها.. خطيب قريش وحكيمها مجموعة يدها إلى عنقه.. متكوم كالذل في زاوية الحجر.. منظر يثير الشفقة والرأفة، وامرأة رقيقة المشاعر زادها الإيمان شفافية تشهد ذلك كله، لكن رسول الله ﷺ لم يعنفها.. لم يكفرها بتلك الحروف الشاردة. كان ﷺ مريباً. أشعرها دون أن يخدش مشاعرها، وأعادها دون أن يجرحها. سألها سؤالاً.. سأل إيماناً متجذراً في أعماقها، فأفاقت واعتذرت لله ولرسوله ﷺ، وأفافت المدينة كلها على وقع الحوافر والخفاف، الجمال والخيل والأحمال تملأ شوارع المدينة، والحقد والغیظ يملأ قلوب اليهود والمنافقين، فقد استجاب الله لرسوله (حين خرج

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم (٢٢/٢): حدثني عبد الله بن أبي بكر، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن جده.. وشيخ ابن إسحاق ثقة (التقريب ٢٩٧) ويحيى تابعي ثقة (التقريب ٥٩٣) وجده صحابي.

فقال: اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم، ففتح الله لهم يوم بدر، فانقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا<sup>(١)</sup>

فرح وعناق في الشوارع، وعلى الأبواب وخلف الأبواب، ورغم هذا الفرح المتدفق في الشوارع والقلوب.. كان ﷺ مأخوذاً بهموم وهموم.. الدعوة والقيادة والأسرى، وبيته الحزين على رقية، وزينب البعيدة بين جبال مكة.

يا له من شوق حمله ﷺ إلى المشي حيث يؤسر زوجها وابن خالتها (أبي العاص بن الربيع) إنه الآن بين الأسرى، ولا أدري في أي حجرة هو. لكن شوق النبي ﷺ إلى ربحانته زينب يأخذه إلى حيث يقبع أبو العاص، ليحدثه في شأن زينب، فلا يتركه حتى (أخذ عليه أو وعده أن يخلي سبيل زينب إليه)<sup>(٢)</sup> ولكن هذا لا يعني أن يعفى زوج ابنة رسول الله ﷺ من الفداء. فهو أحد الأسرى، ولا فرق بينه وبينهم، وما طلبه الرسول ﷺ منه كان طلباً شخصياً لا علاقة له بالحرب، فزينب هي ابنة خديجة بنت خويلد، وأبو العاص هو ابن خالتها هالة بنت خويلد.. هالة التي كان تحلق برسول الله ﷺ في أجواء من الذكريات الحبيبة، فتثير الغيرة في قلب الشابة عائشة رضي الله عنها.

تحدثنا أم المؤمنين عن غيرتها فتقول: (استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاع فقال: اللهم هالة! فغرت)<sup>(٣)</sup>.

وسوف ينفذ أبو العاص وفي بوعده، فهو رجل كريم حسن الخلق والإلا لما زوجه رسول الله ﷺ أكبر بناته.

غادر ﷺ أبا العاص بن الربيع إلى أسير آخر يتلمل من أسرهم، وتخجله ثيابه الممزقة.. إنه عمه (العباس) الذي أحزن منظر ثيابه رسول ﷺ، لكن أحد مشركي المدينة شعر بالشفقة على مشركي قريش، فقام بعمل يكسب به معروفاً على النبي عليه السلام، ومعروفاً على مشركي قريش.

(١) حديث حسن مر معنا وقد حسنه الإمام الألباني في صحيح أبي داود (٥٢٥/٢).

(٢) حديث حسن. رواه أبو داود وحسنه الإمام الألباني (٥١٢/٢).

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري ١٢٨٩-٣ ومسلم ٤١٠-١.

(عبد الله بن أبي بن سلول) الوثني الحاقد على هذه الدولة التي تحميه، المحتقن من هذا الانتصار العظيم يقدم هدية للعباس. جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: «لما كان يوم بدر، أتى بأسارى، وأتى بالعباس، ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ﷺ له قميصاً فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ»<sup>(١)</sup>

شكر النبي ﷺ ابن سلول صنيعة وحفظه له، وترك عمه العباس في أسره، وتوجه نحو أصحابه، وتحدث معهم عن الأسرى، فجرى الحديث على ذكر أحد شيوخ قريش في الأسر، فكانت:

## المعجزة

لقد قيل إن (في الأسرى) (أبو وداعة بن صبرة السهمي)، فقال رسول الله ﷺ: إن له بمكة ابناً تاجراً كيساً ذا مال، كأنكم به قد جاءكم في فداء أبيه)<sup>(٢)</sup> وابنه هذا اسمه: المطلب بن أبي وداعة. معجزة ينطق بها ﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى، لكن ما السبب الذي جعل المطلب ينهض مسرعاً نحو المدينة؟

دعونا ننتقل إلى أجواء مكة الكئيبة.. بين منازلها وجبالها. حيث أصاب حجر فارس الأحلام، الذي رآته عاتكة بنت عبد المطلب في منامها كل منزل من منازل قريش، وشظايا ذلك الحجر الآن نزيه في كل قلب يسكن مكة. امتلأت البيوت والأخبية بالبكاء والعيول، وشقت الثياب، وارتفع النواح، ونثر التراب على الرؤوس. فأبو سفيان الذي نجا بالقافلة لم ينج من جراح بدر، فقد أنخنه في أعماقه.. ها هي هند بنت عتبة زوجته تنوح وتنوح، وقد أصيبت بما لم يصب به غيرها. التهمت الصحراء والدها عتبة، وعمها شيبه، وأخاها الوليد، وهم شجعان العرب وسادة قريش. ترى ماذا فعلت هند بثيابها؟ وإلى أي مدى ارتفع نسيجها ونواحها؟ وهناك (أم جميل) أخت أبي سفيان.. حمالة الحطب المجرمة. لا بد أنها احترقت بما سمعت، وهناك زوجة أبي جهل.. ماذا فعلت عندما أخبرها عكرمة بقصة هلاك والده؟ وزوجة أمية بن خلف.. لا بد أنه قد جن جنونها عندما علمت بموت زوجها الشنيع مع ابنها علي.

(١) صحيح البخاري ٣-١٠٩٥.

(٢) تخريجه في الحديث التالي فهو جزء منه.

أبو لهب طار صوابه لدوي انتصار ابن أخيه.. يطرق المدى والآفاق.. أجواء بائسة بائسة، ومكة تكاد تحترق بأنفاس أهلها وغيظهم.. الدهول تجده في كل زاوية، وعلى كل وجه.

لكن هناك من اختلطت في نفسه مشاعر البهجة بالأسى.. عاتكة بنت عبد المطلب تفرح بتحقيق رؤياها، وهلاك طواغيتها، لكن العباس وعقيلاً قد وقعوا في الأسر. وفي بيت عقبة بن أبي معيط كانت ابنته المحبوسة (أم كلثوم) لا بد أنها حزنت كثيراً لموت أبيها مشركاً. فإذا تخطينا عدة أبيات، ثم توقفنا ودلفنا.. وجدنا زينب ابنة النبي ﷺ والوجوم يلفها.. زوجها أسير، ووالدها وأخواتها بعيدون عنها، وبعض أهل مكة يقتلونهن بنظراتهم، لكنها تصبر وتحسب المرارة والحزن عند الله، وتسمع عن الفداء، وترفع يديها خلف رقبتها، وتحل رباط قلادة لها، وتبحث عن أمين يبعث بهذه القلادة إلى والدها، عل هذه القلادة تحرر أسيرها وحبيبها.

أما المطلب بن أبي وداعة، والذي تنبأ الرسول ﷺ بقدومه إلى المدينة ليفك أسر أبيه، فيسير نحو مجلس لبعض رجالات قريش، الذين ندموا على كثرة النواح والعيول على من التهمتهم الصحراء في بدر. فماذا قال المطلب في ذلك المجلس؟

لقد (كانت قريش ناحت على قتلها، ثم ندمت، وقالوا: لا تتوحوا عليهم، فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم،...

فلما قالت قريش في الفداء ما قالت، قال المطلب: صدقتم والله لئن فعلتم ليثأرن عليكم. ثم انسل في الليل، فقدم المدينة، ففدى أباه بأربعة آلاف درهم<sup>(١)</sup> واصطحبه معه إلى مكة، ورأى الصحابة معجزة نبوية أخرى، وتتابع المشركون بعده يقدون أسراهم بأموالهم، لكن هناك من يحلم ب:

## إطلاق الأسرى دون مقابل

أحدهم كان يحمل طموحاً أكبر، فهو يطمح إلى إطلاق جميع الأسرى. إنه الذي رأى الملائكة على أرض بدر، وهو أحد وجهاء قريش: (جبير بن مطعم بن عدي) ابن

(١) سنده حسن رواه الطبراني (الجزء المفقود رقم ١١) من طريقين... وهب بن جرير و... عبيد بن عقيل قالوا: حدثنا جرير بن حازم، حدثنا ابن إسحاق، حدثني يحيى بن عباد عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير. صرح ابن إسحاق بالسماع من التابعي الثقة يحيى بن عباد التقريب ٥٩٢ وأبوه تابعي ثقة وجرير ثقة إلا عن قتادة وهذا ليس منه ووالده أوثق منه.

ذلك الشهم الكريم «المطعم بن عدي».. يمتطي راحلته متجهاً نحو المدينة، ليجتمع برسول الله ﷺ في محاولة منه لإطلاق سراح الأسارى من قومه، لكنه يقع في الأسر. لم يأسره أحد من الصحابة، ولا حتى من قطاع الطرق! أسره القرآن وهو يمشي بهدوء بمحاذاة جدار مسجد النبي ﷺ.. في سويعات هادئة بعد الغروب.

يقول جبير: إنه (جاء في فداء أسارى أهل بدر، فوافقت رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب: ﴿وَالظُّورِ ۝١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ۝٢﴾ فِي رَقِيٍّ مَنشُورٍ ۝٣﴾ فَأَخَذَنِي مِنْ قَرَأْتَهُ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ) (١) (فسمعتة وهو يقرأ وقد خرج صوته من المسجد ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ قَعٌ ۝٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝٨﴾ فَكَأَنَّمَا صَدَعْتُ قَلْبِي) (٢)، (وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي) (٣)، فاستجاب جبير بن مطعم لقلبه الذي تعلق بهذا الصوت المنساب من المسجد، فتوقف يستمع إلى النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ قَعٌ ۝٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ۝١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُتِبَ بِهَا تُكذِّبُونَ ۝١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعَيْمٍ ۝١٧﴾ فَكَهَيْنَ بِمَا ءَانْتَهُمُ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝١٨﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَرَوَّجَتْهُمُ بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّ بِيَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ شَيْءٍ كُلِّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيئًا ۝٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢﴾ يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْنٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ۝٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُوهُمْ مَكْنُونٌ ۝٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى

(١) حديث حسن من أجل أسامة بن زيد الليثي وهو حسن الحديث إذا لم يخالف ويشهد له ما بعده عند البخاري.. والحديث رواه الطبراني (٢-١١٧).

(٢) حسن. رواه الطبراني (٢-١١٧-١١٨) من طريقين عن هشيم وعزاه لأبي يعلى وهشيم رواه من طريقين: حدثنا سفيان بن حسين عن الزهري عن محمد بن جبير عن أبيه. وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده. وقد صرح هشيم، وسفيان ثقة في غير الزهري، فهذه الطريق ضعيفة وأما الطريق الثانية فهشيم سمعه من الزهري ومع ذلك فهو معلول لأنه كتب عنه فطيرت الريح أوراقه بعد خروجه فأصبح معلول الحديث إذا روى عنه. وهذان الطريقان يقوي بعضهما البعض بالإضافة إلى حديث البخاري.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠٢٣).

بَعْضٍ يَسْأَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ  
السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْنَا مَا أَنْتَ  
بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا  
فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرِبِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ  
نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ  
أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ  
رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾ ﴿١﴾

يقول جبير: (فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ أَمْ  
خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ  
﴿٣٧﴾ . كاد قلبي أن يطير) (١).

كان جبير خلف الجدار يشقى بقلبه، بينما كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان  
وعلي وبقية الصحابة ينعمون بالقرآن والصلاة حتى أتموا صلاتهم، ثم سلم النبي ﷺ  
وسلم الصحابة من خلفه، وبعد قليل انصرفوا، وانصرف النبي ﷺ، فتوجه إليه جبير  
ابن مطعم، فاستقبله النبي ﷺ بكل الوفاء والعرفان مذكراً إياه بكرم أبيه «المطعم بن  
عدي». قدّم جبير للنبي ﷺ التماساً يطلب فيه إطلاق الأسرى من قريش، لكن إجابة  
الرسول ﷺ كانت مخرسة.

لقد قال له: (لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له) (٢)  
فهمّ جبير بن مطعم إجابة النبي ﷺ، فانصرف بغير القلب الذي جاء به.. يحمل إيماناً  
يصارع كضراً.. يحمل همّ عمه الذي قتله حمزة، ويحمل تقديراً للنبي ﷺ وإجلالاً، بعد  
أن سمع ما يسر من ثناء على أبيه واحتفاظ بالجميل.

عاد جبير إلى مكة ولم يعد الأسرى، وما زال أبو العاص بن الربيع بينهم، وذات  
يوم يصل إلى المدينة رجل يحمل مالاً، ويحمل قلادة إلى رسول الله ﷺ، فيأخذ عليه

(١) سورة الطور: الآيات ٧-٣٧.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٨٥٤).

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠٢٢).

السلام تلك القلادة، وتهتز نياط قلبه وهو يقبلها، وتتعلق عيناه بها فتحمله بعيداً.. بعيداً حيث خديجة.. حيث زينب وحيث مكة الحبيبة، فينضح قلبه بالحزن، ولسانه بالرجاء لأصحابه أن يخففوا أحزانه وأحزان حبيبته.

فيتأثر من حوله بمشهد الحرمان والشوق والغربة الذي يحيط بهذا النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم جميعاً.

تقول عائشة رضي الله عنها: (لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة، أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا. فقالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه وردوا عليها الذي لها)<sup>(١)</sup> وقبل أن ينطلق أبو العاص إلى زينب أكد لرسول الله ﷺ أنه سيبعث بزینب، وذلك بتحديد مكان تلاقي فيه من سيرسله رسول الله ﷺ لمرافقتها في طريق هجرتها. هذا المكان هو أحد بطون الأودية واسمه (بطن يأجج)، وهو قريب من مكة. ثم انطلق أبو العاص إلى مكة، ولما وصل إلى زينب فرحت به، وفرح بها وسلمها قلادتها وحريرتها، فاخترت الله ورسوله، وتوجهت إلى (بطن يأجج) بصحبة ابنتها الصغيرة أمامة.

أما في المدينة فقد (بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال: كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب، فتصحبانها حتى تأتيايها بها، فخرجا مكانهما، وذلك بعد بدر بشهر أو شيعه، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالالحوق بأبيها فخرجت جهرة)<sup>(٢)</sup> بعد أن سلمها أبو العاص قلادتها وحريرتها، وأبقى لنفسه الهواجس والحرمان. وفي بطن (يأجج) راقفها أخوها زيد وصاحبه إلى أبيها.. إلى المدينة المنورة بالإسلام. فرح بها رسول الله ﷺ.. فرحت بها فاطمة، وفرحت بها أم كلثوم، لكن وصولها لأمس

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق وأحمد ٦-٢٧٦ وغيره من طريقه: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة. وهو سند مر معنا فيحیی ثقة ووالده أوثق منه.

(٢) هذه الزيادة هي آخر الحديث السابق وبالسند نفسه عند الطبراني ٢٢-٢٨ وأبي داود ٢٦٩٢ وهي زيادة قوية وتلميذ ابن إسحاق هو محمد بن سلمة الباهلي ثقة من رجال مسلم التهذيب ٩-١٩٤ وتلميذ ابن سلمة شيخ أبي داود ثقة حافظ عبد الله بن محمد بن علي بن نفييل وتلميذ النفييلي - شيخ الطبراني هو عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب وهو ثقة كما قال الدار قطني (بلغة القاضي ٨٨).

جرحاً في أعماقهن على رقية الراحلة.. الراقدة تحت أطباق الثرى.. ذكرى رقية، وما أصابها في سبيل الله من غربة وآلام.. أذاها المشركون في مكة، فهاجرت مع عثمان إلى الحبشة، ثم عادت إلى مكة، ثم هاجرت إلى المدينة، ولم يطل بقاؤها في المدينة حتى اجتاحتها أوجاع خطفتها، وخطفت شبابها.

كان ذلك كله في سبيل الله، وهذا ما يهون من الحرقة عليها، فهي راحلة إلى النعيم الخالد. تلك هي قصة زينب وأسيرها ف:

### ماذا عن بقية الأسرى

غادر الأسرى إلى مكة بعد أن دفعوا الفدية، ولكن بقي أناس منهم لا يملكون فداءً ولا مالاً.. استخفهم أبو جهل فأطاعوه، وقد ذهب أبو جهل إلى النار وتركهم بين القيود، وهناك آخرون رفض أهلهم دفع الفداء، فماذا سيفعل بهم الرسول ﷺ؟ هل سيقتلهم، أم سيكون الأسر وأعمال السخرة والتعذيب مصيرهم حتى تجمع لهم قريش مالاً؟

لا هذا ولا ذلك. إن رسول الله ﷺ أكبر من أن يكلفهم ما لا يطيقون، والإسلام ما جاء ليصادر الحريات، بل ليدعمها ويطلقها في طرقات البناء والإسلام.

نزل القرآن الكريم يقول للنبي ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧٠) (١).

كلمات تسقي بذور الخير في قلوب هؤلاء الأسرى، وتجعلهم أصحاب أفق أبعد، وتفكير أرقى.. كلمات تقدم المغفرة والجنة، فمن أراد الإسلام فلا حاجة لأسره، فليعيش بين أهل المدينة على الرحب والإيمان والسعة. أما من يأبى ذلك، فلا حاجة للمسلمين في حبس حريته.. أبواب الحرية أمامه مشرعة، لكن عليه قبل ذلك أن يؤدي.

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٠.

## الخدمة الاجتماعية بدلاً من الحبس

وبذلك يستفاد منه ومن بقائه بين أظهر المسلمين، بدلاً من إرهاق ميزانية الدولة المسلمة الفقيرة بالإنفاق عليهم.. رغم أن هذا الإنفاق فيه أجر عظيم، وعظيم جداً. كما قال تعالى في وصف الصحابة أنهم: ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْءٍ مَّسْكِينًا وَبَيْتًا وَأَسِيرًا ﴾<sup>(١)</sup> لذلك أمروا بالخدمة الاجتماعية. فما هي الخدمة التي أداها هؤلاء مقابل حريتهم؟ يقول أحد الصحابة: (كان ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة)<sup>(٢)</sup> وقد حدثت قصة طريفة بين أحد هؤلاء الأسارى وبين والد أحد أولئك الأطفال، عندما (جاء غلام من أولاد الأنصار إلى أبيه فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي.

قال: الخبيث يطلب بدحل بدر؟ والله لا تأتيه أبداً) أي يأخذ ثأره مما حدث له في غزوة بدر بضرب ذلك الطفل.

وبذلك يؤكد النبي ﷺ مبدأ العلم، وأنه (فريضة على كل مسلم)<sup>(٣)</sup> كما يفتح ﷺ باب خدمة المجتمع كبديل للحبس. فتعلم جزء كبير من أبناء الأنصار القراءة والكتابة، وتفوق المسلمون على عدوهم حرياً وعلماً، وعاد بقية الأسرى إلى مكة، بعد أن أدوا تلك الوظيفة الاجتماعية.

أصابته الدهشة جزيرة العرب لهذا الانتصار، وتفاقم الحقد في نفوس اليهود، وضاقوا بما جرى، ولا أدري لم كل هذا الحقد اليهودي والحسد والأمر كوجه الشمس؟ إنه النبي الذي جاء ليحررهم من الاضطهاد والطغيان، ويخفف عنهم بعض الأحكام التي عوقبوا بها لتمردهم. لا أدري لم كل هذا التبرم والعناد وهم يعرفون أنه ﴿ الرَّسُولَ الَّذِي أَلْمِمْكَ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

(١) سورة الإنسان: الآية ٨.

(٢) سنده قوي. رواه أحمد ١-٢٤٧ وغيره عن علي بن عاصم حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس.. وهو صحيح لولا أخطاء ابن عاصم فهو صدوق يخطئ التقريب ٤٠٣ وهو هنا لم يخطئ فقد تابعه خالد بن عبد الله الطحان ثقة ثبت من رجال الشيخين.

(٣) حديث صحيح. (صحيح الجامع ٢-٧٢٧).

يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ  
الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿١﴾، وقد تمكن الأخبار  
والرهبان فيما بعد أن يحذفوا اسم محمد ﷺ من التوراة والإنجيل، لكنهم لم يتمتعوا  
بقدر من الذكاء يمكنهم من طمس كل شيء يتعلق بمحمد في التوراة والإنجيل. لقد كانوا  
من الغباء بحيث أبقوا على وصف أحداث وأماكن لا يمكن أن تنطبق إلا على محمد ﷺ،  
فمثلاً غفلوا عن هذه الكلمات في التوراة، والتي تقول: (هذه هي البركة التي بارك بها  
موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: أقبل الرب من سيناء، وأشرق لهم من  
جبل ساعير وتجلي من جبل فاران)<sup>(٢)</sup> حذفوا اسم محمد ونسوا كلمة (فاران) فجبال  
فاران هي جبال مكة، وموسى وعيسى، وكل أنبياء بني إسرائيل ليس لهم علاقة بجبال  
فاران، أي جبال مكة حسب التوراة والإنجيل. فمن هو النبي الذي أوحى إليه وهو فوق  
جبال فاران، كما أوحى إلى موسى بين جبال سيناء، هل هناك غير محمد ﷺ؟!

شيء آخر.. إنه حادث الهجرة، وحتى غزوة بدر أيضاً كان لهما إشارة في التوراة،  
وقد حذف الأخبار اسم محمد ﷺ، لكنهم نسوا أن الاسم وحده ليس كل شيء،  
فالأحداث مفصلة على محمد ﷺ وحده. هكذا تقول توراتهم: (وحي على بلاد العرب،  
في الوعر في بلاد العرب، بيتوا في صحراء العرب يا قوافل الدانين، هاتوا ماءً  
للعطشان، يا سكان تيماء استقبلوا الهارب الجائع بالخبز)<sup>(٣)</sup>. هم هاربون من أمام  
السيوف، ومن أمام القوس المشدودة، وويلات الحرب، وهذا ما قاله لي الرب. بعد سنة  
يفنى كل مجد قيदार (عدنان)، ولا يبقى من أصحاب الأقواس من جبابرة بني (عدنان)  
قيدار غير القليل)<sup>(٤)</sup>.

هذه هي النبوءة التي غفل عنها الأخبار، وتعسف في تأويلها الشراح اليوم، هل  
تنطبق على نبي غير محمد ﷺ؟ من هو الذي جاء بالوحي من جهة بلاد العرب؟ من  
هو الذي هرب وأصحابه من شدة العذاب ولظى السيوف؟ من هو النبي الذي هرب

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) الكتاب المقدس ٨٧٥ وانظر محمد...

(٣) أي رسول الله ﷺ ومن معه... وتيماء واحة عربية والدانين شعب عربي.

(٤) الكتاب المقدس، إصحاح إشعيا، ٢١، ص ٨٧٥.

من قومه (بني عدنان) ثم حاربهم بعد عام؟ من هو الذي أفنى جبابرتهم ولم يبق من جبابرتهم سوى القليل؟..

من هو النبي الذي أفنى هيبة قريش، وهم بنو عدنان بعد سنة من هجرته وهروبه، ثم إن هناك حقيقة كالشمس تزداد سطوعاً كلما حاول اليهود إخفاءها.. هذه الحقيقة هي أن التوراة تخاطب اليهود.. اليهود وحدهم، وهي تطلب منهم أن يستقبلوا حامل الوحي القادم من بلاد العرب، ومن فاران بالتحديد، بالترحاب والخبز، وأن ينصروه فهو هارب من السيوف المسلولة والأقواس المشدودة، فلماذا انتقل اليهود من أرض الشام إلى المدينة (يثرب) لماذا تركوا الديار المقدسة الباردة إلى يثرب ذات المناخ الحار، والحمى القاتلة؟

السبب واضح: هو أن التوراة كانت فيها تفاصيل أكثر عن هذا النبي، وعن مكان هجرته، وعن وقت خروجه. وإلا فما الذي حشر اليهود وجعلهم يزاحمون العرب في (يثرب) ذات الحمى والجبال الوعرة؟ مالذي جعلهم يتحملون كل هذه المعاناة، إلا لأنهم كانوا يريدون أن يوافوا الهارب بالخبز، ويحطموا به العرب والعالم. لكن ويا لأسفهم.. هذا الهارب عربي من بني عدنان (قيدار). إنها بالنسبة لهم كارثة. كيف ينقاد بنو إسرائيل لنبي عربي بعد ذلك التاريخ الطويل والحافل بالكتب والوحي.. بعد تلك السلسلة الطويلة من الأنبياء العظام من اليهود؟

كيف ينقاد اليهود المثقفون إلى نبي من هؤلاء العرب الذين تغلب عليهم الأمية وتتغلغل في نفوسهم الوثنية؟ العرب الذين لم يبنوا مدرسة، ولم يؤلفوا كتاباً؟ كيف يرضى اليهود بنبي عربي من بني إسماعيل..؟ إنه ليس من بني إسرائيل (يعقوب)، لا ولا حتى من بني إسحاق. أمر صعب، وحقيقة مرة يرفضها اليهود. إنها تعني في نظرهم أن يبقى اليهود وكتبهم وتاريخهم على الأرفف، وفي الخزائن لإفساح المجال لهذا الجديد الذي يحمله محمد ﷺ.

هذه قصة عجيبة تبين لنا سبب قدوم يهود إلى يثرب، وهي تتفق مع ما ورد قبل قليل في التوراة الموجودة اليوم. دعونا نستمع إلى رجال تأثروا بالتوراة أكثر مما تأثر بها اليهود أنفسهم.

يقول هؤلاء الرجال: (إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا، أن كنا نسمع من رجل من اليهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسول الله ﷺ أجابناه حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به، فبادرناهم إليه، فأما به وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١).

إذا فهم في الحقيقة لا ينتظرون نبياً يهديهم إلى الحق، وينقلهم من الظلمات والشرك إلى التوحيد والنور. لقد كانوا ينتظرون ملكاً يبيدون به الجيوش، ويتحكمون به في العالم وثروات العالم، يريدونه من نسل يعقوب وإسحاق، لا من أبناء العمومة - أبناء إسماعيل. وهذا أحد اليهود يتلفظ قبل وفاته بهذه الأمنية، ويبين لمن حول فراشه وهو يموت سبب قدومه إلى يثرب، التي يسميها أرض البؤس والجوع، تاركاً وراءه أرض الخضرة والخمر والأنهار.

يروى لنا هذه القصة رجل من يهود بني قريظة هداه الله للإسلام، ويحدث من نقل لنا هذه الرواية فيقول: (هل تدري عمَّ كان إسلام (ثعلبة بن سعيد) و(أسيد بن سعوية) و(أسد ابن عبيد) وهم نفر من بني هذل إخوة بني قريظة. كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا سادتهم في الإسلام؟

قلت: لا .

قال: فإن رجلاً من اليهود من أرض الشام يقال له (ابن الهبيان) قدم علينا قبل الإسلام بسنين، فحل بين أظهرنا، لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه. فأقام عندنا، فكنا إذا فحط عنا المطر قلنا له: اخرج يا ابن الهبيان فاستسق لنا .

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ابن هشام ٢-٢٧: حدثني عاصم بن عمر ابن قتادة عن رجال من قومه قالوا: عاصم تابعي ثقة عالم سمع من هؤلاء الصحابة التقريب ٢٦٨.

فيقول: لا والله، حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة، فنقول له: كم؟ فيقول: صاعاً من تمر، أو مدين من شعير.

فخرجها، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويسقي. قد فعل ذلك غير مرة، ولا مرتين ولا ثلاثاً. ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميت قال: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قلنا: أنت أعلم. قال: فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلدة مهاجره، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه وقد أظلمكم زمانه، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه<sup>(١)</sup>.

لكن ماذا فعل بنو قريظة بعد بعثة النبي ﷺ؟ هل نفذوا وصية هذا الرجل المشتاق؟ أبداً، لقد ظلوا على يهوديتهم المحرفة، ولم يسلم إلا القليل.. القليل منهم، لكن بعض اليهود لم يكتفوا بالكفر بمحمد ﷺ، بل تفاقم حقدهم فحاولوا نقض المصالحة، وهدم الجسر الذي شيده ﷺ بعد وصوله للمدينة بين أهلها جميعاً.. كفاراً ويهوداً ومسلمين، وكان أحد هؤلاء وأبرزهم يهودي حاقد.. يهودي شرير أطلق لسانه بالشتيم والسباب، ووظف موهبته الشعرية في الهجاء والسخرية السافلة من الله ورسوله، وكتابه ودينه، ومن دولة الإسلام وأهلها. ومع ذلك كله يأمر الله نبيه ﷺ بالعضو والصفح والتحمل، وعدم فتح جبهة مع هذا الخائن أو ذاك.. صالحهم ﷺ، وأمرهم بأن يعيشوا في دولة واحدة.. متعاونين على أعدائهم متناسين ما بينهم من خلاف، لكنهم خانوا العهد والميثاق، وتكروا لحسن الجوار والأخلاق، وكان رأس الفتنة هذا يسمى:

## كعب بن الأشرف

يحدثنا عنه وعن شعره أعلم الناس بشعره.. شاعر الأنصار (كعب بن مالك) يتحدث عن كعب بن الأشرف فيقول: (إن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان رسول الله ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاطاً: منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة رسول الله ﷺ، ومنهم

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق وهو الحديث السابق.

المشركون الذين يعبدون الأوثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحلقة والحصون، وهم حلفاء للحيين الأوس والخزرج.

فأراد رسول الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك، والرجل يكون مسلماً وأخوه مشرك، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ المدينة يؤذونه أشد الأذى، فأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر والعفو، فقال تعالى: ﴿وَلَسَّمَعْتُمْ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾.

وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ فأمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوا كعباً، فبعث إليه سعد (محمد بن مسلمة) و(أبا عبس) و(الحارث ابن أخي سعد بن معاذ) في خمسة رهط<sup>(١)</sup>.

فقال ﷺ: (من لكعب بن الأشرف، فإنه قد أذى الله ورسوله؟ فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: نعم، قال: فأذن لي رسول الله أن أقول شيئاً. قال ﷺ: قل)<sup>(٢)</sup> أي سمح له ببعض الكلمات التي يمس فيها رسول الله ﷺ، لكي يخدع بها كعب بن الأشرف، ويتمكن من استدراجه حتى يجهز عليه ويتخلص منه ومن خيائته. وجاءت ساعة التنفيذ ف (مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم وقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم)<sup>(٣)</sup>.

(١) سنده صحيح. أرسله البيهقي (١٩٧-٣) ووصله أبو داود (٣٠٠٠) ومن طريقه رواه البيهقي: حدثنا محمد ابن يحيى بن فارس أن الحكم بن نافع حدثهم، قال: أخبرنا شعيب عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه. والحديث صححه الإمام الألباني في صحيح أبي داود (٣٠٠٠) فالزهري وعبد الرحمن تابعيان ثقتان وشعيب ثقة ثبت من أثبت الناس في الزهري التهذيب ٤-٣٥١: وتلميذه ثقة ثبت من رجال الشيخين التقريب ١٧٦ وتلميذه هو الحافظ الجليل والإمام الثقة المشهور (الذهلي).

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري ومسلم والبيهقي (٣-١٩٥).

(٣) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي (٣/٢٠٠): حدثني ثور بن زيد الدبلي عن عكرمة عن ابن عباس. ثور الدبلي وشيخه ثقة من رجال الشيخين. التقريب ١٣٥ وشيخه زيد إمام ثقة تلميذ ابن عباس رحمه الله.

إذاً فقد (بعث إليه سعد؛ محمد بن مسلمة وأبا عيس والحارث ابن أخي سعد بن معاذ في خمسة رهط أتوه عشية، وهو في مجلسهم بالعوالي، فلما رآهم كعب أنكرهم وكاد يذعر منهم، فقال لهم: ما جاء بكم؟ قالوا: جاءت بنا إليك الحاجة. قال: فليدن إلي بعضكم فليحدثني بها.

فدنا إليه بعضهم، فقال: جئناك لنبيحك أدراعاً لنا لنستفق أثمانها. فقال: والله لئن فعلتم ذلك لقد جهدتم، قد نزل بكم هذا الرجل. فواعدهم أن يأتوه عشاء حين يهدأ عنهم الناس.

فجاءوا، فناداه رجل منهم، فقام ليخرج فقالت امرأته: ما طرقتك ساعتهم هذه لشيء مما تحب. فقال: بلى، إنهم قد حدثوني حديثهم.

فاعتقه أبو عيس وضريه محمد بن مسلمة بالسيف، وطعنه بعضهم بالسيف في خاصرته<sup>(١)</sup> ففرق الحاقد بدمائه، وكان لهذا الفرق تفاصيل أخرى يرويها أحد الأنصار، وهو جابر بن عبد الله فيقول: (قام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: نعم. قال: فأذن لي يا رسول الله أن أقول شيئاً. قال: قل.

فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عَنَّنا، وإني قد أتيتك أستسلفك. قال كعب: وأيضاً والله لتملنه. قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين. فقال كعب: نعم أرهنوني. قالوا: أي شيء تريد؟ قال: أرهنوني نساءكم. قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟

قال: أرهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكن نرهنك اللامة<sup>(٢)</sup>.

فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة -وهو أخو كعب من الرضاة- فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال:

(١) جزء من حديث أبي داود والبيهقي السابق.

(٢) أي الدروع أو السلاح.

إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيحي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب.

فقال محمد: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، فنزل إليه متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت اليوم ريحاً أطيب.

قال كعب: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب.

فقال محمد: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم فشمه، ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم.

فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه. ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه<sup>(١)</sup> وبشروه بالقضاء على اليهودي مثير الفتن هذا، وكان أحد سادات يهود بني النضير.

هذا الحدث لم يكن سهلاً.. كان أثره عميقاً في نفوس يهود بني النضير، بل إنه قد هز أعماق المشركين من عبدة الأوثان أتباع الوثني المسمى بـ (عبد الله بن أبي بن سلول) فعندما (قتلوه فزعت اليهود ومن كان معهم من المشركين، فغدوا على رسول الله ﷺ حين أصبحوا فقالوا: إنه طرقت صاحبنا الليلة، وهو سيد من ساداتنا فقتل. فذكرهم رسول الله ﷺ الذي كان يقول في أشعاره، وينهاهم به، ودعاهم رسول الله ﷺ إلى أن يكتب بينه وبينهم، وبين المسلمين عامة صحيفة كتاباً ينتهون إلى ما فيه.

فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة، كتبها رسول الله ﷺ تحت العذق الذي كان في دار ابنة الحارث<sup>(٢)</sup> إذاً فقد تحول العهد والميثاق الشفهي إلى:

## وثيقة وطنية مكتوبة بين النبي والمسلمين واليهود

ها هو أحد الصحابة يحدثنا بتفاصيل أدق للعملية السابقة فيقول: (مشى معهم رسول الله إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم وقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم،

(١) حديث صحيح. رواه البخاري ومسلم والبيهقي (١٩٥/٣-١٩٦).

(٢) جزء من حديث أبي داود والبيهقي. السابق وهو صحيح.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته وهو في ليلة مقمرة، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان حديث عهد بعرس، فوثب في ملحفته، فأخذت امرأته بناحيتهما وقالت: أنت امرؤ محارب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة. قال لها كعب: لو دعي الفتى لطعنة أجاب.

فنزل، فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه، ثم قالوا: هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز فتحدث به بقية ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم.

فخرجوا، فمشوا ساعة، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال: ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط. ثم مشى ساعةً ثم عاد لمثلها حتى اطمأن، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفودي رأسه ثم قال: اضربوا عدو الله.

فاختلفت عليه أسيافهم، فلم تغن شيئاً،

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولاً في سيفي، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، فوضعت في ثنته، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته، فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو في رأسه، أصابه بعض سيوفنا، فخرجنا حتى سلطنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة، ثم على بعث، حتى أسندنا في حرة العريض، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم، فوقفنا له ساعة، ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه، فجتنا به رسول ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي، فسلمنا عليه فخرج إلينا، فأخبرناه بقتل عدو الله، وتفل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا، ورجعنا إلى أهلنا، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله، فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه<sup>(١)</sup> بعد أن رأوا مصير هذا المتآمر، لا سيما وهو أحد زعماء يهود بني النضير وساداتهم.

ملاً الخوف نفوس مشركي المدينة أمثال عبد الله بن أبي بن سلول وغيره، واهتزت حصون اليهود وأوثان المشركين، ففقدوا اجتماعاً خائفاً وقصيراً، فيدُ الموت أصبحت

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق (سيرة ابن كثير) وروى البيهقي أوله (٢/٢٠٠) من طريق ابن إسحاق: حدثني ثور بن يزيد الديلي عن عكرمة عن ابن عباس.. وقد صرح ابن إسحاق بالسماع من شيخه... وشيخه ثقة من رجال الشيخين. التقريب (١٢٥) وعكرمة تابعي وإمام معروف.

طويلة تمتد نحو كل خائن، حتى لو كان زعيماً ككعب بن الأشرف، فما الذي حدث بعد ذلك الاجتماع؟

(فزعت اليهود ومن كان معهم من المشركين، فغدوا على رسول الله ﷺ حين أصبحوا، فقالوا: إنه طرق صاحبنا الليلة وهو سيد من ساداتنا فقتل، فذكرهم رسول الله ﷺ الذي كان يقول في أشعاره وينهاهم به، ودعاهم رسول الله ﷺ إلى أن يكتب بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة، كتبها رسول الله ﷺ تحت العذق الذي كان في دار ابنة الحارث)<sup>(١)</sup>.

وثيقة وطنية مكتوبة تلقي على جميع سكان المدينة ومواطني الدولة الإسلامية.. مهما كانت ديانتهم، أقلية أو أكثرية.. مسئولية الأمن في هذه الدولة، وعدم ارتكاب أي شيء يزعزع أمنها، وتجنب أي تعاط مع خارج الدولة قد يسبب ضرراً لها.

حدثت هذه الوثيقة الوطنية من خيانة هؤلاء اليهود ومن يتعاون معهم من المشركين، أمثال عبد الله بن أبي بن سلول، وغيره من عباد الأوثان. لقد أفحم رسول الله ﷺ قوم كعب بن الأشرف وأتباعه من يهود بني النضير، وأذنبهم من المشركين حينما هرولوا يحتجون على اغتيال ذلك الخائن.

لقد قدم لهم الوثائق التي تدينه.. أسمعهم ﷺ قصائده التي تتخر في عظام المدينة كلها، وكانت تلك القصائد تحرض على انفجار حرب أهلية تلون جدران المدينة بالموت والدماء.. تلك القصائد كانت تحرض قريشاً على التحالف مع اليهود ضد هذه الدولة الفتية، ولا أعرف سبباً واحداً يجعل كعباً وغيره يقدمون على إثارة الفتن والدماء. لقد عاملهم ﷺ بكل لطف واحترام، وجاء من أجل إنقاذهم.. كان ﷺ حليماً حكيماً في التصرف معهم، رغم إساءاتهم المتكررة له، ولدينه ولأصحابه. لقد سكت اليهود عندما سمعوا تلك القصائد، وكان في سكوتهم إدانة لهم. لكن النبي ﷺ لم يشملهم بالعقاب، إنما دعاهم إلى كتابة وثيقة عهد بينهم يأمن بعضهم شر بعض على أساسها، ويلزم كل طرف بعدم التعاون مع أطراف خارجية ضد أحد أطراف تلك الوثيقة، ولو بالشعر فالشعر آنذاك هو الإعلام.

(١) حديث صحيح مر معنا وقد رواه أبو داود والبيهقي (٣-١٩٨).

وافق بنو النضير على ذلك، لكن دماء الحقد المتجمدة الآن في عروق كعب بن الأشرف.. لا تزال حارةً متدفقة في شرايين بني النضير وغيرهم، فلم يمر سوى زمن يسير حتى:

## أعلن يهود النضير وقريظة الحرب

يقول الشاب عبد الله بن عمر بن الخطاب: (إن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ، فأجلى رسول الله ﷺ بني النضير، وأقر قريظة ومن عليهم)<sup>(١)</sup> لكن ما هي:

### قصة إجلاء بني النضير

وكيف خانوا وحاربوا، وكيف تصرف رسول ﷺ معهم ومع خيانة بني قريظة عندما نقضوا تلك الصحيفة، التي أجمع عليها يهود المدينة كلهم؟ يحدثنا أحد أصحاب النبي ﷺ فيقول: (إن كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أبي بن سلول، ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج -ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة- قبل وقعة «بدر» يقولون: إنكم أويتم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عدداً، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه، أو لتخرجنه، أو لنستعن عليكم العرب، ثم لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم.

فلما بلغ ذلك (ابن أبي) ومن معه من عبدة الأوثان تراسلوا فاجتمعوا، وأرسلوا وأجمعوا لقتال النبي ﷺ وأصحابه، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ فلقبهم في جماعة فقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت لتكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم.

فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا، فبلغ ذلك كفار قريش، وكانت وقعة «بدر» فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نساءكم شيء (وهو الخلاخل).

(١) حديث صحيح. رواه البخاري ومسلم والبيهقي (١٨٣/٣).

فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر، فأرسلت إلى النبي ﷺ: أخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حبراً حتى نلتقي في مكان كذا، نصف بيننا وبينكم فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمننا كلنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبراً من يهود، حتى إذا برزوا في براز<sup>(١)</sup> من الأرض قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه، كلهم يحب أن يموت قبله، فأرسلوا إليه: كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلاً؟ أخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمننا كلنا وصدقناك.

فخرج النبي ﷺ في ثلاثة نفر من أصحابه. واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى بني أخيها - وهو رجل مسلم من الأنصار-، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغدر برسول ﷺ، فأقبل أخوها سريعاً، حتى أدرك النبي ﷺ فسأره بخبرهم قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ.

فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب، فحاصرهم وقال لهم: إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه.

فأبوا أن يعطوه عهداً، فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسلمون، ثم غدا الغد على بني قريظة بالخيول والكتائب، وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم، وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة، والحلقة (السلاح).

فجاءت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت إبل من أمتعهم وأبواب بيوتهم وخشبها، فكانوا يخربون بيوتهم، فيهدمونها فيحملون ما وافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام، وكان بنو النضير من سبط من أسباط بني إسرائيل لم يصبهم جلاء منذ كتب الله على بني إسرائيل الجلاء، فلذلك أجلاهم رسول الله ﷺ، فلولا ما كتب الله عليهم من الجلاء لعذبهم في الدنيا كما عذبت بنو قريظة،

(١) في مكان مرتفع.

فأنزل الله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْتَمَسُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مَن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾ وكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة فأعطاه الله إياها وخصه بها فقال: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يقول: بغير قتال.

فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين وقسمها بينهم، ولرجلين من الأنصار كانا ذوي حاجة، لم يقسم لرجل من الأنصار غيرهما<sup>(١)</sup>.

هذه هي قصة يهود بني النضير.. قدموا إلى المدينة بحثاً عن النبي المنتظر، فلما بعث هذا النبي وجدوه عربياً وليس من بني إسرائيل، فكرهوه، وعاهدوه على مضمض، ولما حانت لهم الفرصة خانوه ونقضوا كل عهودهم ومواثيقهم معه، فعاقبهم الله بالشتات، فاستأنفوا رحلة الضياع من جديد بعد أن حاصرهم المسلمون، فصاروا يخربون بيوتهم غيظاً وحسداً حتى لا يستفيد منها المسلمون. لكن الغيظ القاتل جلل اليهود، ورافقهم عندما وجدوا المسلمين أنفسهم يخربون تلك البيوت ولا يكثرثون. فالمسلمون لم يحاصروا بني النضير من أجل بيوتهم وأموالهم ونخيلهم، بل لأنهم خونة، وإذا كان اليهود يرون في تلك البيوت ثروة للمسلمين، فالمسلمون لا يريدون تلك الثروة، ولا يقبلون بقاء الخونة بينهم أو في جوارهم، بل لقد أقدم المسلمون على تصرف يحرقون به آثار اليهود.

(١) صحح إسناده الإمام الألباني في كتابه ٠ صحیح سنن أبي داود ٢-٥٨٢ حديث (٣٠٠٤) فقد قال: صحیح الإسناد. ولمزيد من التفصيل راجع موسوعة السيرة.

يخبرنا عن ذلك أحد الصحابة رضي الله عنه في قوله: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَلْسِقِينَ ﴾ قال: يستنزلونهم من حصونهم، وأمروا بقطع النخل فحاك في صدورهم، فقال المسلمون: قطعنا بعضاً، تركنا بعضاً، فلنسالن رسول الله ﷺ: هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ ﴾<sup>(١)</sup> أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله.

هذا هو الإسلام، وهؤلاء هم المسلمون، وهذه هي التربية الإسلامية التي لا تنحصر بين أروقة المساجد، وجدران البيوت.. تربية تنتشر في كل اتجاه، وتصاحب المؤمن في كل مكان، وتحت أي ظرف.. في أوج الحروب. بين بريق السيوف والدماء وتفجر الحماس والغضب لله يتوقف المسلمون ليسألوا رسول الله ﷺ عن صحة تصرفهم مع فسيلة نخل؟ الإسلام يشكل تعاملاتهم مع كل شيء، حتى مع جذوع النخل، بعد أن أرشدهم إلى التعامل مع جذوع الخيانة وجذورها اليهودية.

غادر اليهود من بني النضير إلى الشام، وإلى غير رجعة. غادروا يبحثون عن نبي غير عربي يأتيهم حسب رغباتهم، ويأتيهم بما يشتهون، وبقي منهم في المدينة من اختار الله ورسوله، ودخل في الإسلام مكرماً بين حفاوة المؤمنين. غادر (النضير) فهدأت المدينة، وعاد إليها المؤمنون بنصر جديد، وفرح جديد، وعاد عثمان إلى بيته، فعاد الحنين إلى رقية. شعر ﷺ بشوق عثمان وحزنه.. لا بد أنه شعر. ونبي الله ﷺ لا يكتفي بحمل المشاعر لمواساة المحتاجين إلى المواساة.. إنه يشع كالحب في المكان والإنسان.

ها هو يواسي عثمان، وها هو يواسي عمر وعلياً أيضاً.. يجعل منهم نسيجاً وأوشاجاً بارعة الجمال. تعالوا معي إلى البداية.. إلى بيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنهم، فقد كان لابن الخطاب ابنة سماها (حفصة) زوّجها من صحابي اسمه: (خنيس بن حذافة السهمي) وكان خنيس أحد المهاجرين إلى الله ورسوله. لم

(١) سنده صحيح رواه النسائي في الكبرى ٦-٤٨٣: أخبرنا الحسن بن محمد بن عфан، حدثنا حفص بن غياث، حدثنا حبيب بن أبي عمر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.. سعيد تابعي مجاهد ثقة وحبيب وحفص ثقتان من رجال الشيخين، والحسن الزعفراني ثقة من شيوخ النسائي. انظر التهذيب (٧-٢٢٠)، ٢-٣١٨ و٤١٥) وشيخه أوثق منه.

يعيش خنيس مع حفصة طويلاً، فلقد توفي في المدينة رضي الله عنه، وبعد فترة من الزمن حدثت هذه القصة، التي يرويها عبد الله بن عمر فيقول (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تأيمت حفصة<sup>(١)</sup> بنت عمر، من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، فتوفي بالمدينة، فقال عمر: أتيت عثمان فعرضت عليه حفصة بنت عمر، فقلت: إن شئت أنكحتك؟ فقال: سأنظر في أمري. فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا.

قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر؟ فصمت أبو بكر، فلم يرجع إلي شيئاً، فكنت عليه أوجد مني على عثمان.

فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: نعم. قال: فإنه لم يمنني أن أرجع إليك فيما عرضت علي، إلا أنني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها<sup>(٢)</sup>.

فرح عمر بمصاهرة رسول الله ﷺ، وفازت حفصة بنبي الأمة عليه السلام، وقبل عمر اعتذار أبي بكر، أما عثمان بن عفان فعذره لا يحتاج إلى بيان، وحزنه يعلأ حياته، لكن الله ورسوله أرحم بقلب عثمان من أن تذهب به الهموم أبعد من هذا. لقد زوجه رسول الله ﷺ من ابنته أم كلثوم رضي الله عنها، فعاد النبض والحياة إلى النسب بين عثمان وبيت النبوة الكريم.

ابتهج عثمان، وابتهج أم كلثوم، وابتهجت المدينة بهذا العرس الجميل، فشع في صدر أبي بكر طمع مباح، وطموح كالأمانى. رغب أبو بكر بقرب أكثر من رسول الله ﷺ، وكانت عيناه وقلبه باتجاه آخر أمل في ذلك.. باتجاه فاطمة بنت محمد ﷺ (سيدة نساء العالمين)<sup>(٣)</sup> وآخر ريحانة من رياحينه الأربع ﷺ وأصغر بناته، ولم يكن أبو بكر وحيداً في حلمه.. كان هناك من ينافس، فمن سيفوز بفاطمة من بين هؤلاء الأفاضل.

(١) يعني مات زوجها.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٥١٢٢) والبيهقي (١٥٨/٣) واللفظ له.

(٣) صحيح مسلم ٤-١٩٠٤.

## أبو بكر وعمر وعلي يريدون فاطمة

تقدم أبو بكر إلى النبي ﷺ خاطباً فاطمة، فلم يردّه النبي ﷺ، لكنه اعتذر منه بأسلوب نبوي مدهش، وكذلك فعل عمر، فاعتذر ﷺ بأسلوب نفسه، فماذا قال ﷺ لصاحبيه وصهره؟

الإجابة عند أحد الصحابة رضي الله عنه واسمه: (بريدة) حيث يقول: (خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة، فقال رسول الله ﷺ: إنها صغيرة)<sup>(١)</sup> إنه اعتذار مؤدب. لم يكذب ﷺ عندما قال: إنها صغيرة، ففاطمة صغيرة حقاً لكن ليس على الزواج، فعائشة بنت أبي بكر أصغر منها بسنوات، وهي الآن زوجة لرسول الله ﷺ، والعرب يزوجون في أقل من سنّها، فهي قد كانت مخطوبة في سن السادسة لرجل قبل النبي ﷺ، كما أن رسول الله أكبر وأسن من أبي بكر، ومن عمر أيضاً. إذاً فالأمر غير ذلك.

أمر آخر هو أن أبا بكر وعمر هما أفضل الأمة، وهما أفضل من عثمان رضي الله عنهم ومع ذلك اعتذر لهما وزوج عثمان ابنتيه: رقية وأم كلثوم، بل إن ابنته الكبرى زينب لا تزال متزوجة من رجل مشرك حتى الآن<sup>(٢)</sup>، وهو أبو العاص بن الربيع. إذاً فالأمر لله من قبل ومن بعد، والزواج من الأمور الدنيوية التي تراعى فيها أشياء أخرى خارج الأفضلية والتقوى والكبر والصغر.

انصرف أبو بكر وانصرف عمر رضي الله عنهما، وقد رضيا بما رضي به الله ورسوله ﷺ، وتسربت أخبارهما إلى مسامع امرأة يههما أمر زواج فاطمة، فأقلقها ما سمعت، فهبت مسرعة إلى سيدها تحرضه، وتحرضه على الزواج من سيدة نساء العالم. فماذا فعل هذا السيد، وماذا قال عندما سمع الخبر؟

ها هو يحدثنا بنفسه عن ذلك فيقول: (خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ، فقالت لي مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا. قالت: فقد

(١) سنده صحيح. رواه النسائي (٦٢/٦) حدثنا الحسين بن حريث، حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه: وعبد الله تابعي وثقة معروف وتلميذه الحسين ثقة من رجال مسلم (التقريب ١/١٨٠) والفضل ثقة ثبت من رجال البخاري ومسلم (التقريب ٢/١١١) وشيخ النسائي ثقة من رجال الشيخين (التقريب ١/١٧٥).

(٢) أقصد وقت خطبة أبي بكر وعمر لفاطمة رضي الله عنها وعنهم.

خطبت. فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك. فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟  
فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ فيزوجك.

فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

لكن لماذا كل هذا التردد في خطبة فاطمة، والقلب ميال إليها؟

أسباب كثيرة جعلت علي بن أبي طالب يتردد في خطبة فاطمة، وهي بنت ابن عمه. لعل أحدها كونه معدماً.. لا يملك ما يقدمه مهراً لهذه الوردة الطاهرة، وهي التي تستحق الكثير الكثير. لكن كيف أصبح علي معدماً وهو يملك شارفين من غنائم بدر؟  
لقد ذهب كل شيء، واختفت الناقتان.. ذهبنا مع الريح والخمر، وبقي علي وحيداً يملؤه الهم، وتفيض عيناه من الحزن. فقبل أيام رأى شيئاً مكدراً.. رأى ناقته قد سال دمهما، وبقرت بطونهما، واقتطعت أسنمتهما، وهو لم يرتكب خطأ في حق أحد، أما ما زاد في حزن علي وكدره، فهو أن الذي فعل ذلك به وبمهر فاطمة كان عمه وعمها حمزة بن عبد المطلب! ذلك الأسد الهصور، والفاتك الجسور. لقد شق بطني الناقتين، وقطع سناميها وانتزع كبديهما، ف:

## هل وقع شجار بين حمزة وعلي

هذا ما سنعرفه من علي نفسه حيث يقول: (كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان رسول الله ﷺ أعطاني شارفاً من الخمس يومئذ، فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ وأعدت رجلاً صواغاً من بني «قينقاع» يرتحل معي، فنأتى بإذخر أردت أن أبيعته من الصواغين<sup>(٢)</sup> فأستعين به في وليمة عرسي، فبينما أنا أجمع لشارفي متاعاً من الأقتاب والغرائر والحيال، وشارفائي مناخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار، وجمعت حين جمعت ما جمعت، فإذا شارفائي قد اجتبت أسنمتها، وبقرت خواصرهما، وأخذت من أكبادهما، فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي (٣-١٦٠): حدثني عبد الله بن أبي نجيع عن مجاهد عن علي. ابن نجيع ثقة التقريب ٢٢٦ وهذا ليس من التفسير فهو لم يسمعه من مجاهد أما ما عده فقد قال ابن أبي حاتم: قلت لأبي: ابن أبي نجيع عن مجاهد أو خصيف؟ قال: ابن أبي نجيع. التهذيب (٦-٥٤).

(٢) الذين يعملون في صياغة الذهب والفضة.

منهما، قلت: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة بن عبد المطلب، وهو في هذا البيت في شَرَب<sup>(١)</sup> من الأنصار، غنته قينةٌ وأصحابه، فقالت في غنائها:

### ألا يا حمزة للشرف النواء

فقام حمزة بالسيف، فاجتب أسنمتها وبقر خواصرهما، فأخذ من أكبادهما.

قال علي: فانطلقت حتى أدخل على رسول الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة، فعرف رسول الله ﷺ في وجهي الذي لقيت، فقال رسول الله ﷺ: ما لك؟ قلت: يا رسول الله، والله ما رأيت كالذيوم قط، عدا حمزة على ناقتي، فاجتب أسنمتها وبقر خواصرهما، وها هو ذا في بيتٍ معه شَرَب.

فدعا رسول الله ﷺ بردائه فارتداه، ثم انطلق يمشي، واتبعته أنا وزيد بن حارثة، حتى جاء الباب الذي فيه حمزة، فاستأذن، فأذنوا له، فإذا هم شرب، فطفق رسول الله ﷺ يلوم حمزة فيما فعل، فإذا حمزة محمرةً عيناه، فنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ، ثم صعد النظر إلى ركبتيه، ثم صعد النظر فنظر إلى سرتة، ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه، فقال حمزة: وهل أنتم إلا عبيد لأبي؟ فعرف رسول الله ﷺ أنه ثمل، فنكص رسول الله ﷺ على عقبه القهقري، وخرج وخرجنا معه<sup>(٢)</sup>.

فلا فائدة من العتاب واللوم إن لم تذهب الخمرة من رأس شاربيها، فالانسحاب هو أفضل قرار في مثل هذا الظرف.

انسحب رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة، وانسحب علي وسحب معه حزناً أفاض عينيه. إنها الخمر، وهي ما زالت حتى اليوم مباحة، ولعلي مع الخمر قصة أخرى لا تقل فداحة عن هذه.

يحدثنا عنها فيقول: (صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا، وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة، فقدموني، فقرأت: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)﴾ ونحن نعبد ما تعبدون.

(١) الشرب: هم الجماعة الذين اجتمعوا على شرب الخمر.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري ٤٠٠٢ ومسلم ٣-١٥٦٨.

فأنزل الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (١) فالصلاة حضور كامل، والخمرة غياب كامل، لذلك بدأ الإسلام يفتح القلوب والعيون على قوائم الفواجع التي يحدثها ذلك الغياب، وترتكبها الخمرة باسم النشوة، لكن هذه الآية لم تشر إلى تحريم الخمر، إنما تنهى عن الصلاة في حالة السكر، مما جعل عمر بن الخطاب يبتهل إلى الله قائلاً: (اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً) (٢).

فأمسى بعض الصحابة من يشربها في الأوقات الطويلة، التي لا صلاة فيها، كالوقت بين العشاء والفجر، أو بين الفجر والظهر، لكن أثر الخمرة لم يقتصر على إفساد الصلاة.. إنها تنتهك العقل.. تغيبه، فينتلق الإنسان متحرراً من كل قيد.. من كل شيء.. تمحي أمامه الفواصل، وتنهار في طريقه الأخلاق والآداب. يذوب الخطأ بالصواب، والجريمة بالفضيلة. الخمرة تنطلق بالإنسان من الإنسان.. تمسخه حيواناً لا يفكر بشيء، ولا يعبأ بشيء.. جسداً.. كتلة من اللحم والدم تدوس كل شيء، حتى ولو كان هذا الشيء أباً، وينتهك كل شيء، حتى وإن كان هذا الشيء أمّاً.

عمر بن الخطاب يبحث عن بيان شاف، وعلي بن أبي طالب يبحث عن مهر كاف لفاطمة، فهذا المهر قد ضاع.. يبحث عليّ فلا يجد سوى ما يسد به رمقه، ويواصل بحثه فلا يجد شيئاً، لكنه يجد مولاة له تشعر بتجوال فاطمة بين أضلاعه، فتقول له: (هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك. فقلت: وعندي شيء أتزوج به! فقالت: إنك إذا جئت رسول الله ﷺ فيزوجك. قال: فوالله ما زالت ترجيني، حتى دخلت على رسول الله ﷺ، وكان لرسول الله ﷺ جلاله وهيبه، فلما قعدت بين يديه أفحمت فوالله ما استطعت أن أتكلم، فقال رسول الله ﷺ: ما جاء بك، ألك حاجة؟ فسكت. فقال: ما جاء بك، ألك حاجة؟ فسكت، فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم. فقال: وهل عندك من شيء تستحلها به؟ فقلت: لا، والله يا رسول الله. فقال: ما فعلت درع سلحتكها؟

(١) حديث صحيح. صححه الألباني (صحيح الترمذي ٣/٢٩).

(٢) حديث صحيح. رواه أبو داود وصححه الإمام الألباني (٢/٦٩٩).

-فوالذي نفس عليٌّ بيده إنها لحطمية ما ثمنها أربعة دراهم-

فقلت: عندي. فقال ﷺ: قد زوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها به. فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> وريحانة حبيب الله وزعيم الأمة.

وتغادر الفتاة بيت أبيها، إلى بيت ليس فيه شيء سوى الحب، وأحلام الشباب.. بيت لو تجولت فيه عينك لفاضت بدموع كما فاضت عينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما رأى بيتاً شبيهاً ببيت فاطمة وعلي.

يقول عمر رضي الله عنه: (دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير، فجلست، فإذا عليه إزار، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، وقرظ<sup>(٢)</sup> في ناحية في الغرفة، وإذا إهاب<sup>(٣)</sup> معلق، فابتدرت عينا<sup>(٤)</sup>، فقال ﷺ: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذلك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار، وأنت نبي الله وصفوته، وهذه خزانتك، قال ﷺ: ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ قلت: بلى<sup>(٥)</sup>).

الدنيا عند رسول الله ﷺ (سجن المؤمن وجنة الكافر)<sup>(٦)</sup> سجن المؤمن عن الجنة.. الدنيا معاناة نحو الجنة، سيشعر بأنها سجن عند دخوله الجنة ورؤيته لأنهارها، وساحاتها وميادينها وقصورها، وشوارعها ومركباتها وسفنها الفارحة، ومدنها وسماتها وأرضها وأجساد أهلها، وعقولهم وقلوبهم، والحب والود والسلام الذي بينهم، والأمن والسعادة والاكتشاف لكل جميل ومثير دون توقف<sup>(٧)</sup>.

(١) سند قوي رواه ابن إسحاق بالسند السابق حدثني ابن أبي نجيع عن مجاهد عن علي.

(٢) القرظ: شيء يديغ به الجلد.

(٣) الإهاب: هو الجلد قبل دبه، قال ﷺ: «إذا دبغ الإهاب فقد طهر» رواه مسلم.

(٤) سألت الدموع.

(٥) حديث حسن. حسنه الإمام الألباني في صحيح ابن ماجه (٢-٤٠١).

(٦) حديث صحيح. رواه مسلم ٤-٢٢٧٣.

(٧) انظر كتاب (الجنة حين أتى) لمعرفة عمق هذا الحديث.

والدنيا جنة عند الكافر إذا حشر إلى النار يوم القيامة يتمنى الرجوع إليها..  
الدنيا سجن المؤمن وإلا لما (كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدماً<sup>(١)</sup>) حشوه  
ليف)<sup>(٢)</sup>.

الدنيا سجن المؤمن وإلا لما عاشت فاطمة في ذلك البيت المتواضع، ومهرها درع  
بأربعة دراهم، وبنات كسرى وقيصر بين الوصيفات والخاديمات في مروج وقصور  
مبحرة عبر الأنغام والأوتار.

أما أثاث بيت فاطمة، فكان يثير الشفقة.. قدمه ﷺ هدية إلى حبيبيه. لقد (جهز  
رسول الله ﷺ فاطمة في خميل، وقربة، ووسادة أدم حشوها إذخر)<sup>(٣)</sup> أثاثها رضي الله  
عنها: كساء من الصوف، وقربة للماء، ووسادة من الجلد محشوة بحشيشة الإذخر.  
فقر تصعب معه الحياة، إلا إذا كان الحب والإيمان عميقاً وفسيحاً، كما هو في قلبي  
فاطمة وعلي رضي الله عنهما.

فرح علي بفاطمة، وفرحت المدينة بعلي وفاطمة، وفي مثل هذا الفرح الغامر يقول ﷺ:  
(أعلنوا النكاح)<sup>(٤)</sup> فأعلان الزواج ابتهاج بالجميل، وابتهاج بالاجتماع والمصاهرة والحلال،  
ولذلك يقول ﷺ لأتمته: (فصل ما بين الحلال والحرام الدف، والصوت في النكاح)<sup>(٥)</sup>.

ها هو ﷺ يستمع إلى الدف والصوت، أي الغناء في مناسبة كهذه، فيعلن الحب  
لهؤلاء الذين يضرّبون الدف، ويحلف بالله على حبه لهؤلاء الذين يغنون.

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (مر النبي ﷺ بحي من بني النجار، وإذا جوار  
يضرّب بالدفوف يقلن:

(١) جلد.

(٢) حديث صحيح. رواه مسلم ٣-١٦٥٠.

(٣) سننه قوي. رواه ابن ماجة ٤١٥٢ بسند فيه عطاء بن السائب رحمه الله وقد اختلط، والراوي عنه محمد بن فضيل، قال أبو حاتم، وما روى عنه ابن فضيل ففيه غلط واضطراب، التهذيب ٧-٢٠٥ وقد توبع عند البيهقي (٣-١٦١) تابعة زائدة وقد قال الطبراني رحمه الله: ما رواه عنه المتقدمون فهو صحيح مثل: سفیان وشعبة وزهير وزائدة (التهذيب ٧-٢٠٧).

(٤) حديث حسن. (صحيح الجامع ١-٢٤٣).

(٥) حديث حسنه الإمام الألباني. (صحيح سنن النسائي ٢-٧٠٩).

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار  
فقال رسول الله ﷺ: يعلم الله أن قلبي يحبكم<sup>(١)</sup>.

وذات يوم (أبصر النبي ﷺ نساءً وصبياناً مقبلين من عرس فقام ممتناً فقال:  
اللهم أنتم من أحب الناس إلي)<sup>(٢)</sup>.

ويحرض عليه السلام أمته على الانشراح في مناسباتها الاحتفالية.. في قصة  
شاركت عائشة في زفتها، وحفظتها لنا فقالت: (أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار،  
فقال نبي الله ﷺ: يا عائشة ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو)<sup>(٣)</sup>.

وها هو عامر بن سعد بن أبي وقاص وهو ليس بصحابي يستتكر جلوس اثنين من  
الصحابة من أبطال بدر عند الدف والغناء وهما من أهل بدر فماذا قال له؟

يقول عامر رحمه الله: (دخلت على قريظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في  
عرس، وإذا جوار يغنين، فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ﷺ، ومن أهل بدر، يفعل هذا  
عندكم؟ فقال: اجلس إن شئت، فاسمع معنا، وإن شئت اذهب، قد رخص لنا في اللهو  
عند العرس)<sup>(٤)</sup>.

غمرت المدينة فرحة، وغمرت بيت النبوة التهاني من المهاجرين والأنصار، وقدم  
المحبون للمشاركة في أفراح الزهراء، وتسلسل بين القادمين رجال بيتسمون في وجه  
النبي ﷺ ووجوه أصحابه، بينما كانت قلوبهم مكشرة جامحة مولية.. تكاد تميز..  
تتقطع حقداً وغيظاً كلما تهادى سرور إلى قلبه، أو بيته ﷺ.

كانت قلوب هؤلاء تتلمظ كالحيات. أحد هؤلاء المزعجين المخيفين.. رجل يدعى  
(عبد الله بن أبي بن سلول).

(١) سننه قوي رواه البيهقي ٥٠٨-٢ والطبراني في الصغير ١-٦٥ من طرق عن أبي خيثمة مصعب بن سعيد  
المصيبي، حدثنا سعيد بن يونس، عن عوف الأعرابي، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس. وليس  
له علة سوى تدليس أبي خيثمة، وهو هنا لم يدل بل صرح بالسماع من شيخه والبقية ثقات. وابن ماجه  
(الصحيح للألباني ١/٢٢٠).

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٥١٨٠).

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٨٦٧).

(٤) حديث حسن. (سنن النسائي ٢/٧١٢).

تحت عباءة هذا الرجل يختبئ عشرات المشركين، الذين يرون المدينة سجنًا لا يطاق بمحمد وصحبه.. يرون المدينة غريبة دون أصنام.. دون شرك.. دون سحر وشعوذة، وبعد تفكير فرضه عليهم انتصار بدر قرر عبد الله بن أبي بن سلول أن يحمل أقدامه إلى حيث محمد، لبياعه، وخلفه تتأقل عشرات الحاقدين، فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، ومدوا أيديهم المسمومة إلى يده الطاهرة.. مصافحين معلنين الولاء، فقد أدرك ابن أبي ومن معه أنه لا مكان لهم في قلوب الناس، ولا بين حرات المدينة، وهم على شركهم. أدركوا ذلك بالتحديد، بعد انتصار المسلمين في بدر، فقد كبر محمد وصحبه في نظرهم وتعاضم في قلوبهم، وهو يطيح برؤوس زعماء أشهر قبيلة عربية، لذلك كونوا صفاً من الخفافيش.. تشرك في الظلام، وتتظاهر بالإيمان تحت الشمس.. كونوا صفاً خطيراً عرف فيما بعد باسم المنافقين:

### مولد النفاق

يقول الطفل أسامة بن زيد: (لما غزا رسول الله ﷺ بداراً، فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه. فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا)<sup>(١)</sup> بألسنتهم وخوفاً ممن حولهم من المؤمنين الذين شكلوا أغلبية ساحقة على المشركين، وإلا فهو ما زال على كفره.. هو ومن معه. يتمنون القضاء على هذا النبي ومن معه، وينتظرون يوماً تتأثر فيه قريش لصراعاها في بدر، أو تنفجر يهود، أو تثور هذه الجبال المحيطة بالمدينة، فتدك هذا الإسلام وأهله. ومرت الأيام والمنافقون ينتظرون شيئاً من هذا أو ذلك، وفي يوم من الأيام لاح أمل للمنافقين، وفركوا أيديهم فرحاً بخبر قادم من مكة.. فرح المنافقون بخطر قادم من قريش، لعله يجسد أحلامهم.

سننتقل إلى مكة لنعرف ذلك الخبر. ها هو أبو سفيان بن حرب، وقد حصل على زعامة مكة بعد أبي جهل وأمية. ها هو وبعد مشاورات، وندوات واجتماعات يقرر الثأر لطواغيت قريش، ولأصنام قريش. إنه يحشد الرجال والجمال والأموال والنفوس، وبعد أن توافر له جيش ضخم يفوق جيش الشرك في بدر.. عزم على التحرك به نحو المدينة، للإجهاز على دولة الإسلام هناك، فتحركت قلوب المنافقين واليهود فرحاً.

أما في المدينة، فالوحي يهمني على العالم مزيداً من النظافة:

(١) حديث صحيح. رواه البخاري ومسلم.

## النبي ﷺ يأمر بالانتفاع بالخمير

يأمر ببيعها بعد تلك الأحداث التي تسببت فيها الخمرة، وبعد ذلك النكد الذي أحدثته. قام ﷺ على منبره يخاطب أصحابه، وهو يتوجس أمراً سيحدث في المستقبل. فسمعه أحد شباب الأنصار هو (أبو سعيد الخدري) وقال: (سمعت رسول الله ﷺ يخطب بالمدينة، قال: يا أيها الناس، إن الله تعالى يعرض بالخمير، ولعل الله سينزل فيها أمراً، فمن كان عنده منها شيء فليبعه، ولينتفع به)<sup>(١)</sup>.

كان للخمير تأثير على مهر فاطمة، وكان للخمير تأثير أشد على بيت الطفل (أنس بن مالك)، فلقد فرق بين أمه وأبيه، بل لقد فرق بين أبيه والمدينة، فبعد نزول قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وبعد خطبة النبي ﷺ تلك.. أحس (مالك بن النضر) والد أنس بضيق الإسلام ورسوله ﷺ من الخمر، وهو مدمن خمر لا يصبر عنها، ورغم أن الخمر لم تحرم حتى الآن، إلا أن مالكا لا يشعر بالتناول تجاه هذا الموضوع، ولذلك استدعى زوجته الرائعة «أم سليم بنت ملحان» وهي أم أنس، وصارحها بما في نفسه، وأنه يرفض تحريم الخمر إن حرم، وأن حبه للمسكر أكثر من حبه لزوجته، بل وابنه الوحيد الصغير أنس، لكن الله لم يترك أم سليم ولا ابنها. فإله أرحم بالمؤمنين من أنفسهم.

فجعت أم سليم بزوجها، ثم بابنها، في قصة من قصص عظماء النساء اللواتي تفاخر بهن أممهن.. قصة أم سليم مع الخمر ومع زوجها وابنها.. يقصها ابنها أنس فيقول أن والده مالك قال لوالدته أم سليم: (إن هذا الرجل، يعني النبي ﷺ يحرم الخمر.

فانطلق حتى أتى الشام، فهلك هناك)<sup>(٣)</sup> وبقيت أم سليم وابنها في المدينة صابرين مؤمنين، حتى علم رجل مشرك من أهل المدينة بما حدث، فمال قلبه إلى أم سليم، ورغب في الزواج منها، وكان هذا الرجل يدعى «أبو طلحة»، فهل لديه قدرة على تقديم أعلى مهر تطلبه امرأة؟

(١) حديث صحيح رواه مسلم (١٥٧٨) تحريم بيع الخمر.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٣) سنده صحيح رواه أبو داود الطيالسي (٢-١٥٩): من طرق قوية عن ثابت، عن أنس، وثابت البناني تابعي ثقة سمع أنس وللحديث بقية تأتي فيما بعده. وبعضه عند الشيخين.

## أبو طلحة ومهر أم سليم الغالي

يقول أنس رضي الله عنه: (جاء أبو طلحة فخطب أم سليم، فكلما في ذلك، فقالت: يا أبا طلحة.. ما مثلك يرد، ولكنك امرؤ كافر، وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لي أن أتزوجك. فقال: ما ذلك مهرك؟ قالت: وما مهري؟ قال: الصفراء والبيضاء.

قالت: فإنني لا أريد صفراء، ولا بيضاء.. أريد منك الإسلام، [أتزوجك وأنت تعبد خشبة نجرها عبدي فلان؟] «فإن تسلم فذاك مهري، ولا أسألك غيره». قال: فمن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ.

فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ - ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه - فلما رآه قال: جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه.

فأخبر رسول الله ﷺ بما قالت أم سليم، فتزوجها على ذلك<sup>(١)</sup>، وكانت امرأة مليحة العينين، فيها صغر، فكانت معه حتى ولد له بني، وكان يحبه أبو طلحة حباً شديداً، ومرض الصبي «مرضاً شديداً» وتواضع أبو طلحة لمرضه أو تضعضع له، «فكان أبو طلحة يقوم صلاة الغداة يتوضأ، ويأتي النبي ﷺ فيصلي معه، ويكون معه إلى قريب من نصف النهار، ويجيء ويقبل ويأكل، فإذا صلى الظهر تهيأً وذهب، فلم يجئ إلى صلاة العتمة».

فانطلق أبو طلحة عشية إلى النبي ﷺ، ومات الصبي، فقالت أم سليم: لا ينعين إلى أبي طلحة أحد ابنه حتى أكون أنا الذي أنعاه له. فهيات الصبي «فسجت عليه»، ووضعت «في جانب البيت»، وجاء أبو طلحة من عند رسول الله ﷺ حتى دخل عليها، «ومعه ناس من أهل المسجد من أصحابه»<sup>(٢)</sup>. فقال: كيف ابني؟ فقالت: يا أبا طلحة ما كان منذ اشتكى أسكن منه الساعة، «وأرجو أن يكون قد استراح».

فأتته بعشائه «فقربته إليهم فتعشوا، وخرج القوم»، «فقام إلى فراشه فوضع رأسه»، ثم قامت فتطيبت «وتصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك»، «ثم جاءت

(١) بعد هذه الكلمة قال ثابت البناني - مرت ترجمته في الحديث السابق - : (فما بلغنا أن مهرًا كان أعظم

منه أنها رضيت الإسلام مهرًا، فتزوجها) وقد فصلت هذه العبارة لأنها من كلامه لا من كلام أنس.

(٢) هم أهل الصفة وهم أهل المسجد.. جاء بهم ليطعمهم.

حتى دخلت معه الفراش، فما هو إلا أن وجد ريح الطيب كان منه ما يكون من الرجل مع أهله»، «فلما كان آخر الليل» قالت: يا أبا طلحة، أرايت لو أن قوماً أعاروا قوماً عارية لهم، فسألوهم إياها، أكان لهم أن يمنعوهم؟ فقال: لا. قالت: فإن الله عز وجل كان أعارك ابنك عارية، ثم قبضه إليه، فاحتسب واصبر.

فغضب ثم قال: تركتني حتى إذا وقعت بما وقعت به نعت إليّ ابني، فاسترجع وحمد الله»، «فلما أصبح اغتسل»، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ «فصلى معه» فأخبره.

فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما»، فتقلت من ذلك الحمل، وكانت أم سليم تسافر مع النبي ﷺ، تخرج إذا خرج، وتدخل معه إذا دخل، وقال رسول الله ﷺ: إذا ولدت فأتوني بالصبي، فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه<sup>(١)</sup>.

أم سليم الآن بصحبة رسول الله ﷺ، ومعها زوجها، ومعهم رجال كثيرون ونساء أيضاً، ولكن إلى أين..؟

المكان الذي يقصدونه ليس ببعيد، لكنه خطير جداً، وسبب السفر أخطر، وله قصة مثيرة. فهل لديكم وقت للسفر مع رسول الله ﷺ وأم سليم وأبي طلحة وأصحابهم رضي الله عنهم؟

هيا بنا، ولكن قبل ذلك أستأذنكم للحاق بهذا الرجل المهموم بالإيمان والكفر، وأشياء ثقيلة تملأ رأسه وقلبه.. إنه

## جبير بن مطعم والهموم

عاد جبير بن مطعم منكسراً إلى مكة.. يحمل الحسرة والهزيمة.. تاركاً طواغيت قريش في تلك البئر المنتنة، وتاركاً عمه «طعيمة» مجندلاً على أرض بدر تحرقه السوافع، بعد أن أحرقه حمزة بسيفه الملهب، ثم عاد جبير إلى المدينة مرة أخرى يطلب إطلاق الأسرى دون مقابل، لكن النبي ﷺ أجابه تلك الإجابة العظيمة التي

(١) هو حديث أبي داود الطيالسي السابق وما بين المعقوفين عند البزار بسند صحيح (زوائد - ٢٤٦/٣)، والزيادة الأولى للنسائي والزيادة الرابعة لابن سعد (٤٢٢/٨) والسادسة والثامنة والثالثة عشر للبخاري ولتفصيل أكثر انظر كتاب الجنائز للشيخ الألباني حفظه الله (٢٤).

يعترف بها ﷺ بمعروف والده (المطعم ابن عدي)، فقال له: (لو كان المطعم بن عدي حياً، ثم كلمني في هؤلاء انتنتي لتركتمهم له)<sup>(١)</sup>

فانكسر جبير بن المطعم بن عدي مرة أخرى، ومضى إلى مكة كالحيرة بين الاحترام لوالده، والاحترق لعمة.. عاد يحمل إيماناً يزرع تحت أطنان من العادات والتقاليد والأصنام، وكان أشد هذه الموروثات على نفسه شيطان كالجحيم.. شيطان اسمه: الثأر. حوَصر جبير بن مطعم بعد وصوله إلى مكة بالنواح على عمه.. بشقّ الجيوب، ولطم الخدود.. حوَصر بالاستفزاز الجاهلي، حتى غلى الثأر في رأسه وعروقه بعدما جمع أبو سفيان الكفر وأهله متجهاً بهم نحو المدينة، فأحسّ جبير بوخز الثأر، فنأدى عبداً مملوكاً له اسمه «وحشي»، وكان أمهر الناس برمي الحربة، فهو نادراً ما يخطئ هدفه. نادى جبير «وحشياً» ليفتح له باباً للعتق من الذل.. ناداه ليخلصه من هذا الرق، والحصار الكريه.. ناداه وأغراه بأحلام كل العبيد.. أغراه بـ:

### حمزة باباً للحرية

يقول وحشي: (كنت غلاماً لجبير بن مطعم، وكان عمه طعيمة قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير: إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق. فخرجت مع الناس، وكنت رجلاً «حبشياً» أقذف بالحربة قذف الحبشة، قلماً أخطئ بها شيئاً)<sup>(٢)</sup>.

خرج وحشي لا يبحث عن شيء سوى الحرية.. لا يبحث سوى عن حمزة، فليس لديه ثأر مع أحد.. كان يبحث عن ثأر من قيود العبودية والرقّ الذليل التي طوّقته بها قريش. كان وحشي مشركاً.. لا يفرّق بين الوسائل نحو الحرية، ولا يهّمه سواها، حتى ولو خاض في دماء ظاهرة كدماء حمزة.

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٢٣).

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ابن هشام ٤-١٧: حدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة. عن سليمان بن يسار، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن وحشي. عبد الله تابعي ثقة التقريب ٣١٧ وشيخه وشيخه تابعيان ثقتان التقريب ٢٥٥ و١٤٠.

كان جيش الثأر المشرك يسير في اتجاه، وكان وحشي معهم لكنه يسير في اتجاه آخر.. اتجاه من الأحلام، والوعود المخضبة بالدماء، حتى وصلوا إلى مكان قريب من جبل أحد حول المدينة، التي أفاقَت على هول الخبر ومفاجأته، وأفاق رسول الله ﷺ من نومه ورؤياه.

### رؤيا النبي ﷺ

كان نائماً، والنبي ﷺ يقول: (تنام عيناى ولا ينام قلبى)<sup>(١)</sup>، وفي نومه ذلك رأى رؤيا قال عنها: (إني رأيت أنى فى درع حصينة. فأولتها: المدينة، وأنى مردف كبشاً. فأولته كبش الكتيبة، ورأيت أن سيفاى ذا الفقار فلّ. فأولته: فلا فيكم، ورأيت بقرأ تذبج. فبقر والله خير، فبقر والله خير)<sup>(٢)</sup>.

نهض ﷺ من نومه، وهبّ لجمع أصحابه.. لا ليقرّر، ولا ليأمر بل:

### دعاهم ليستشيرهم

وبعدما اجتمعوا شاورهم جميعاً دون استثناء، وكان رأيه ﷺ ورأى بعض الصحابة أن يقاتلوا داخل المدينة، وقص عليهم ﷺ رؤياه، لكن أناساً منهم لم يحضروا غزوة بدر.. غمرهم الحماس وأصروا على الخروج، لتأديب أولئك الوثنيين، لعل أحدهم عمّ أنس بن مالك واسمه (أنس بن النضر).

يتحدث أنس عن عمّه أنس رضى الله عنهما فيقول: (عمى الذى سميت به<sup>(٣)</sup> لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدرا، فشق عليه. قال: أول مشهد شهده<sup>(٤)</sup> رسول الله ﷺ

(١) سنده صحيح رواه عبد الرزاق ٢ - ٤٠٥ عن مالك عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي سلمة عن عائشة. ورجاله أئمة ثقات وله طرق أخرى عن غير عائشة.

(٢) سنده قوي رواه أحمد ١-٢٧١ وغيره عن ابن وهب أخبرنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس. ابن أبي الزناد صدوق ووالده ثقة التقريب ٤٣٣ و٣٠٢ وعبيد الله تابعي ثقة ثبت - التقريب ٣٧٢.

(٣) أي سماني أبي أنسأ على اسم عمى أنس.

(٤) يقصد رضى الله عنه غزوة بدر.

غيبت عنه، وإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع<sup>(١)</sup> قال أنس إن عمه (هاب أن يقول غيرها)<sup>(٢)</sup>.

إن رجالاً بهذه المعنويات لا يمكن أن يقنعوا بقتال الشوارع والمدن.. إنهم يريدون ساحات ومساحات يعانقون فيها الخلود، وينتشون فيها ببريق الشهادة والسيوف. لكن الحماس لا يعني الانتصار، والمعنويات لا تكفي، فخارج هذه المدينة يربض عدو استعدّ وأعدّ وكشّر.. عدو حمل كل ما يمكن حمله للانتقام والثأر، فالبقاء في المدينة أحكم، وأسلم عسكرياً في ظلّ عدم الاستعداد والمفاجأة التي لم تكن في الحسبان، لدرجة أن رسول الله ﷺ كان يحدث أصحابه وهو في ثيابه العادية حتى الآن، قال رسول الله ﷺ قوله، وأبدي رأيه، وترك الاختيار لأصحابه رضي الله عنهم. (فقال له ناسٌ لم يكونوا شهدوا بدرًا: يخرج بنا رسول الله ﷺ إليهم نقاتلهم - ورجوا أن يصيبوا من الفضيلة ما أصاب أهل بدر، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أذاته<sup>(٣)</sup>، ثم ندموا وقالوا: يا رسول الله، أقم فالرأي رأيك. فقال رسول الله ﷺ: ما ينبغي لنبي أن يضع أذاته بعد أن لبسها، حتى يحكم الله بينه وبين عدوه<sup>(٤)</sup>).

وقبل أن ينطلق ﷺ إلى أرض المعركة أحب أن يستعرض جيشه، الذي تداعى من كل مكان في المدينة متلهفًا، فأجاز من يستطيع القتال، وردّ صغار السن.

هذا أحدهم: طفل اسمه (البراء بن عازب) رضي الله عنه يقول: (عرضت أنا وابن عمر يوم بدر فاستصغرننا وشهدنا أحداً<sup>(٥)</sup>).

(١) حديث صحيح رواه مسلم ٣-١٥١٢.

(٢) هو جزء السابق.

(٣) أي أداة الحرب.

(٤) سنده قوي رواه الحاكم ٢ - ١٤١ وغيره بسند أحمد السابق عن ابن وهب عن ابن أبي الزناد عن أبيه وقد مر تخريجه.

(٥) سنده حسن، رواه الطبراني ٢-٨ حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثني عمي أبو بكر، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن مطرف، عن أبي إسحاق عن البراء. شيخ الطبراني ثقة من أوعية العلم قال عنه الإمام الألباني: فيه كلام، لا ينزل حديثه عن رتبة الحسن (الصحيحة - (٤-١٥٦)) وشيخه إمام معروف، وابن إدريس ثقة فقيه، التقريب ٢٩٥ ومطرف بن طريف ثقة فاضل، التقريب ٥٣٤ وأبو إسحاق تابعي ثقة علم مر معنا كثيراً ٤٢٣.

لكن ابن عمر أرجع أيضاً لأنه لم يتجاوز الخامسة عشر.. إنه يقول: (إن النبي ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه)<sup>(١)</sup> للخروج مع الجيش.

عاد ابن عمر مكسور خاطر بعد أن ودّع والده الحبيب، لكنه لم يكن أكثر انكساراً ولا حماساً من ذلك الشيخ الكبير، الذي يحاصره أبناؤه الأربعة، وتحاصره الإعاقة.. إنه: (عمرو بن الجموح.. شيخ أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنون «مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد»، يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يتوجه إلى أحد «أرادوا حبسه»، قال له بنوه: إن الله عز وجل قد جعل لك رخصة، فلو قعدت فنحن نكفيك، فقد وضع الله عنك الجهاد؟

فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال له: إن بني هؤلاء «يريدون أن يحبسوني» يمنعوني أن أخرج معك، ووالله إنني لأرجو أن أستشهد معك، فأطأ بعرجتي هذه في الجنة.

فقال له رسول الله ﷺ: أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد. وقال لبنيه: وما عليكم أن تدعوه، لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة)<sup>(٢)</sup>.

كان رضي الله عنه يحلم بشوارع الجنة تلامسها تلك العرجة وتتدلى من شرفاتها وتخوض في مياهها العذبة.. لذلك توجه بسؤال ينبض بالشوق إلى رسول الله ﷺ.. لقد (أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ - وكانت رجله عرجاء- فقال رسول الله ﷺ: نعم)<sup>(٣)</sup>.

إجابة ملأت صدر عمرو بن الجموح بالنهار.. إجابة ألجمت الأسود الأربعة، فخرجوا كالأشبال حول هذا الشيخ الجسور.. خرجوا دون أن يودعوا أمهم فاطمة،

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩٧).

(٢) رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي ٣-٢٤٦ والزوائد عند ابن كثير: حدثني والدي عن أشياخ من بني سلمة: ووالد ابن إسحاق تابعي ثقة يروي عن الصحابة ولعل هؤلاء منهم - وهو الأرجح - لأنه يروي بهذه الصيغة عن الصحابة، وهؤلاء جمع ومن بني سلمة - وهم قوم جابر وعمرو بن الجموح، وإلا فالسند مرسل.

(٣) سنده حسن رواه أحمد ٥-٢٩٩ وغيره حدثنا أبو صخر ابن زياد حدثه يحيى بن النضر عن أبي قتادة. أبو صخر حسن الحديث التهذيب ٢-٤١ وشيخه تابعي ثقة التقريب ٥٧٩.

لأنها تسير مع رفيق دربها وحبیبها.. أخرجها الشوق إلى الجنة مثلما أخرجها، وكان لفاطمة العظيمة هذه أخ اسمه: (عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري) وعبد الله هذا صديق حميم لزوجها عمرو بن الجموح، لكن أحوال عبد الله بن عمرو بن حرام مختلفة عن أحوال صديقه ونسيبه، فقد كان لعمرو بن الجموح أربعة أبناء يحاولون إبقاءه في بيته. أما عبد الله فله ولد وحيد اسمه (جابر) وهو يمنع الآن من الخروج.. إنه يأمره بالبقاء في المدينة، فظروف بيت عبد الله تستدعي أن يبقى أحد الاثنين، ولا بد للابن من أن يطيع والده.

لكن لماذا لا يخرج الاثنان إلى المعركة، كما خرج عمرو وأبناؤه وأمهم جميعاً..؟ دعونا نتوجّه إلى بيت جابر بن عبد الله.. إنه ليس ببعيد. ها هو البيت.. بيت جميل بالإيمان والأحلام والفتيات.. بيت يغرق بالمشاعر والدموع والرجاء.. في عالم يحار بين:

## البنات والمعركة

ومناشدة وحديث حزين يدور بين جابر بن عبد الله ووالده، الذي يصرّ على الخروج، فيخاطب رجولة ابنه وبرّه وإيمانه فيقول: (يا جابر، لا عليك أن تكون في نظاري المدينة، حتى تعلم لإمّ يصير أمرنا، فإني والله لولا أنني أترك بنات لي بعدي، لأحببت أن تقتل بين يدي)<sup>(١)</sup> أجل تقتل بين يدي!!

جابر ووالده لهف على الموت في سبيل الله، لكن الدموع التي تفيض من العيون البريئة، وتلك النظرات الخائفة التي تعصف بقلب هذا الشيخ الكبير.. تتعلّق به، وتريد الاحتفاظ به.. تتغلغل في قلبه كالجروح.. تسع فتيات حزينات.. يتساءلن: هل سيعود والدنا من المعركة، أم أنه الوداع الأخير لهذا الشيخ الحبيب.

عناق ونظرات ودموع تحاصر هذا الشيخ، فيتفطر قلبه ويحسّ بديب الموت يسري في عروقه، ويشعر بخطوات اليتيم المخيفة تتجه نحو حبيباته الصغيرات، اللواتي طالما انتظرنه في البيت وعلى عتبة الباب، فإذا ما رأينه مقبلاً تراكضن نحوه كالزهرات..

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩٧).

أيهنّ تحظى بقبلة قبل أخواتها.. يتراحمن على ما يحمله بيديه.. كلهنّ يردن التخفيف عنه، ورؤية ما أحضر لهنّ.. كلهنّ يردن خدمته.. طالما أعدن شرابه وطعامه، وغسلن ثيابه، وغطّينه وهو نائم، ولطالما مرّضنه من حمى المدينة القاسية.

تسع زهرات.. كم حملهن على ظهره، ولاعبهن وضاحكهن، وقصّ عليهن.. كم ألحن عليه ليشتري لهن الملابس والحلي، فيستجيب مهزوماً بالحب..

ذكريات وهموم تثقل الشيخ العطوف وتملاً قلبه، فتخرج الكلمات منه بصوت متهدّج بالحزن، ويقول لابنه جابر: (ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعزّ عليّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن عليّ ديناً فاقض، واستوص بأخواتك خيراً)<sup>(١)</sup>. لكن الكلمات لا تطفئ هذه النار المستعرة بين أضلاع هذا الشيخ.. لا تكفي لمقاومة ألم الفراق واليتم القادم، فيتّجه به الحزن إلى شيء لا يزال حلالاً حتى الآن.. يتّجه به الحزن إلى شيء قد ينسيه بعض الحزن.. قد ينسيه ذلك الشوق المنبعث من تلك العيون البريئة التي لا تُتسى.

### والد جابر يشرب خمراً قبل المعركة

يتّجه رضي الله عنه إلى الخمر، فيحتسي شيئاً منها علّها تخرجه مما هو فيه.. علّها تسليه حتى تحين ساعة العراك، حيث تذوب الخمر ويشتدّ الأمر، ويذهل عبد الله عن كل شيء سوى الشهادة.

يقول جابر رضي الله عنه: (اصطبح -والله- أبي يوم أحد الخمر ثم غدا فقاتل)<sup>(٢)</sup>، ولم يكن والد جابر هو الوحيد الذي شرب خمراً ذلك الصباح، فلقد (صبح أناس غداة أحد الخمر)<sup>(٣)</sup>، فهل كانت أحزانهم كأحزان عبد الله، الذي يغادر بيته وبناته، ويترك لابنه جابر من الهموم والمسؤوليات الشيء الكثير. لكن جابراً أهلاً لتحمّلها، لأن الإسلام جعل من جابر بن عبد الله إحساساً مرهفاً.. غيمة تهمي حناناً وربيعاً على أخواته المسكينات.

(١) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٥١).

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم ٢-٢٠٢: حدثني وهب بن كيسان عن جابر، ووهب تابعي ثقة سمع من جابر انظر: التهذيب ١١-١٦٦.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٦١٨).

يقول جابر رضي الله عنه: إن والده (ترك عليه ديناً)<sup>(١)</sup> و(ترك تسع بنات كن لي تسع أخوات)<sup>(٢)</sup> مسؤولة جسيمة لا تنقضي لولا قول النبي ﷺ: (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء أنا وهو يوم القيامة، وضم أصابعه)<sup>(٣)</sup>. هذا إذا عال المرء فتاتين، فكيف إذا كان تحت رعايته تسع بنات..!٩

كم يحب الإسلام البنات ويعتني بهن، ويطالب بحبهن والعناية بهن. هنيئاً لجابر، وهنيئاً له موقعه بين نظاري المدينة الذين يحرسون ثغورها، ويسهرون حمايتها لها.. بشرهم ﷺ، وبشر غيرهم عندما قال: (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)<sup>(٤)</sup>.

بقي جابر على ثغور المدينة، وغادر والده عبد الله بصحبة أخته فاطمة وزوجها ورفيقه عمرو بن الجموح وأبنائه.. غادروا المدينة صاخبة.. مزدحمة بالعناق والدموع. ها هو حذيفة بن اليمان ووالده «حسيل»، اللذان أرغمهما المشركون على أن يقسما ألا يشاركا رسول الله ﷺ في غزوة بدر.. ها هما اليوم على أهبة الاستعداد والإعداد للفتك بالشرك، لكن الأمر جاء على غير ما يحبان. إن حذيفة يودع والده الآن، لكن الذي سيبقى هذه المرة هو الوالد، والذي سيغادر هو حذيفة. فلقد أمر ﷺ حسيلاً بالبقاء لحراسة المدينة، كما أمر شيخاً آخر بالبقاء مع حسيل، واسم هذا الشيخ الآخر «ثابت بن وقش»، فبقيا كارهين أن تنفوتا الشهادة.

انظروا إلى هذا المنزل العظيم، ففيه تستعر نار الفراق والوجد.. إنه منزل الكريم.. الكريم سعد بن الربيع، الذي عرض نصف ماله وإحدى زوجاته على عبد الرحمن بن عوف.. تناثرت الدموع.. دموع ابنتيه الوحيدتين، ودموع زوجته التي بقيت معه. إن حاله كحال والد جابر. لقد خرج سعد، وخرجنا بعده إلى ناحية أخرى.. ناحية انزوى فيها صحابيان عن الناس.. ماذا يفعلان؟ إنهما يدعوان.. يبوحان، فيبحر الدعاء بهما. دعونا نبجر معهما إلى جزيرة هذا، وجزيرة ذلك، ولكن قبل ذلك نودّ التعرف إليهما.

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٢).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٣).

(٣) صحيح مسلم ٤-٢٧٠٢.

(٤) حديث حسن رواه الترمذي وغيره ٤-١٧٥ وفيه عطاء الخراساني مدلس، وله طريق آخر رجاله ثقات عند عبد بن حميد ٤٢٢ وغيره عن صالح بن كيسان قال قال أبو عبد الرحمن سمعت أبا هريرة مرفوعاً.

## إنهما من الأوائل

أمّا الأول، فأوّل من رمى بسهم في سبيل الله، وهو سعد بن أبي وقاص، أمهر من رمى السهام. وأمّا الآخر، فأوّل من قاد سرية لرسول الله ﷺ ولدولة الإسلام الجديدة. إنه عبد الله بن جحش رضي الله عنهما. ها هو سعد يحدثنا عما جرى في تلك الناحية، فيقول: (إن عبد الله بن جحش، قال له يوم أحد: ألا تأتي ندعوا الله؟

فخلوا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا ربّ إذا لقيت العدو، فلقني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله، وأخذ سلبه.

فأمّن عبد الله بن جحش ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني، فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلت: يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك. فتقول: صدقت<sup>(١)</sup>.

يا لهذه الجزر الحاملة الساحرة.. يا لهذه الأنفس ما أعظمها.. ترى هل سيجيب الله هذه الابتهالات؟ ستبوح بالإجابة أرض المعركة، وجبل عينين وجبل أحد سيشهدان على ذلك.

لم كل هذه الحرقه على الموت؟ لم كل هذا الاحتفاء والعشق الذي يحرق الأكباد؟

إنها الجنّة، وهؤلاء الرجال يحتقرون أعمارهم وأعمالهم وفداءهم إذا ما قارنوها بثوابها عند الله.. إنهم مسافرون إلى الخلود، فلو ضرب المؤمن سنين عمره في عدد حبات الرمال المنثورة على وجه الأرض، لما حصل على عدد يقارب سنين عمره في الجنّة، فكيف يلام شيوخ كعمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وحسيل.. كيف يلام هؤلاء الشيب، إذا ما نافسوا الشباب على ظهور الخيل والموت، وهم يسمعون رسول الله ﷺ يقول: (يدخل أهل الجنّة الجنّة جرّداً، مردأً، كأنّهم مكحلون، أبناء ثلاث وثلاثين)<sup>(٢)</sup> (لا يسقمون ولا يبولون، ولا يتغوّطون، ولا يتقلون، ولا يمتخطون)<sup>(٣)</sup>.

(١) سننه قوي: رواه الحاكم (٨٦/٢) وأبو نعيم في الحلية (١٠٨/١) من طرق عن ابن وهب حدثني أبو صخر عن يزيد بن قسيط الليثي عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه. أبو صخر هو حميد بن زياد حسن الحديث التهذيب ٤١-٣ وشيخه تابعي ثقة التقريب ٦٠٢ وإسحاق بن سعد وثقة المعجلي لفظياً ٦٠ وابن حبان وللحديث شاهد عند ابن سعد ٩٠-٣ ٩١ ضعيف مرسلًا عن ابن المسيب، وابن حنطب.

(٢) حديث صحيح انظر: صحيح الجامع (٢/٣٤١).

(٣) حديث صحيح متفق عليه - المشكاة (٣/١٥٦٤).

قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: (فما بال الطعام؟ قال: جشأ ورشح كرشح المسك)<sup>(١)</sup>، (ينادي منادي: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تتعموا فلا تبأسوا أبداً)<sup>(٢)</sup>.

إذا فهو الشباب الدائم، والصحة الخالدة، والأمن الذي لا يعرف الخوف.. لا أمراض في الجنة ولا أوبئة ولا مستشفيات، ولا لصوص ولا قطاع طرق ولا طغاة ولا قمع ولا سجون ولا معتقلات، ولا فقر ولا عوز ولا تسول، ولا شيء سوى الثراء والجمال والفتنة والحب والبذخ والنعيم والاكتشاف والسفر عبر الجديد والمثير والسعادة الفامرة التي لا تعرف التوقف أو الملل أو الكآبة. ف(إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟

فيشربون، فينظرون، ويقولون: نعم. هذا الموت. وكلهم قد رأه.

ثم ينادي: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشربون، فيقولون: نعم. هذا الموت. وكلهم قد رأه.

فيؤمر به فيذبح، ويقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت)<sup>(٣)</sup>.

وقد خطف ﷺ أرواحهم وعقولهم وقلوبهم عندما تحدّث عن الجهاد في سبيل الله، فقال: (غدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها)<sup>(٤)</sup> المؤمنة في الجنة أبهى وأكثر سحراً وفتنة من الحورية.. لا حمل ولا ولادة ولا أمراض للنساء ولا حيض ولا نفاس ولا ترهل ولا شيخوخة..

(١) حديث صحيح رواه مسلم - المشكاة (١٥٦٤/٣).

(٢) حديث صحيح رواه مسلم - المشكاة (١٥٦٤/٣).

(٣) حديث صحيح، صحيح الجامع (١٥٢/١).

(٤) حديث صحيح: رواه البخاري (المشكاة - ١٥٦٢/٣).

كل هذا السحر.. كل هذا الجمال.. كل هذه الفتنة لنساء الجنتة المؤمنات، فلا عجب أن نرى ضمن الجيش نساءً خرجن للمشاركة في المعركة.. يداوين الجرحى، ويسقين العطشى. في مقدمتهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وزوجته عائشة بنت أبي بكر الصديق، وصفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وأخت حمزة رضي الله عنهم، وأم سليم بنت ملحان المشهورة بـ (الرميصاء) وهي أم أنس بن مالك عليهما السلام، وهي من الأنصار، كما شاركت أنصاريات أخر منهن: أم سليط رضي الله عنها، وفاطمة<sup>(١)</sup> بنت عمرو بن حرام أخت عبد الله، وعمّة جابر وزوجة عمرو بن الجموح، ونساء أخريات من المهاجرين والأنصار.

ولئن استطاع بعض النساء أن يخرجن مع رسول الله ﷺ في حروبه، فإن هناك من الرجال من لا يقدر على الخروج، والحرص يحاصرهم بعد نزول هذه الآيات:

### ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر

### والمجاهدون في سبيل الله ﴾

يقول أحد الصحابة: ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر<sup>(٢)</sup>.

وكانت الآيات قد نزلت كما يحدثنا أول من سمعها وأول من كتبها: زيد بن ثابت رضي الله عنه فيقول: (إن النبي ﷺ أملى عليه ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، فجاء ابن أم مكتوم وهو يميلها علي، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد معك لجاهدت -وكان أعمى- فأنزل الله على رسوله ﷺ -وفخذه على فخذي- فتملت علي حتى خفت أن تُرَضَّ فخذي، ثم سُرِّي عنه، فأنزل الله: ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾<sup>(٣)</sup>، فصارت الآية تقرأ هكذا: ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ

(١) سيأتي ذكرهن أثناء المعركة وبعدها في أحاديث صحيحة إن شاء الله.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٩٥).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٩٢).

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً<sup>٤</sup> وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى<sup>٥</sup> وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ  
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾<sup>(١)</sup>.

لكن ماذا عن أجر القاعدين المعذورين؟

يقول ﷺ: (لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من وادٍ إلا وهم معكم فيه.

قالوا: يا رسول الله، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: حبسهم العذر<sup>(٢)</sup> فلم يحبس عنهم الأجر، فالمسلم ليس بأعماله فقط، بل بنواياه أيضاً. وإذا كان ابن أم مكتوم قد حبسه العمى، فإن هناك رجالاً حبسهم عن الجهاد رسول الله ﷺ، رغم أنهم لا يشكون من شيء في أجسادهم، ولا يشك ﷺ في إيمانهم، وإنما حبسهم عليه الصلاة والسلام ليكلفهم بمهمة جهادية داخل المدينة.. هي الرباط، والدفاع عن المدينة.. سواءً من غدر يهودي أو منافق.

## المرابطون

على الأظام<sup>(٣)</sup> والحصون.. هم رجال شجعان أوكل إليهم ﷺ حراسة المدينة والرباط فيها، وبشّر المرابطين بأجر عظيم، فقال ﷺ: (رباط يوم ليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن من الفتان)<sup>(٤)</sup>.

وكان من بين الذين حظوا بهذا الأجر والأمر والد حذيفة بن اليمان.. ذلك الرجل الذي منعه العهد والوعد من مشاركة النبي ﷺ في معركة بدر، وصحابي آخر اسمه (ثابت بن وقش بن زعوراء) رضي الله عنهما، ف (لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد وقع اليمان ابن جابر -أبو حذيفة-، وثابت بن وقش بن زعوراء في الأظام مع النساء والصبيان)<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري ٤- ١٦١٠ وأحمد ٢- ١٦٠.

(٣) الحصون.

(٤) حديث صحيح رواه مسلم ٣- ١٥٢٠.

(٥) سننه صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم (٣- ٢٠٢): حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود

ابن لبيد، عاصم تابعي ثقة مر معنا ومحمود بن لبيد صحابي.

استعدّ الجميع، وتأهبوا للخروج إلاّ رجلين.. الأول لا حاجة به إلى الاستعداد، فهو لا يملك من هذه الدنيا شيئاً يحتاج إلى وداع أو وصية، فأملكه كلّها في صدره.. إنه (مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف) ابن الأم الثرية.. الشاب المنعم أيام شركه.. لا يملك الآن إلاّ سيفه، وقرآناً يملأ صدره، ويملاً بيوت المدينة بعد أن سافر في قلوب الأنصار، وزرع فيها العلم، وثقفها بالإيمان.. هذا هو مصعب بن عمير الذي لقبه الأنصار بـ«المعلم».

أمّا الآخر فشباب يتمتّع بأحلى أيام عرسه.. إنه الآن مع عروسه.. يتبادلان عذب الكلام والأحلام.. صفو المشاعر والغرام، وفجأة يدوي في المدينة داعي الجهاد، فينسل (حنظلة بن أبي عامر) من قرب حبيبته، ويتحول العاشق إلى محارب يودع عروسه بحرارة المحبّ الذي لن يعود، فتهمي دموعها وتستودعه الله الذي لا تضيع ودائعه، فهو أغلى ما تملكه. ويغيب حنظلة عن عينيها، فتغيب في همومها وأحزانها التي لا تدري متى تنتهي.. أحزانها التي لا يخفّفها سوى الإيمان.

خرج ﷺ من المدينة متوجهاً نحو أحد.. حاملاً سيفه «ذا الفقار» الذي غنمه من غزوة بدر، ولم يكتفِ ﷺ بلبس درعه، بل لبس عليه درعاً آخر حيث يقول أحد الصحابة: (إن رسول الله ﷺ ظهر يوم أحد بين درعين -أو لبس درعين-) (١).

وإذا كان النبي ﷺ الذي يحفظه الله من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله، ومن فوقه ومن تحته يحتاط كل هذا الاحتياط، فصحابته أولى. يقول الزبير رضي الله عنه: (رأيت رسول الله ﷺ قد ظهر بين درعين يومئذ) (٢). ثم انطلق ﷺ لملاقاة حشود الشرك المحتقنة.. كانت رايته ترفرف في الهواء (كانت سوداء من نمرة) (٣) صوف، أما لواؤه ﷺ فكان لواؤه (أبيض) (٤).

(١) سنده صحيح رواه أبو داود ٢٧-٢ وغيره عن يزيد بن خنيفة عن السائب بن يزيد عن أحد الصحابة، ويزيد ثقة والسائب صحابي أيضاً.

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي (٢٣٨/٢) حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده، عن الزبير. يحيى ثقة ووالده تابعي ثقة.

(٣) صحيح أبي داود ٤٩١-٢ وقد حذفت لفظاً ضعيفاً من الحديث هو «مربعة».

(٤) المصدر السابق ٢-٤٩١.

وكان كل شيء في هذا الجيش يرفرف للجنة وعواملها الساحرة.. كان الرجال يتجملون للشهادة، إلا أشباه رجال خرجوا بأجساد نخرة، ومعنويات يجرونها خلفهم كالذلل.. رجال يرتجفون من كل شيء حولهم، ويحسبون كل صيحة عليهم.. خوفاً خرجوا.. خوفاً صحبوه ﷺ، لكن هل لهم تفاقم عندما اقتربوا من الحقيقة - المعركة.. عندها تحركت الخيانة في دمائهم، ونهضت كالشيطان تشير بأصبعها إلى الوراء.. تأمرهم بالعودة إلى المدينة، وترك محمد ﷺ وأصحابه، فاستجابوا ورجعوا.

صدم الصحابة بما حدث، ولم يصدّم ﷺ، لأنه يعرفهم. صعق الصحابة بما يجري.. هل هؤلاء مسلمون؟ هب أنهم غير مسلمين، هل هذا التصرف - العار من شيم العرب، وأخلاق العروبة؟

أين الرجولة.. أين النخوة؟ هباء.. كل شيء داخل هؤلاء الخونة هباء، إلا الكفر والحقْد. لكن الصحابة لم يسكتوا، ولم يتحملوا هذا الموقف المخزي. قرّر بعضهم أن يبدؤا بقتال هؤلاء الأذال الجبناء قبل أن يقاتلوا جيش مكة المشرك، لكن البعض فضّل عدم إهدار طاقتهم وتدنيس أيديهم بدمائهم القذرة، وهذا ما مال إليه ﷺ، فلا بدّ من التركيز على الخطر الداهم - العاجل.

يقول زيد بن ثابت ملخصاً ما حدث من خيانة: (إن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد، فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين: فرقة تقول: نقتلهم. وفرقة تقول: لا. فأنزل الله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَنَفِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسُهُمْ بِمَا كَسَبُوا أْتْرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا﴾.

فقال رسول الله ﷺ: إنها طيبة وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة<sup>(١)</sup>.

تألأت الفضة ولمعت بعد أن تعرضت لنار الشدائد، فانسلخ خبث النفاق عنها، ورجع الخونة دون أخلاق إلى جحورهم في المدينة كالحيات.. كالعقارب، وأصبح جيش محمد ﷺ قليلاً.. ضعيفاً إلا بالإيمان، لكن قلة العدد والخيانة واستعداد العدو خيم للحظات على بعض الأنصار وهم (بنو حارثة، وبنو سلمة) فقد كاد الإحباط والفشل أن يستولي عليهم، لكن القرآن يفعل المعجزات.

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٨٩)، وأحمد (١٨٤/٥) واللفظ له وأكملتها للفائدة.

نزل يغسل ما بهم من هموم وإحباط، فشتوا مع رسول الله ﷺ كالجبال، بل لقد صار ذلك الموقف مبعث فخر لهم إلى يوم القيامة. لقد فرحوا بما نزل من آيات تصف حالهم، وتثني عليهم.

هذا أحد آياتهم يفرح بنزول كلام الله على نبيه فيهم فيقول: (فيما نزلت: ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ۗ ﴾).

قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحب -وما يسرني- أنها لم تنزل لقول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ۗ ﴾<sup>(١)</sup>.

إذا فهم أولياء الله، وهم بشر يتعرضون لما يتعرض له البشر، لكن القرآن زاحم ذلك الفشل حتى نفاه، وذكرهم بنصر لم يتوقعوه، فدبّ الحماس في عروقهم وأرواحهم. يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾.

صفت النفوس من الضعف، وتخلص الجيش من معظم الخونة، وتوجه الجميع إلى منطقة:

### بين عينين وأحد

وعينين جبل، وأحد جبل آخر وبينهما وادٍ<sup>(٢)</sup> حيث وصل الجيش المؤمن، فتوقف النبي ﷺ، وتوقف أصحابه، وعندما لامست أقدامهم تلك الأرض.. تأملها ﷺ جيداً، وتأمل أصحابه فوجدهم قلّة، فأدار المعركة في مغيّله قبل أن تدور على الأرض، فرأى جبل أحد، (طلع له أحد فقال: هذا جبل يحبنا ونحبه)<sup>(٤)</sup>.

تأمل ﷺ أحداً فوجده حبيباً للمؤمنين يتمنى خدمتهم في مثل هذه الظروف القاسية، فوظفه ﷺ توظيفاً يرجح به كفة جيش صغير، على جيش كبير كجيش

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٥٨).

(٢) سورة البقرة: الآيتان ١٢١ - ١٢٢.

(٣) هذا ما جاء في البخاري في حديث طويل (٤٠٧٢).

(٤) حديث صحيح رواه الإمام البخاري (٤٠٨٤).

قريش. لقد قرر ﷺ أن يستخدم هذا الجبل كدرع خلفي للجيش، ليس هذا فحسب، بل جعل من هذا الجبل قاعدة جوية تنتشر من أعلاه مظلةً تساند الجيش أثناء المعركة، وتحميه من أي التفاف قد يقوم به المشركون من خلف الجبل.. لا سيما وأنهم قد سبقوا المسلمين إلى موقع المعركة، وهذا ما أوجب دقة التخطيط، وضرورة الدقة في التنفيذ، وأهمية الانضباط في العمل.

أخرج ﷺ من الجيش مجموعة من الرماة، وحدد لهم موقعاً على الجبل، وأمرهم بالبقاء فيه مهما كانت الظروف.. مهما كانت النتيجة.. (وجعل النبي ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير)<sup>(١)</sup> قائداً لا يجوز لهم أن يعصوه.

لقد كان ﷺ يدرك خطورة الموقف وشدته.. كان واضحاً وصارماً في تعاليمه للرماة، لقد (أقامهم في موضع ثم قال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نُقتل فلا تتصرونا، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا)<sup>(٢)</sup>. لا مكان للتوقعات والظنون، ولا للحماس الزائد، ولا للاجتهادات الفردية.. البقاء على الجبل حتى تصدر الأوامر بعكس ذلك.. كان ﷺ يريد عزلهم عن كل هذه الأمور، كي يتفرغوا ويركزوا ويكرسوا كل طاقاتهم واهتمامهم لوظيفتهم التي حددها ﷺ، وهي واضحة جداً.. جداً. وهل هناك أشد صرامة من قوله ﷺ للرماة (إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمتنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)<sup>(٣)</sup>.

سمع الرماة وأطاعوا، وصعدوا خلف قائدهم عبد الله بن جبير، وأخذ كل منهم موقعه على الجبل، أما على الأرض، فقد كان هذا النبي والقائد العبقري ﷺ ينظم صفوفه. سندعه يكمل تنظيم جيشه بينما تلقى نظرة على ذلك الجيش الوثني المحتقن

(١) حديث صحيح رواه الإمام البخاري (٣٩٨٦).

(٢) ظاهر إسناده الضعيف لكنه صحيح رواه أحمد ١-٨٧ و٢-٢٨١٨ حدثنا سليمان ابن داود، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله عن ابن عباس. عبيد الله تابعي ثقة ثبت وأبو الزناد تابعي ثقة مر معنا أيضاً، وابنه عبد الرحمن ثقة تغير حفظه عندما قدم بغداد. وسليمان بن داود سكن بغداد وهو ثقة فقيه جليل، لكن الناقد علي بن المديني رحمه الله له رأي في رواية سليمان عن عبد الرحمن يقول: (ما روى سليمان الهاشمي عنه فهي حسان، نظرت فيها فإذا هي مقاربة وجعل علي يستحسنها، سمع ذلك من علي يعقوب ابن شيبه وذكره الإمام الترمذي في علله (٢-٦٠٦).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٢٩).

بالتأثر وبهزيمة بدر.. إنه يقبع قرب جبل «عينين» وهذا ما جعلهم يسمونه «عام عينين»<sup>(١)</sup>، بينما كان المسلمون يسمونه «عام أحد».

كان جيش قريش يفتقد إلى أشياء كثيرة.. أهمها الهدف الموحد والبعيد للمعركة.. كانت المعركة بالنسبة لهم ذات أهداف شخصية بالدرجة الأولى، فعكرمة بن أبي جهل خرج للتأثر لأبيه، وأبي بن خلف جاء ليقتل رسول الله ﷺ تأراً لمصرع أخيه أمية بن خلف، وجبير بن مطعم لا أدري هل كان ضمن الجيش أم لا، لكنه يحلم بالتأثر لعنه من حمزة. وبما أنه لا أحد يقدر على مواجهة حمزة، فقد فضل أن يقدم إغراءً لمن يقوم بهذه المهمة، فعرض على عبده «وحشي» القيام بذلك مقابل حرثته، ووحشي لن يواجه حمزة، ولا يستطيع، لكنه يجيد الرماية بالحرية، وهو أمر ممكن لأن حمزة سيكون بعيداً عندها، ولا تحتاج هذه المهمة سوى إلى الانتظار والترقب.

قدم المطعم عرضه، فقبل وحشي القيام بهذه المهمة من أجل الحرية، والحرية فقط، فوحشي ليس بينه وبين المسلمين أي عدا.. عدوه الوحيد هو الرق، أما أبو سفيان فربما أخرجه للمعركة زعامته الجديدة لقريش، بعد هلاك الطواغيت السبعة ومصرعهم على ساحة بدر، وربما حرضته على ذلك زوجته (هند) التي كانت تتحرق للتأثر، بعد هلاك أبيها وعمها وأخيها، على يد حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم. ومن الأشياء التي يفتقدها الجيش الوثني: حب الموت، والاحتفاء بالشهادة، فهم يحرصون على الحياة كحرص المؤمنين على الشهادة، وهذا الشيء هو سرّ تحطّم أعتى الجيوش على أيدي المؤمنين.

ومن الأشياء التي يفتقدها جيش قريش: النظام، فمن الصعب جداً أن تسيطر على جيش يبحث كل فرد فيه عن فرد ضمن جيش آخر. هناك تشتت في الاتجاه والهدف، وهذا ما حرص ﷺ على إبعاده عندما قال للرماة:

(إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمتنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)<sup>(٢)</sup>.

واقتربت المعركة بين جيشين: جيش قوي، وجيش ذكي، فكانت:

(١) دليلي على ذلك تسمية وحشي لفزوة به عام عينين» كما جاء ذلك عند البخاري (٤٠٧٢) وكان وحشي ضمن جيش المشركين.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٢٩).

## البداية دعاء

بدأ ﷺ كعادته بالدعاء.. لقد (قال يوم أحد: اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض)<sup>(١)</sup>، فمن أجل عبادة الله وحده لا شريك خرج ﷺ وأصحابه.. لا يريدون مالاً، ولا جاهاً.. خرجوا من ديارهم ينشرون دين الله، وخرجوا للقتال دفاعاً عن نشره، ومن أجل الأصنام خرج أولئك الوثنيون.

كان لهذا الدعاء بشائر بالإجابة و:

## بشائر النصر

ها هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يشخص ببصره إلى رسول الله ﷺ، ليرى منظراً أبيض لا يدري من هو، ولا ما هو؟ فيقول: (رأيت بشمال النبي ﷺ ويمينه رجلين عليهما ثياب بيض يوم أحد، وما رأيتهما قبل ولا بعد)<sup>(٢)</sup>.

لا شك أنها الملائكة. لكن هل ستشارك كما شاركت في غزوة بدر؟ سنعرف الإجابة بعد قليل، فهل بقي من بشائر بالنصر على أرض أحد؟

أجل.. كان ذلك بعدما صف النبي ﷺ المؤمنين صفاً خلف صف.. عندها غشيت البشارة بعض الصحابة، وكان صحابي يسمى (أبو طلق) أحدهم.. حيث يقول: (غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد)<sup>(٣)</sup> و(كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد، حتى سقط سيفي من يدي مراراً، يسقط وأخذه، ويسقط فأخذه)<sup>(٤)</sup>.

رفع طلحة بن عبيد الله رأسه فرأى منظراً غريباً يترنح تحت الدروع والتروس، فقال رضي الله عنه: (رفعت رأسي يوم أحد، وجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يميل تحت حجفته<sup>(٥)</sup> من النعاس)<sup>(٦)</sup>، وكان بين صفوف المؤمنين بعض المنافقين الذين لم

(١) حديث صحيح رواه مسلم (١٧٤٣)

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٥٨٢٦).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٦٢).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٦٨).

(٥) أي تحت ترسه.

(٦) سنده صحيح رواه الترمذي (٣٠٠٧) والحاكم (٣٢٥/٢) والنسائي في الكبرى (٣٤٩/٦) وأبو يعلى (١٤/٣) من طرق عن الثقة المعروف حماد بن سلمة عن التابعي الثقة ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه.. وثابت سمع من أنس.

يجرؤوا على الفرار.. إنهم الآن يرتجفون، وهم يرون هذا الجيش القليل العدد والعدّة،  
 ويزيد من ارتجافهم وغيظهم هذا النعاس الذي يحرق الأعصاب.. كأني بالمنافقين  
 ولسان حالهم يقول: انهضوا أيها... من نومكم.. أما ترون الموت يملأ المكان؟  
 لقد كان النعاس أمناً للمؤمنين، وخوفاً ورعباً للمنافقين، وفي ذروة الخوف والأمن،  
 وخلال ذلك الصمت المخيم يشقّ الساحة صوت ينطلق من معسكر الأضنام بالتحدي..  
 فارس جاهلي شجاع اسمه (سباع بن عبد العزى) يصرخ ويقول:

## هل من مبارز

من سيارز هذا الشجاع؟ دعونا نطرح هذا السؤال على رجل يهّمه جداً ما حدث، وشاهد  
 -جيداً- ما حدث.. إنه وحشي الذي جاء من أجل مهمة واحدة هي طعن حمزة فقط.

يقول وحشي: (خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصطفوا للقتال خرج سباع  
 فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار  
 مقطعة البظور، أتحدّ الله ورسوله ﷺ؟ ثم شدّ عليه فكان كأمس الذاهب<sup>(١)</sup>.. لفظ  
 غاية في تصوير الحدث وسهولة حدوثه (كأمس الذاهب) يعبر عن سهولة هلاك  
 الشجعان على يد حمزة.. سقط ذلك الفارس، وارتفع سيف حمزة يطلب المزيد،  
 وارتفعت معنويات المؤمنين، وزاد حماسهم كما زاد حماسهم بعد مبارزة بدر، فأراد  
 رسول الله ﷺ أن يؤجج ذلك الحماس ويوظفه فصرخ بجموع المؤمنين رافعاً سيفاً:  
 (من يأخذ مني هذا السيف بحقه؟

فبسطوا أيديهم، كل إنسان فيهم يقول: أنا.. أنا..

فقال ﷺ: من يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم، فقال له سماك «أبو دجانة»: أنا آخذه  
 بحقه. فأخذه ففلق به هام المشركين<sup>(٢)</sup> الذين أذهلتهم هذه المعنويات. لقد أفنى حمزة  
 مبادرتهم، ومزق أبو دجانة من أمامه منهم، والتحم الجيشان، فبان الفرق بين جيش  
 همجي غاشم، وبين جيش متحضر له هدف وتخطيط وأسلوب رفيع في التنفيذ.. جاء

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٢).

(٢) حديث صحيح رواه مسلم فضائل الصحابة (٢٤٧٠) وابن أبي شيبة بسند صحيح.

أحد الصحابة يبحث عن سبق، بعد أن تفوّق حمزة وأبو دجانة فقال لرسول الله ﷺ: (أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: في الجنة، فألقى تمرات في يده ثم قاتل)<sup>(١)</sup>.

وبدأ الرماة بنشر مظلتهم الجوية، ففوجئ المشركون بجيش يحصدهم على الأرض، ويمطرهم من السماء، فالرماة يؤدّون مهمّتهم بإتقان، وسهامهم زخات من الموت.. زخات من القبور.. فرّقت جموع الوثنيين، فصاروا يهربون في كل اتجاه، ولم تكن السهام تتطلق من قمة أحد فقط. كان بقرب رسول الله ﷺ أمهر راميّين (سعد بن أبي وقاص) كان الأمهر. شاهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما يحدث بين رسول الله ﷺ وبين سعد، وسمعه ورواه فقال: (ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك، فإنني سمعته يقول يوم أحد: «يا سعد ارم فذاك أبي وأمي»)<sup>(٢)</sup>.

ويقول سعد: (جمع لي رسول الله ﷺ يوم أحد أبويه كلاهما)<sup>(٣)</sup>، لقد (نث لي النبي ﷺ كنانته يوم أحد، فقال: ارم فذاك أبي وأمي)<sup>(٤)</sup>.

كان سعد يمتع ناظري رسول الله ﷺ، بل ويضحكه فيقول رضي الله عنه: (كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين، فقال له النبي ﷺ: ارم فذاك أبي وأمي. فنزعت له بسهم ليس فيه نصل، فأصبت جنبه، فسقط فانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه)<sup>(٥)</sup>.

ولم يكتف سعد بالرماية بين يدي رسول الله ﷺ.. لقد كان فارساً يفتك بمن أمامه، لقد استجاب الله له فلقى كما تمنى: (رجلاً شديداً حرده أقاتله ويقاتلني، ثم ارضقني الظفر عليه حتى أقتله وأخذ سلبه)<sup>(٦)</sup> لكن ماذا عن رفيقه عبد الله بن جحش؟

هل استجاب الله لدعائه؟ ليس بعد، فهو مازال يجالذ بسيفه، ويجتث من يواجه من المشركين..

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٤٦).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٩).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٧).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٥).

(٥) حديث صحيح مر معنا قبل قليل.

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٣٨١١).

لم ننس رامى النبي ﷺ الآخر.. إنه أبو طلحة (كان رامياً شديداً النزح، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمرّ معه الجعبة من النبل، فيقول رسول الله ﷺ: انثرها لأبي طلحة).

ثم يشرف إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، لا تشرف، ألا يصيبك سهم، نحري دون نحرك<sup>(١)</sup>.

ماهت الأرواح بالأرواح في جلال يزهق الأرواح.. نبي قائد يفدي جنوده بأمه وأبيه، وجنود يفدون نبيهم بأمهاتهم وأبائهم وأرواحهم.. كانت الصدور درعاً دونه ﷺ.. حتى الملائكة كانت درعاً دونه ﷺ.

يقول سعد بن أبي وقاص: (رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه -عليهما ثياب بيض- كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد)<sup>(٢)</sup>.

كان ﷺ مسروراً بما يرى من تنفيذ لتعليماته.. سعيداً بانتصار وحماس فرسانه.. مصعب بن عمير الذي لا يملك سوى سيفه وقرآناً يملأ صدره وأجواءه.. يلقي المشركين دروساً كما يلقي الأنصار الآيات والسور، وذلك الشيخ الأعرج عمرو بن الجموح، ورفيق دربه عبد الله بن عمرو بن حرام يقاتلان كالشباب، لكن للسنة أحكام قاسية.. سقط عبد الله والد جابر شهيداً على أرض المعركة.. أول شهيد في سجلات أحد، وها هي الملائكة من فوقه ومن حوله (الملائكة تظللّه بأجنحتها)<sup>(٣)</sup> يا لها من شهادة.. يا لها من كرامة، وبعده بزمن يسقط رفيق دربه عمرو بن الجموح، ليطأ بعرجته أرض الجنة، ويدليها على أنهارها ومياهاها ومن شرفات قصوره الفارهة..

وبينما كانت المعركة تتأجج بركاناً يقذف حمماً.. يقذف جثثاً ودماءً وصل:

## ضيفان على المعركة

إنهما: حسيل والد حذيفة، وصحابي آخر هو (ثابت بن وقش) رضي الله عنهما.. لقد ضاقت بطموحهما أسوار المدينة وحصونها.. تلفتا فأحسا أن هذا المكان لا يليق

(١) حديث صحيح رواه مسلم (٢٤١٢).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٤).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٤٤).

بشجاعين مثلهما، ففرّا إلى حيث الوغى.. إلى حيث السيوف والشهادة، وعندما وصلا إلى أحد.. وجدا أن المعركة قد حمي وطيسها، فتسلّلا بين المؤمنين دون أن يعلموا بهم، فماذا كانت العاقبة؟

يقول أحد الصحابة رضي الله عنه: (لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد وقع اليمان ابن جابر أبو حذيفة، وثابت بن وقش بن زعوراء في الآطام<sup>(١)</sup> مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه -وهما شيخان كبيران-: لا أبا لك ما نتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظمأ حمار، إنما نحن هامة القوم. ألا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ؟ فدخلوا في المسلمين -ولا يعلمون بهما-<sup>(٢)</sup>، وقاتلا المشركين، ولكنهما شيخان كبيران، وفي الشيخوخة ضعف (فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما أبو حذيفة)<sup>(٣)</sup>، فله قصة عجيبة سنعرفها بعد قليل.

### ضيف ثالث على المعركة

اسمه (عمرو بن أقيش) أراد أن يسلم في يوم من أيام السلام والسكون، لكنه كان يتعامل بالريا مع بعض المشركين، ولم يكن في عجلة من أمره لكي يسلم، ففضل أن يذهب ليأخذ رباه بصفته مشركاً، ثم يعود لكي يعلن إسلامه.

سافر ابن أقيش إلى المكان المقصود قبل غزوة أحد، ثم عاد ليجد المدينة لا تضحى بأموالها فقط، بل بأرواحها طاعة لله ولرسوله ﷺ، فهانت أموال عمرو أمام عينيه، وهان ربه، وهان كل شيء في نظره، وكشفت الشدائد عن معدنه، وكشف لنا أحد الصحابة عن خبره فقال: (إن عمرو بن أقيش كان له رباباً في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أحد، فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد.

فلبس لأمته، وركب فرسه ثم توجّه قِبَلهم، فلما رآه المسلمون، قالوا: إليك عنا يا عمرو. قال: إني قد آمنت، فقاتل حتى جرح فحمل إلى أهله جريحاً.

(١) الحصون أو البيوت المرتفعة.

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم ٢-٢٠٢: حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن محمود

بن ليبيد. عاصم تابعي ثقة التقريب ٢٨٦ وشيخه صحابي وقد مر معنا.

(٣) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم ٢-٢٠٢ بالسند السابق.

فجاء سعد بن معاذ، فقال لأخته: سليه حمية لقومك، أو غضباً لهم، أم غضباً لله عز وجل؟ قال: بل غضباً لله عز وجل ورسوله، فمات، فدخل الجنة وما صلى لله صلاة<sup>(١)</sup>. دخل الجنة كما دخلها عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام.. دخل الجنة وما صام لله يوماً.

يا لكرم الله.. الجنة - خلودها وسحرها وعوالمها لهذا الفارس من أجل لحظات، لكنها لحظات من التوحيد.. لحظات شارك فيها عمرو بن أقيش في الدفاع عن التوحيد وأهله، شارك فيها أبو بكر وعمر وعثمان وعلياً.. شارك فيها طلحة وأبا عبيدة وسعيد بن زيد وسعد وعبد الرحمن بن عوف والزيبر، وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأبا دجانة، وأنس بن النضر.. أنس بن النضر الذي بهر من يراه بشجاعته، لقد برّ بقسمه.. ها هو كالأسد بين الصفوف لا تزيده الجراح الكثيرة إلا شراسة وإقداماً في الفتك بأعداء الله، ولا يتفوّق عليه إلا حمزة الذي كان يقاتل بطريقة جديدة، ويصرخ بمعنويات شهيد. شاهده سعد بن أبي وقاص ونقل ما شاهد فقال: (كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أُحد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين، ويقول: أنا أسد الله)<sup>(٢)</sup>.

كان حمزة يحزّ الرقاب، ويذل الطغاة، فهم يتساقطون أمامه.. لا شيء يصمد في وجهه.. لم يترك فرصة لأحد كي ينال من رسول الله ﷺ، ولم يترك فرصة لأحد لينال منه.. حتى ذلك البعيد عنه الذي لم يشترك في القتال، ولم يحمل سيفاً للدفاع حتى عن نفسه.. ذلك الأسمر الذي يراقب حمزة وحربته بيده.. لم يجد -حتى الآن- فرصة

(١) سنده لا بأس به رواه أبو داود ٤٨٢-٢ والبيهقي في الكبرى ١٦٧-٩ وغيرهم من طرق عن موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة. موسى ثقة ثبت وشيخه مثله التقريب ٥٤٩ و١٧٨ ومحمد بن عمرو حسن الحديث إذا لم يخالف التهذيب ٩-٢٦٧ وشيخه تابعي ثقة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف.

(٢) سنده صحيح رواه: البيهقي، حدثنا أبو عبد الله، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، حدثنا محمد بن شاذان الجوهري، حدثنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق الفزاري، عن ابن عون، عن عمير بن إسحاق، عن سعد. أبو عبد الله هو الحاكم، وشيخه محمد بن بالويه هو أبو علي كما جاء في ترجمته في تاريخ بغداد ١-٢٨٢ والصواب أبو بكر، وقال فيه البرقاني: ثقة، وشيخه ثقة التقريب ٤٨٣ وشيخه ابن المهلب.. ثقة من شيوخ البخاري التهذيب ١٠-٢١٥ وإبراهيم بن محمد الفزاري ثقة حافظ التقريب ٩٢ وعمير بن إسحاق تابعي قال الحافظ: مقبول.. والصواب أنه: ثقة وقول ابن معين: ليس شيء يعني أنه قليل الحديث، وابن معين قال عنه: ثقة (قواعد في علوم الجرح للتهانوي - ٢٦٣) وقال النسائي: ليس به بأس، ولم يورده العقيلي إلا أنه لم يرو عنه إلا واحد.

للإجهاز عليه، وهو لا يجسر على افتتاح أهوال حمزة وجحيمه. إنه يقول: إنني (أنظر حمزة وأتبصره، حتى رأيت في عرض الناس كأنه الجمل الأورق، يهدّ الناس بسيفه هدّاً ما يقوم له شيء)<sup>(١)</sup>، وما يجروّ أحد من قريش على التصدي لهذا الحتف الذي يصرخ: أنا أسد الله.

لقد فرّق حمزة والأسود معه جمع قريش ومزقوهم.. إنهم يهربون.. يهزمون خلف الصخور، ووراء الجبال.

ها هو الزبير يلاحق فلولهم المنهزمة المهرولة من هنا وهناك، تاركين نساءهم خلفهم، حتى أن بإمكانه أخذ ماشاء منهن.. الزبير يقول: (والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم<sup>(٢)</sup> هند بنت عتبة وصواحباتها مشمّرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير)<sup>(٣)</sup>.

ورأى منظر الهزيمة شاب صغير هو البراء بن عازب الذي يقول: (فأنا والله رأيت النساء يشددن، قد بدت خلاخلهنّ وأسوقهن رافعات ثيابهن)<sup>(٤)</sup>.

ويقول رضي الله عنه عن هزيمة المشركين: (فهزموهم، فأنا والله رأيت النساء يشددن على الخيل، قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن)<sup>(٥)</sup>.

الساحة الآن للرسول ﷺ وأصحابه.. هرب الوثنيون تاركين نساءهم في متناول الزبير وأصحابه، أما نساء المسلمين فكُنّ كرجالهم يمارسن التمرريض والإسعاف بالماء والدواء.

يقول أنس بن مالك: (لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمّرتان، أرى خدم سوقهما تتقزان القرب على متونهما، فتفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملأنها، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم)<sup>(٦)</sup>.

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق (ابن كثير - ٣/٣٥) وقد مر معنا عند الكلام على وحشي.

(٢) الخدم: هي الخلاخل.

(٣) سنده صحيح: رواه إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد، عن عبد الله بن الزبير عن أبيه.. وشيخ ابن إسحاق ثقة - التقريب (٢/٣٥١) ووالده تابعي ثقة - التقريب (١/٣٩٢).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٤٣).

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٤٣) والبيهقي (٣/٢٢٩) واللفظ له.

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٦٣).

عائشة رضي الله عنها وهي أوج نشاطها وحماسها .. تصف ما حدث بعبارة مختصرة، فتقول: (هزم المشركون يوم أحد هزيمة بينة تعرف فيهم)<sup>(١)</sup>.

وروى أحد الصحابة ما حدث لحملة الراية من المشركين شيئاً مذهلاً، لقد استبدلتهم سيوف حمزة ورفاقه سبع مرات أو أكثر.

يقول رضي الله عنه: (وقد كان لرسول الله ﷺ أول النهار، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة)<sup>(٢)</sup> يتساقطون كجدران الطين القديمة وقد داهمتها الرياح والأمطار، لتخلو الساحة من ثأر المشركين وأصنامهم.

خلت الساحة إلا من ركضهم بحثاً عن بقايا حياة، بعد أن خبا ثأرهم، وسافر بعضهم إلى الجحيم .. كانت الساحة مليئة بجثث الطواغيت المنتنة .. المتناثرة في كل مكان، وكان عدد الجثث حتى الآن قريباً من السبعين جثة .. أحد هذه الجثث كان حياً مصاباً .. يتظاهر بالموت خشية أن يجهز عليه أحد فرسان محمد ﷺ. لقد سقط هو وحلمه الذي حملة معه من مكة، فقد خرج ليقتل رسول الله ﷺ، لكن رفاق حمزة أسقطوهما معاً .. هذا الرجل يدعى (وهب بن عمير) وما زال لديه أمل بالحياة.

يقول أنس بن مالك: (كان وهب بن عمير شهد أحداً كافراً، فأصابته جراحة، فكان في القتلى، فمرّ به رجل من الأنصار فعرفه، فوضع سيفه في بطنه حتى خرج من ظهره ثم تركه)<sup>(٣)</sup>.

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٦٦٦٨) والبيهقي (٢٢٠/٢) واللفظ له.

(٢) ظاهر سننه الضعف لكنه صحيح رواه أحمد ١-٨٧ و ٢-٢٨٨: حدثنا سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، عبيد الله تابعي ثقة فقيه - أحد الفقهاء السبعة، وأبو الزناد تابعي ثقة مر معنا، وأما ابنه فمن أجله قلت ما قلت .. فهو ثقة لكنه تغير عندما قدم بغداد، فالنقاد يضعفون ما رواه في بغداد، وسليمان ابن داود ثقة فقيه جليل ممن سكن بغداد، لكن الناقد الكبير علي بن المديني رحمه الله قال - مستثنيا رواية هذه الثقة عن شيخه عبد الرحمن (ما روى سليمان الهاشمي عنه فهي حسان، نظرت فيها فإذا هي مقاربة، وجعل علي يستحسنها) ذكر ذلك الإمام الترمذي في علله: (٦٠٦/٢).

(٣) سننه قوي: رواه الطبراني (٦٢/١٧): حدثنا أحمد بن زهير التستري حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا جعفر بن سليمان عن أبي عمير الجوني لا أعلمه إلا عن أنس. أبو عمران اسمه عبد الملك بن حبيب تابعي ثقة التقريب ٣٦٢ وقد صح سماعه من أنس التهذيب ٦-٣٨٩ وتلميذ صدوق من رجال مسل التقريب ١٤٠ وعبد الرزاق معروف. وابن سهل ثقة من رجال مسلم التقريب ٤٨٢ وشيخ الطبراني هو تاج المحدثين من أحفظ أهل عصره. انظر البلغة للعلامة حماد الأنصاري (٨٩).

ماذا حدث لو هب بعد ذلك هل مات.. أم مازال حياً؟ سنعرف الإجابة بعد نهاية المعركة، والتي انتهت حتى الآن إلى هزيمة كالجحيم.. سقط فيها أكثر من ستين مشركاً، أما الأسرى فقد بلغ عددهم سبعين أسيراً. إن الساحة الآن تذكر بانتصار بدر.. سبعون للأسر وسبعون للقبر، ومحمد ﷺ يكحل ناظره بمشهد يسر النفس ويشرح الصدر.

لكن هذا المهرجان لم يدم طويلاً، لقد كانت الساحة جميلة.. مكتنزة بالغنائم والانتصار.. كأن كل شيء قد انتهى.. المشركون انتهوا، والمؤمنون انتهوا إلى القمة. لكن بعض الصحابة الذين كانوا على القمة ارتكبوا كارثة، لقد حولوا تلك القمة إلى قاع دموي.. خاض فيه المشركون وشربوا وانتشوا.

### ماذا فعل الرماة

كان بعض الرماة يشاهدون الانتصار الهائل والغنائم، فتيقنوا أن كل شيء قد حسم، وفي لحظة من لحظات الضعف الإنساني أغرتهم الغنائم، فقرروا النزول، عندما أنساهم الحماس قول نبيهم ﷺ: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم..)<sup>(١)</sup>.

تأخر الأمر عليهم.. لم يرسل النبي ﷺ أحداً، فظنوا أن كل شيء قد تم على ما يرام.. حكموا رأيهم واجتهدوا، مع أن كلام رسول الله ﷺ لا يزال مدياً في آذانهم، فخالفوا أمره وأمر أميرهم عبد الله بن جبير، وهتفوا ببعضهم (الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنظرون؟

فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبين من الغنيمة)<sup>(٢)</sup> وانحدر الرماة وانحدرت الكارثة معهم.. شاهدتهم المشركون المنهزمون، فلاح لهم بريق الانتصار، واستجمعوا قواهم من جديد في محاولة للانقضاض ما دام خطر الأسهم المريك والشائك قد زال عن سماء المعركة.

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٣٩).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٣٩).

عاد أبو سفيان والمشركون وهم يرون هذا الفراغ في السماء، والارتباك على الأرض.. الارتباك الذي أحدثه الرماة عندما زاحموا إخوانهم المكلفين بجمع الغنائم، وكأن أمر الغنائم لم تنزل به الآيات.. كان الرماة النازلون من الجبال يحسبون أن من سبق فهو أحق. حدثت فوضى عارمة داخل الصف المؤمن، وانفلت الزمام، وضاع النظام. وتحوّل الجيش الإسلامي إلى شبكة لا يعرف لها أول ولا آخر.

تلك الصفوف المنظمة التي تقاتل كبنيان مرصوص.. حولها الرماة -رضي الله عنهم- بمخالفتهم إلى شيء كالفوضى.. وصفه أحد الصحابة أدقّ الوصف، فقال: (لما غم النبي ﷺ وأناخوا عسكر المشركين، أكبّ الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينهبون. وقد التقت صفوف أصحاب النبي ﷺ، فهم: كذا -وشبك أصابع يديه- والتبسوا، فلما أخلّ الرماة تلك الخلّة التي كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ، فضرب بعضهم بعضاً، والتبسوا، وقتل من المسلمين ناس كثير<sup>(١)</sup>) بسبب واحد فقط.. هو عدم الالتزام بتعليمات القيادة الصادرة منه ﷺ، وقد كلّف هذا الخطأ الكثير، والكثير. فالمعركة الآن...

## المعركة بأيدي المشركين

والمبادرة بأيديهم، فالجيش المؤمن يقتل بعضهم بعضاً من الفوضى، والمشركون يعينوهم على ذلك، وفي قلب الظلمة والفوضى تعالي الصياح والضجيج، وصار المسلمون يصدقون كل شيء، ويستجيبون لكل صارخ. فقد دوت على أرض أحد صرختان: حوّلت كل واحدة منها جيش الإسلام إلى زوبعة من الفوضى.

## صرخة تقتل حسيلاً

فبينما كان حسيل والد حذيفة يتمتع بالنصر مع رسول الله ﷺ، بعد أن حرم منه هو وابنه حذيفة في غزوة بدر، إذ بصارخ يصيح بالمؤمنين ليتشقى بمرأى الدماء.. كانت عائشة هناك.. تصبّ الماء للجرحى، وتداوي وتصفى لما حدث وتقول: (هزم المشركون يوم أُحد هزيمة تعرف فيهم، فصرخ إبليس: أي عباد الله.. أخراكم.

(١) سنده قوي وهو حديث ابن عباس السابق عند أحمد (١/٨٧ - ٢/٢٨٨).

فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فنظر حذيفة بن اليمان فإذا هو بأبيه، فقال: أبي، أبي.

قالت: فوالله ما انحجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: غفر الله لكم.

قال عروة بن الزبير بن العوام: فوالله ما زالت في حذيفة منها بقية حتى لقي الله<sup>(١)</sup>.

يا لإيمان حذيفة.. يا لعتاب حذيفة. والده المؤمن المجاهد تقطعه السيوف، فلا يتلفظ بكلمة نابية، ولا حتى بعتاب مجروح.. تنهد قائلاً: غفر الله لكم.. ذرفها كالدموع وهو يرى حبيب قلبه، وصديقه ووالده الحنون يهوي بسيوف أحبابه خطأ.  
إن لحذيفة إيماناً صافياً كأنهار الجنة.. رحم الله حسيلاً ورحم الله الرماة، ورضى الله عنهم جميعاً.

وفي غمار المعركة الثانية.. كانت سيوف المشركين تنهش لحوم الفرسان ودماءهم، بينما كان وحشي ينتظر دور الحربة والحرية، ليجهز على حمزة وليبشّر جبير بن مطعم ب:

### استشهاد حمزة

كان حمزة يشاهد ما يحدث ويصمد له، حتى لاح فراغ كبير وسط المعركة، فانكشف حمزة لوحشي..

سأترك الكلام لوحشي ليحدثنا عما فعله بأسد الله ورسوله حيث سأترك الحديث لوحشي الذي يستتر من حمزة.. يلبس الأحجار والأشجار.. يتقنّع بها خشية أن يراه هذا الموت الهائل الذي يهدّ الناس بسيفين أحمرين.. يهدّ الناس بصوته.. رعداً يدوي: أنا أسد الله ورسوله.. كان حمزة فارساً يجوب الشجاعة إلى أقصاها، بينما كان وحشي ينتظره كي يردفه إلى عالم الحرية.

كان حمزة يجوب الساحة بحثاً عن مُنازل، حتى كان آخر ضحاياه قرب مخبأ وحشي.. سقط آخر ضحايا حمزة فنهض وحشي الذي يقول: (خرجت أنظر حمزة

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٦٦٦٨).

وأبصره، حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأورق يهدّ الناس بسيفه هدّاً، ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهيأ له، أريده، وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني<sup>(١)</sup> (وهزرت حريتي حتى رضيت منها دفعتها إليه «رميته بحريتي»، ف وقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه)<sup>(٢)</sup>.

انفجرت دماء حمزة.. تساقطت على الأرض ولم يسقط.. التفت إلى طاعنه ولاحقه، وطاعنه خائف يقول: (وذهب لينوء نحوي، فغلب، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حريتي، ثم رجعت إلى العسكر، وقعدت فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، إنما قتلته لأعتق)<sup>(٣)</sup>.

ودّع حمزة الدنيا، وقدم وحشي لسيدة أغلى مبلغ في الدنيا يُدفع ثمناً لعبد. كان المسلمون في تراجع وانكسار.. كانوا في غفلة عن جسد حمزة الطاهر، الذي تقدم إليه شخص مجهول، فأخرج أداة حادة فجذع بها أنف حمزة، وشقّ بطنه وشوّه جسده الطاهر، ومثّل به، وهكذا يفعل الجبناء، وماذا لديهم سوى ذلك..؟

شاهد أحد الصحابة ما فعل بأسد الله - بحمزة عمّ رسول الله ﷺ، فانطلق إلى رسول الله ﷺ ليخبره بالفاجعة. لكن أين رسول الله ﷺ وسط هذا الغبار والفضوى..؟ إنه ليس على جبل أُحد، فالرماة نزلوا، ولم يبقَ إلاّ قائدهم عبد الله بن جبير وقلة معه من الصابرين، لكن المشركين باغتهم بأعداد كثيرة، فاستشهدوا جميعاً على قمة الامتثال والجبل، أمّا على الأرض، فالأمر غامض جداً، بل هو مفرج.

ها هو أحد المشركين يدوي بالجموع المشتبكة.. صرخ كالشيطان وقال:

### إن محمداً قد قتل

سمعه الزبير وأذهله ما سمع. يقول رضي الله عنه: (مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب، وخلوا ظهورنا للخيل، فأتينا من أديارنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قتل، فانكفأنا، وانكفأ علينا القوم)<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) حديث صحيح مر معنا وهو حديث وحشي السابق عند ابن إسحاق والزيادة للبخاري.
  - (٢) حديث صحيح مر معنا وهو حديث وحشي السابق عند ابن إسحاق والزيادة للبخاري.
  - (٣) حديث صحيح مر معنا وهو حديث وحشي السابق عند ابن إسحاق والزيادة للبخاري.
  - (٤) سنده صحيح وقد مر معنا وهو بقية حديث الزبير عند ابن إسحاق.

لكن أنس بن النضر عم أنس بن مالك لم ينكفئ.. كان يقاتل عن رجلين.. عن معركتين.. عن بدر، وعن أحد. يقول ابن أخيه أنس رضي الله عنه: إن عمه (غاب عن بدر فقال: غبت عن أول قتال النبي ﷺ. لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ ليرين الله ما أصنع»، ما أجد، فلقي يوم أحد.. فهزم الناس فقال: اللهم إني أعتر إليك مما صنع هؤلاء -يعني المسلمين- وأبرأ إليك مما جاء به المشركون، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ<sup>(١)</sup>، (فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس: يا أبا عمرو أين؟ واهأ لريح الجنة «إني» أجده دون أحد..)<sup>(٢)</sup>. (فقال سعد: أنا معك -

قال سعد: فلم أستطع أصنع ما صنع)<sup>(٣)</sup>.

وقال أنس بن مالك أنه عمه (قاتلهم حتى قتل، فوجد في جسده بضعة وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية)<sup>(٤)</sup>.. كان وجه أنس بن النضر مشوهاً لا يعرف.. كان جسده ميداناً لمعركة أخرى انتصر فيها الوفاء، وخرج منها أنس مزيناً بالطعنات والشهادة والوعد الصادق، فلئن مات رسول الله ﷺ شهيداً، فليلحق به أنس بن النضر.

أما بعض الصحابة فقد أذهلهم الخبر وأسقط في أيديهم، وانهارت معنوياتهم فولوا عن أرض المعركة لا يلوون على شيء بعد أن رأوا هذه الكارثة، وسمعوا بمقتله ﷺ، وكان أحد هؤلاء (عثمان بن عفان وسعد بن عثمان -رجل من الأنصار- حتى بلغوا الجلب -جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص)<sup>(٥)</sup>، وكأنهم يقولون لأنفسهم: وماذا نحن بعد رسول الله ﷺ؟

أما البقية فضلوا الموت على ما مات عليه رسول الله ﷺ.. أحدهم هذا الفارس المجهول، الذي يقول عنه سهل بن سعد: (ما رأينا مثل ما أتى فلان، لقد فرّ الناس وما فرّ، وما ترك للمشركين سادة ولا قادة إلا أتبعها يضربها بسيفه)<sup>(٦)</sup>، وما زال يضربهم

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٤٨).

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (الإمارة - ثبوت الجنة..) والزيادة عند البخاري.

(٣) حديث صحيح رواه أحمد.. وهو ثلاثي على شرط الشيخين كما قال ابن كثير.. حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس.. وشيخ أحمد ثقة وهو ابن هارون.. وشيخه تابعي ثقة سمع من أنس وهو حميد الطويل.

(٤) حديث صحيح رواه مسلم (الإمارة - ثبوت الجنة..) والزيادة عند البخاري.

(٥) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الأموي (ابن كثير - ٣-٥٥) حدثني يحيى بن عباد، عن أبيه عن جده.. وهذا الإسناد مر معنا. يحيى ثقة، وعباد تابعي ثقة.

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٤٢٠٢) وأبو يعلى - زوائد (١-٤٢٨) واللفظ له.

حتى الآن.. في الوقت الذي استشهد فيه صاحب التمرات، فقد (قاتل حتى قتل)<sup>(١)</sup>،  
كما سقط على أرض المعركة رجل فقير لكنه كان بحجم الدنيا.

### استشهد مصعب

مصعب بن عمير، الذي خرج من ثروته وزينته ليلحق برسول الله ﷺ.. مصعب الذي خرج من مكة وحيداً، ليثقف جيلاً من أجيال المدينة.. مصعب الذي خرج من المدينة نحو أحد.. لا يملك من الدنيا إلا سيفه ورداءه، وقرآناً يملأ صدره، ويفنيه عما يراه من حطام الدنيا.. سقط مصعب على أرض أحد.. تبكيه المدينة ومكة، ويكيه أحد الصحابة الصائمين عندما قدم له طعام إفطار شهي، فتذكر مصعباً وجوع مصعب فقال: (قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في برده، إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا -أعطينا من الدنيا ما أعطينا- وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام)<sup>(٢)</sup>، وتذكره أيضاً رفيق دربه وعذابه خباب بن الأرت فقال: (هاجرنا مع رسول الله ﷺ ونحن نبتغي وجهه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى بسبيله ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير.. قتل يوم أحد، ولم يترك إلا نمره، كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجله بدا رأسه)<sup>(٣)</sup> رضي الله عن مصعب ما أعظمه.. سافر والدموع من حوله، بعد أن ملأ الصدور والنفوس علماً وحباً ونظافة وثقافة.. نالت منه سيوف الشرك وهو يدافع عن دينه وعن نبيه ﷺ، ولم تكتف السيوف من جسده.. السكاكين والمشارط حملها الحقد فتفتنت في جسده الطاهر تقطيعاً وتشويهاً، بقر بطنه، وجدع أنفه، وقطعت أذناه.. هنيئاً لك مصعب.

كما نالت السيوف من ذلك الشاب العروس، الذي ترك فتاته ليموت دون دينه ونبيه ﷺ، ليكمل احتفالاته في الجنة، وكان قبيل سقوطه في صراع مع رجل شجاع من صفوف المشركين هو (أبو سفيان) وهو ليس أبو سفيان زعيم قريش.. لا، ولكنه (أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب)

(١) حديث صحيح رواه البخاري وقد مر معنا.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (١-١٢٧٥).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٧٦) وقد حذف كلمات بين عمير... وقتل، وهو قوله رضي الله عنه: ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها.

ابن عم رسول الله ﷺ الذي آذاه في مكة، وهو ما يزال حتى الآن مشركاً، وقد تغلب عليه حنظلة وعلاه بسيفه وكاد أن يطيح برأسه ولكن ما الذي حدث؟

## حنظلة بن أبي عامر وأبو سفيان بن الحارث

حنظلة (التقى هو وأبو سفيان بن الحارث، فلما استعلى حنظلة رآه شداد بن شعوب، فعلاه بالسيف حتى قتله، وقد كاد يقتل أبا سفيان)<sup>(١)</sup>، لكنه نجا، وليس لحنظلة أكثر من ذراعين.. باغته شداد وأرسله إلى الموت شهيداً. تتحدث عنه الدنيا، وعن شهادته.. سافر حنظلة وسافر معه شاب يحتفل بالشهادة على طريقته المحيية إلى نفسه.

## شهادة هو واختارها

وانتقى من المولى كيفيَّتها.. إنه عبد الله بن جحش، الذي دعا الله قبل المعركة فقال: (اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده، شديداً بأسه، أقاتله ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً، قلت: من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك ﷺ، فتقول: صدقت)<sup>(٢)</sup>، فاستجاب الله لعبد الله بن جحش، فالتقى بمحارب عنيف وشديد فقتله، ولما هوى عبد الله على الأرض أخذه ذلك المشرك ومثّل به، فشق أنفه وأذنه، وعلق أنفه وأذنه بخيط..

كل هؤلاء سافروا.. كل هؤلاء الشهداء كانوا في طريقنا ونحن نبحث عن رسول الله ﷺ.. تعالوا خلف هذا الفاتك المغوار، الذي يجول ويصول دون أن يصدق أن رسول الله ﷺ قد قتل، لكنه في الوقت نفسه لا يعتمد أن رسول الله ﷺ على ساحة أحد، ولا خلف جبالها، ولا حتى على ساحة بدر أو في المدينة.

لقد عاد هذا الشجاع من جولة كالفجيعة.. كان يقلب الجثث، فتؤلمه وجوه أصحابه وأحبابه من الشهداء وهو يبحث بمرارة عن حبيبه محمد ﷺ، لكنه لم يجده فأين ذهب؟ وأين ذهب الظنون بهذا الشاب المكسور الحزين؟

(١) سنده صحيح مر معنا كثيراً رواه ابن إسحاق، ومن طريقه السراج (الإصابة ١٢-٢٩٩) رواه الحاكم ٢-٢٠٤ حداثي يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده.

(٢) سنده جيد وقد مر معنا.

تعالوا نتعرف عليه وعلى حيرته.. إنه زوج فاطمة الزهراء.. إنه علي ابن أبي طالب، وهو يظن أن:

## رسول الله ﷺ في السماء

يقول رضي الله عنه: (لما انجلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد، نظرت في القتلى فلم أر رسول الله ﷺ، فقلت: والله ما كان ليفرّ، ولا أراه في القتلى، ولكن أرى الله غضب علينا بما صنعنا، فرفع نبيّه ﷺ، فما لي خير من أن أقاتل حتى أقتل، فكسرت جفن سيفي ثم حملت على القوم فأفرجوا لي، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم)<sup>(١)</sup>.

كان ﷺ غارقاً في أحزانه ودمائه، حيث (جرح وجه رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه)<sup>(٢)</sup> هشمت البيضة التي كان يغطي بها رأسه فشج رأسه، (وذلق من العطش حتى جعل يقع على ركبتيه)<sup>(٣)</sup>.

رأى علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ وتألّم لما حدث، لكنه كان في أشدّ حالات الارتياح لأنه لم يزل حياً على الأرض.. فكيف علم الآخرون بمكانه؟ وكيف أحاط كل هذا الجمع به؟ فقد كان حوله أبو بكر وعمر وطلحة والزيبر وسعد والحارث بن الصمة وأبو طلحة وابن مسعود وأكثر من اثني عشر رجلاً من الأنصار؟ لن يحدثنا أيّاً من هؤلاء فالكلمة ل:

## أول من عرفه ﷺ

الكلمة للشاعر المجاهد (كعب بن مالك) حيث: (كان كعب أوّل من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قتل رسول الله ﷺ. قال كعب: عرفت عينيه تزهران من تحت

(١) سنده حسن رواه أبو يعلى زوائد ٢-٤٣٠ حدثنا أبو موسى، ثقة ثبت حافظ التهذيب ٩-٤٢٥ حدثنا محمد بن مروان العقيلي، حسن الحديث إذا لم يخالف قال الحافظ: صدوق له أوهام ٥٠٦، عن عمارة بن أبي حفصة ثقة من رجالهما التقريب ٤٠٨.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٥).

(٣) سنده صحيح رواه أبي شيبة ٧-٢٧١: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير. عفان ثقة ثبت إذا شك في حرف من الحديث تركه، وشيخه ثقة معروف وبقيهة السند لا يسأل عنها وقد مر معنا كثيراً.

المفخر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليّ أن انصت «اسكت»<sup>(١)</sup>. ربما لكي لا يعلم المشركون بمكانه.

سمع هذا الصرخة سعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وسبعة من الأنصار، فهبوا نحو صاحبها، وسمع الصرخة جمع من المشركين فلحقوا بهم، فماذا حدث يا أنس؟ أجب بالله عليك. يقول أنس رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه<sup>(٢)</sup> قال ﷺ: من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟

فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه، فقال: من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة.

فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: ما أنصفنا أصحابنا)<sup>(٣)</sup> يعني الأنصار. لكن الأنصار كانوا حضوراً غامراً.. مفعماً بالحب والفداء.. يصنعون الأحداث، فيتحدث التاريخ وفاءً.

لقد التحق بالأنصار الشهداء شهداء آخرون، فزاد مجد الأنصار وفخرهم على أرض أحد.

يقول أحدهم وكأنه يكمل حديث أنس السابق: (لما كان يوم أحد وولّى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية «في اثني عشر رجلاً منهم طلحة»، فأدركهم المشركون، فقال النبي ﷺ: من للقوم؟ «قال طلحة: أنا. قال ﷺ: كما أنت»، فقال رجل: أنا، قال ﷺ: أنت.

فقاتل حتى قتل. ثم التفت فإذا المشركون، فقال ﷺ: من لهم؟ «قال طلحة: أنا، قال ﷺ: كما أنت». فقال رجل من الأنصار: أنا، قال ﷺ: أنت.

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الطبراني في الأوسط، مجمع البحرين، ٥-١٠٥ والبيهقي في الدلائل ٢-٤٨٢: حدثني الزهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك. الزهري إمام معروف وشيخه له رؤية وتابعي ثقة له رؤية رواه عن والده.

(٢) أي اقتربوا منه.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم (الجهاد - غزوة أحد).

فقاتل حتى قتل . فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله طلحة، «فقال ﷺ: من للقوم؟ قال طلحة: أنا» فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه، فقال حس، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت: باسم الله، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون، ثم ردّ الله المشركين<sup>(١)</sup> الذين سمعوا بمكانه ﷺ ولم يبق معه ﷺ في هذا الوقت سوى اثنين من الصحابة.. يقول أحد الصحابة: (إنه لم يبق مع النبي ﷺ في تلك الأيام الذي يقاتل فيهن غير طلحة وسعد)<sup>(٢)</sup>، وقد قاتل طلحة حتى قطعت أصابعه وشلت يده.. رآها أحد الذين أدركوا الجاهلية والإسلام واسمه: قيس بن أبي حازم فقال: (رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شلت)<sup>(٣)</sup>.

أثناء هذه الظروف العصبية والجراح الدامية، دوت صرخة كبيرة نحو رسول الله، وذلك بعد أن انتشر الخبر أن رسول الله ﷺ لا يزال على قيد الحياة، فتداعى الصحابة من كل مكان (فلما عرفوا رسول الله ﷺ نهضوا به معهم نحو الشعب، ومعه أبو بكر وعمر وعليّ وطلحة والزبير والحارث بن الصمة في رهط من المسلمين، ولما أسند رسول الله ﷺ في الشعب، أدركه أبي بن خلف وهو يقول: يا محمد.. لا نجوت إن نجوت.

فقال القوم: أيعطف عليه يا رسول الله رجلٌ منّا؟

فقال: دعوه.

فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة<sup>(٤)</sup> أخذ النبي ﷺ الحربة وهو في أشدّ حالات الإعياء والعطش، لدرجة أنه كان يمشي ويسقط، ولكنه استجمع قواه ليعت بها مع حربة الحارث بن الصمة نحو جسد هذا الطاغوت النزق.

(١) حديث حسن بما قبله عدا ما بين الأقواس الصغيرة وسنده فيه ضعف، لأنه من رواية أبي الزبير عن جابر وهو مدلس ولم يصرح بالسماع من جابر هنا والرواية عند النسائي - ٦-٢٠ والطبراني ٨-٢٠٤ والحاكم ٤-٥٧٠ ولآخر الحديث شواهد تقويه عند المقدسي في المختارة ٢-٤٢ والطبراني في الشاميين بسند فيه تابعي مجهول عن أنس ٢-١٢٨.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري عن أبي عثمان النهدي (٤٠٦٠ - ٤٠٦١).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٣٧٢٤).

(٤) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه أبو نعيم (٤٨٢) وقد مر معنا وللحديث شواهد.. ولم أذكر بقية الحديث لأنه من بلاغات ابن إسحاق دون سند وهو قوله: يقول بعض القوم -فيما ذكر لي- : فلما أخذها رسول الله ﷺ -أي الحربة- انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعْر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله قطعنه بها طعنة تداؤ منها عن ظهر فرسه مراراً. والشعْر: ذباب أزرق يؤدي الإبل.

## الرسول يستسقي دماء

لا يستسقى مطراً، بل الساحة والصحابة بأشدّ الحاجة إلى دماء هذا الطاغوت الجريء، الذي سفك هو وأخوه من الدماء ما يكفي.

سأترك الحديث للزبير ليكمل لنا القصة: يقول رضي الله عنه: (شجَّ النبي ﷺ يوماً أُحد في وجهه، وكسرت ربايعيته، ودلق من العطش حتى جعل يقع على ركبتيه، وتركه أصحابه. فجاء أبي بن خلف يطلبه بدم أخيه: أمية بن خلف، فقال: أين هذا الذي يزعم أنه نبيّ فليبرز لي، فإنه إن كان نبياً قتلني).

فقال رسول الله ﷺ: أعطوني الحربة. فقالوا: يا رسول الله، وبك حراك؟ فقال: إني قد استسقيت الله دمه.

فأخذ الحربة ثم مشى إليه، قطعنه، فصرعه عن دابّته، وحمله أصحابه فاستنقذوه، فقالوا له: ما نرى بك بأساً.

قال: إنه قد استسقى الله دمي، إني لأجد لها ما لو كانت على ربيعة ومضر لوسعتهم<sup>(١)</sup>، ثم هلك مع من هلك من الطواغيت قبله، ولحق بأخيه إلى الجحيم - أعاذنا الله منها، وهرب أتباعه بعد أن رأوا تلك الضربة النبوية المميتة، وتراكموا نحو أصحابهم يخبرونهم عن رمح رسول الله ﷺ، وعن قوّة رسول الله ﷺ ليكدر عليهم بقية نصرهم.

أمّا رسول الله ﷺ، فبعد أن زرع الرمح في جسد أبي بن خلف.. رجع إلى مكانه متعباً يشير إلى سنّه المكسورة، وجتّة ذلك الطاغوت فقال ﷺ: (اشتدّ غضب الله على قوم فعلوا بنبيّه -يشير إلى ربايعيته- اشتدّ غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله)<sup>(٢)</sup> (اشتدّ غضب الله على قوم دموا وجه نبيّ الله)<sup>(٣)</sup>.

(اشتدّ غضب الله على من دمی وجه رسول الله ﷺ)<sup>(٤)</sup>.

(١) سنده صحيح مر معنا قبل قليل رواه ابن أبي شيبة ٣-٢٧١: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٢).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٤).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٥).

رجع ﷺ بينما كان أبو طلحة وغيره كالقلعة حوله ﷺ .

يقول أنس رضي الله عنه: ( لما كان يوم أحد انهزم ناس عن رسول الله ﷺ، وأبو طلحة بين يديه مجوباً عليه بحجفة، وكان رامياً شديداً النزع، كسر يومئذ قوسين، أو ثلاثة، وكان الرجل يمرّ معه الجعبة من النبل، فيقول رسول الله ﷺ: انثرها لأبي طلحة، ثم يشرف على القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، لا تشرف، يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك<sup>(١)</sup> .

كان أبو طلحة قائمة من الخيارات الجميلة بين يديه عليه السلام، (وكان أبو طلحة يدفع صدر رسول الله ﷺ بيده ويقول: يا رسول الله هكذا لا يصيبك سهم، وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ، يقول: يا رسول الله إني قوي جلد، فوجهني في حوائجك وابعثني حيث شئت<sup>(٢)</sup> .

لم تصب السهام رسول الله ﷺ، لكنها نقشت الشهادة على صدر أحد شباب الصحابة.. كانت شهادة غريبة. غريبة لأن صاحبها لم يمتم في أحد، ولا بعد أحد، ولا حتى في حياة النبي ﷺ. فما قصة هذا:

### الشهيد الذي يمشي على الأرض

شاب اسمه (رافع بن خديج) شهيد، لكنه يعيش بين الناس.. يأكل معهم ويشرب ويصلي ويصوم، بل ويجاهد في معارك أخرى في هذه الدنيا، مع أنه من شهداء أحد! كيف ذلك..؟

تقول زوجته رضي الله عنها: (إن رافعاً رمى مع رسول الله ﷺ يوم أحد بسهم، في شدوته، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنزع السهم؟

قال ﷺ: يا رافع.. إن شئت نزع السهم والقطبة جميعاً، وإن شئت نزع السهم وتركت القطبة، وشهدت لك يوم القيامة أنك شهيد. فنزع رسول الله ﷺ السهم، وترك

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٦٤).

(٢) سننه كالذهب رواه عبد بن حميد (٢٩٩) حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس.. وسليمان ثقة إمام حافظ وبقية السند مر معنا.

القطبة فعاش بها<sup>(١)</sup> حتى مات حاملاً شهادته على شדותه.. على صدره، بينما كانت ذقون المؤمنين على صدورهم، فأمن الصحابة من جديد بعد أن أنزل الله:

### النعاس من جديد

يقول الزبير بن العوام رضي الله عنه: (لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتدَّ الخوف علينا، أرسل الله علينا النوم، فما منّا من رجل إلا ذقنه في صدره، فوالله إني لأسمع قول معتب بن قشير - ما أسمع إلا كالحلم - يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا. فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا، لقول معتب<sup>(٢)</sup> والآيات التي نزلت في هذا المنافق المدعو: (معتب بن قشير) وبقايا المنافقين الذين أبقاهم الخوف، وأفصح عن نفاقهم الخوف.. هذه الآيات هي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(٣)</sup>.

أما أولئك الذين لاذوا بالفرار بعد نزول الرماة وحدث الانتكاسة، فقد تاب الله عليهم وعفى عنهم وأنزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سنده صحيح رواه الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا حجاج بن المنهال (ح) وحدثنا محمد بن محمد التمار، حدثنا أبو الوليد ومحمد بن كثير.. قالوا: حدثنا عمرو بن مرزوق الواشحي، حدثنا يحيى بن عبد الحميد بن رافع بن خديج عن جدته وهي امرأة رافع رضي الله عنه.. ويحيى تابعي ثقة الجرح والتعديل ٩-١٦٨ وتلاميذ صدوق التهذيب ٨-١٠١ وتلاميذ عمرو كلهم ثقات وأبو الوليد هو الطيالسي وشيخ الطبراني وتلميذ الحجاج هو الثقة علي بن عبد العزيز بن المرزبان البغوي (البلغة - ٢٢٨).

(٢) سنده صحيح مر معنا كثيراً رواه ابن إسحاق (تفسير ابن كثير - ١٢٦/٢): حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٥.

أمّا على أرض المعركة الآن فيقول أنس: (لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمّرتان، أرى خدم سوقهما تتقزان القرب على متونهما، تفرغانه في أفواه القوم، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم)<sup>(١)</sup>.

أمّا عمر بن الخطاب فيحدّثنا عن امرأة عظيمة أخرى هي «أم سلايط»، فيقول: (إنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد)<sup>(٢)</sup>.

شرب النبي ﷺ وشرب العطشى، وانحاز كل جيش إلى معسكره إلا مسلماً مشغولاً بمطاردة فلول المشركين، فيطارده الإعجاب في كل مكان يصل فيه ويجول. لقد كان هذا الفارس المتغلغل في جموع المشركين وأجسادهم ملء السمع والبصر من الصحابة.. كانوا يمدحونه.. يرون أنه أكثر من صارع الكفار وصرعهم، وأنه لا أحد ممن بقي حياً من المسلمين قاتل مثل قتاله، فسمع الرسول ﷺ بأمره، فسأل عن اسمه ونسبه؟ فأخبروه. فلم يعرفه، ووصفوا له وجهه وجسده ولباسه فلم يعرفه، وبينما كان يطارد إحدى ضحاياه مرت ضحيته، ومرّ كالسهم وراءها بين عيني رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ كلمة آلت الصحابة جداً:

## هذا الفارس من أهل النار

الصحابي سهل بن سعد رضي الله عنه كان حاضراً يسمع ويرى، ويروي فيقول: (إنه قال: يا رسول الله -يوم أحد- ما رأينا مثل ما أتى فلان - أتاه رجل - لقد فرّ الناس وما فرّ، وما ترك للمشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بالسيف.

قال ﷺ: ومن هو؟ فتسبب لرسول الله ﷺ نسبه فلم يعرفه، ثم وصف له بصفة فلم يعرفه، حتى طلع الرجل بعينه، فقال: ذا يا رسول الله الذي أخبرناك عنه.

فقال: هذا؟ فقالوا: نعم. فقال ﷺ: إنه من أهل النار.

فاشتد ذلك على المسلمين، قالوا: أيّنا من أهل الجنة إذا كان فلان من أهل النار؟ فقال رجل من القوم: يا قوم، أنظروني فوالذي نفسي بيده لا يموت على مثل الذي

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٨١١).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧١).

أصبح عليه، ولأكونن صاحبه من بينكم. ثم راح على جده في العدو، فجعل الرجل يشدّ معه إذا شدّ، ويرجع معه إذا رجع، فينظر ما يصير إليه أمره، حتى أصابه جرح أذلقه<sup>(١)</sup>، فاستعجل الموت، فوضع قائم سيفه بالأرض، ثم وضع ذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه حتى خرج من ظهره.

وخرج الرجل يعدو ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله. حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: وذلك ماذا؟ فقال: يا رسول الله، الرجل الذي ذكر لك فقلت: من أهل النار، فاشتدّ ذلك على المسلمين وقالوا: أيّنا من أهل الجنّة إذا كان فلان من أهل النار؟ فقلت: يا قوم أنظروني، فوالذي نفسي بيده لا يموت على مثل الذي أصبح عليه، ولأكونن صاحبه من بينكم، فجعلت أشدّ معه إذا شد، وأرجع معه إذا رجع، أنظر إلى ما يصير أمره، حتى أصابه جرح أذلقه، فاستعجل الموت، فوضع قائم سيفه بالأرض، ووضع ذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه حتى خرج من بين ظهره، فهو ذاك يا رسول الله يضطرب بين أضغاثه.

فقال رسول الله ﷺ: إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنّة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وإنه لمن أهل الجنّة<sup>(٢)</sup> كما في قصة عمرو بن أقيش الذي لم يسلم إلاّ وسط المعركة، واستشهد فدخل الجنّة وهو لم يصلّ لله ركعة واحدة.

أمّا هذا البطل المجاهد فهو من أهل النار، ليس لأنه غير مسلم. بل هو مسلم، لكن هناك فرق بين الاستشهاد والانتحار، وهذا البطل المجاهد قد انتحر، فلم يصبر لتقلته جروحه، أو يشفى منها. لم يقتله أحد، بل هو الذي قتل نفسه، ولو أدرك ما للجراح والآلام من منافع لطلب المزيد، فقد قال ﷺ: (ما أحد من الناس يصاب ببلاء في جسده إلا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه فقالوا لبيد كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ما كان في وثاقي)<sup>(٣)</sup> لبيدأ من جديد مطهراً من كل ذنب.

(١) بلغ به الألم أشده.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٢٠٢) وأبو يعلى (زوائد - ٤٢٨/١) واللفظ له وسنده عنده، حسن: حدثنا يعقوب بن أيوب، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن القاص عن أبي حازم، عن سهل بن سعد.. وهذا السند حسن من أجل سعيد...

ملاحظة: ورد في الزوائد أنه: سعيد القاص والصواب: القاضي، قاضي بغداد وليس في ترجمته ما يدل على أنه قاص، وأبو حازم لم يسمع إلا من سهل جامع التحصيل ٢٢٧.

(٣) سنده صحيح رواه أحمد ٢-١٥٩ وغيره من طريق علقمة بن مرثد عن القاسم بن مخيمرة عن عبد الله ابن عمرو. وعلقمة والقاسم ثقات من رجال مسلم.

ويقول ﷺ عن الذين يكثر ابتلاؤهم وامتحانهم في الدنيا: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وأن الله تعالى إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط)<sup>(١)</sup>.

أمّا عن مثل هذا المسلم الشجاع، فقد قال ﷺ: (من قتل نفسه بحديدة، فحديده في يده، يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم)<sup>(٢)</sup>.

مات ذلك الفارس ومضى إلى حيث مضى، ونهض ﷺ إلى مكان عند صخرة ليستريح، وحوله من حوله من الصحابة. لكن النبي ﷺ وقبل أن يستريح أراد الإطلاع إلى ما آلت إليه المعركة، فحاول الصعود على الصخرة فلم يستطع، لأنه كان مرهقاً. ولأنه كان يلبس درعين، فتأمله طلحة رضي الله عنه، وتأمل يده تشخب دمًا، فهانت عليه آلامه ومتاعبه ويده، فنثرها جميعاً تحت قدميه ﷺ.. حقاً لقد:

### أوجب طلحة

يقول الزبير رضي الله عنه: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في أحد «وكان على النبي ﷺ يوم أحد درعان»، فذهب رسول الله ﷺ لينهض على صخرة، فلم يستطع، فبرك طلحة بن عبيد الله تحته، فصعد رسول الله ﷺ على ظهره حتى جلس على الصخرة.

قال الزبير: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: أوجب طلحة)<sup>(٣)</sup>.

أي فعل ما يوجب دخوله الجنة.

نظر ﷺ إلى ما أراد أن ينظر إليه (ثم أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأتى بالمهراس<sup>(٤)</sup>، فأتاه بماء في درفته، فأراد أن يشرب منه، فوجد له ريحاً فعافه، فغسل به الدم الذي في وجهه وهو يقول: اشتد غضب الله على من دمي وجه رسول الله ﷺ)<sup>(٥)</sup>.

(١) سنده قوي رواه الترمذي ٤ - ٦٠١ وغيره عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن سنان عن أنس. وسعد تابعي صدوق ويزيد ثقة من رجال الشيخين.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ١-١٠٣.

(٣) سنده صحيح مرعنا رواه ابن إسحاق ومن طريقه - ابن حبان (زوائد - ٥٤٦) واللفظ له والحاكم ٣-٣٧٤ وأحمد ١-١٦٥: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن الزبير عن أبيه: ويحيى تابعي ثقة.. والزيادة للحاكم.

(٤) إناء صغير مصنوع من الحجارة.

(٥) سنده صحيح رواه ابن إسحاق من الطريق السابق.

لكن الله سبحانه وفي هذه الساعة المريعة يرسل جبريل عليه السلام إلى نبيه مصححاً.. شارحاً صدره، ليتسع لأكثر من هذه المعركة ومآسيها.. ليكون صدراً من تسامح وهداية لكل الأرض، فبعد أن (شج في وجهه، وكسرت ربايعيته، ورمي رمية على كتفه، فجعل يسيل الدم على وجهه، وهو: يمسحه ويقول: كيف تفلح أمة فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

امتثل ﷺ، فمسح قوله ودمه بدعاء كالمطر: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)<sup>(٢)</sup>، وجاءت ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها لتغسل الدم عن وجه أبيها، كما غسلته أيام مكة المضنية.

يقول أحد الصحابة عليهم السلام: (أما والله إنني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ، ومن كان يسكب الماء، وبما دووي.

كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تغسله، وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير وأحرقتها، وألصقتها فاستمسك الدم)<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن استمسك الدم، وهدأت الساحة، أخبر ﷺ باستشهاد حمزة ورفاقه فتكدر، وحزن حزناً شديداً، ثم قال: (من رأى مقتل حمزة؟ فقال رجل أعزل: أنا رأيت مقتله، قال ﷺ: فانطلق أرنا.

فخرج ﷺ<sup>(٤)</sup> في الوقت الذي يتحدث البعض عن مقتل النبي ﷺ لأنهم لم يروه حتى الآن، فهم هناك مهمومون في البحث عنه. يقول أحد الصحابة رضي الله عنه:

(١) حديث صحيح رواه مسلم (١٧٩١) والترمذي (٢٠٠٢) واللفظ له وسنده صحيح.

(٢) سنده حسن رواه ابن حبان ٢-٢٥٤ والضحاك ٤-١٢٣ من طريق محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن الزهري عن أنس. ومحمد حسن الحديث من رجال البخاري، التقريب ٥٠٢ وموسى والزهري إمامان ثقات ثبتان.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٥).

(٤) سنده حسن رواه ابن أبي شيبه ٧-٢٧٢: حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز، حدثنا الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه - وهذا السند رجاله ثقات إلا أن في عبد الرحمن بن عبد العزيز كلاماً لا ينزل به عن رتبة الحسن، فهو ثقة كما قال يعقوب بن شيبه، وهو كثير الحديث عالم بالسيرة كما قال ابن سعد ووثقه ابن حبان وهو من رجال مسلم. أما جرحه فهو غير مفسر. قال الأزدي: ليس بالقوي عندهم.. وقال ابن أبي حاتم شيخ مضطرب الحديث (التهذيب ٦/٢٢٠) وقال الحافظ ملخصاً أقوال العلماء في التقريب (١/٤٨٩) صدوق يخطئ. وليس هناك من لا يخطئ.

(فما زلنا كذلك ما نشك أنه قتل، حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين، نعرفه بتكفئه إذا مشى، ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا .

فرقي نحونا وهو يقول: اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله ﷺ .  
ويقول مرة أخرى: اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا . حتى انتهى إلينا فمكث ساعة، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: أعل هبل، أعل هبل -يعني آلته- (١).

أطلق أبو سفيان هذه الكلمات المنحطة منتشياً بنصر غير مؤكد، فقد هزم هو وجيشه في أول المعركة، وكاد الزبير أن يسبي زوجته هند ورفيقاتها، وجُندل من جيشه سبعون، وما زال المسلمون يحتفظون بسبعين آخرين في الأسر. أما المسلمون، فقد استشهد منهم سبعون، ولم يؤسر منهم أحد .

لو كان نصر أبي سفيان وجيش الشرك من خلفه حقيقياً لخلصوا رفاقهم من الأسر، وطاردوا المؤمنين إلى المدينة، وهي قريبة من أحد، لكن المشركين لم يصدقوا أنهم قتلوا حمزة.. لم يصدقوا أنهم نجوا مما حدث أول النهار، وكان أعلى ما حصلوا عليه هو إطلاق إشاعة موت الرسول ﷺ.. هم أطلقوها، وهم صدقوها .

أما المسلمون، فيعتبرونها خسارة إذا ما قارنوها بيدر، أو قارنوا أول النهار بآخره، لكن المعركة في الميزان العسكري نصر للمؤمنين، وهم الأعلون الآن فوق الجبل، وأبو سفيان في أسفل الجبل يزعج الجبال والفضاء ويقول: أعل هبل .

ولما لم يجد إجابة لهذا الاستفزاز.. ألحق به استفزازاً آخر فقال: (أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟) (٢).

فلم يجبه أحد، فأصبح أكثر تعقلاً وتادباً، فقال: (أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟)

(١) حديث صحيح عند أحمد وقد مر تخريجه من طريق سليمان ابن داود أخبرنا بن أبي الزناد .

(٢) حديث صحيح وهو حديث ابن عباس السابق عند أحمد .

فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟

ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ أفي القوم ابن الخطاب؟

ثم رجع إلى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قتلوا . فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك<sup>(١)</sup> (هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وها أنا ذا عمر. فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول، وإن الحرب سجال. فقال عمر: لا سواء، قتلنا في الجنة، وقتلناكم في النار. قال: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذا وخسرنا. ثم قال أبو سفيان: أما إنكم ستجدون في قتلاكم مثلاً<sup>(٢)</sup>)، ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا، ثم أدركته حمية الجاهلية، فقال: أما إنه قد كان ذلك فلم نكره) (ستجدون في القوم مثلة<sup>(٣)</sup>) لم أمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز: أعل هبل.. أعل هبل،

قال النبي ﷺ: ألا تجيبوه؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟

قال: قولوا: الله أعلى وأجل

قال أبو سفيان: إن لنا العزى ولا عزى لكم.

فقال النبي ﷺ: ألا تجيبوه؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟

قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم<sup>(٤)</sup>.

عندها خسئت أفاضل الشرك، وتهاوى تمجيد الخرافة والأصنام أمام هذا التوحيد النقي، الذي لا تشوبه شائبة، لكن أحد المشركين أراد التطاول على هذا الإخلاص المتوهج في صدر محمد وصحبه عليهم الصلاة والسلام.. أراد أن يحمل أصنامه إلى رحاب الله، فكيف كانت العاقبة؟

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٤١) دون تكرار إنما قال الراوي: ثلاث مرات.

(٢) أي ستجدون تشويهاً بجث أصحابكم وتقطيعاً.

(٣) أي ستجدون تشويهاً بجث أصحابكم وتقطيعاً.

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٤١).

يقول بريدة رضي الله عنه: (إن رجلاً قال يوم أحد: اللهم إن كان محمد على الحق فاحسب به. فحسب به)<sup>(١)</sup>.

رأى المشركون المعجزة بأعينهم، فالتهمت بقية معنوياتهم كما التهمت الأرض ذلك المتناول، فوَلَّوْا مدبرين إلى مكة على عجل خشية أن يهَبَّ المؤمنون مرة أخرى، فيخطفوا بقايا الفرح التي التقطوها من أرض أحد. وقد يتساءل بعض المشركين وهو في طريق عودته: إذا كان الله قد أعطى محمداً المعجزات كقتل أبي بن خلف، والחסف بهذا الرجل، فلم لم ينصره علينا، وعلى الدنيا نصراً مؤزراً حتى الآن؟!..

وقد غاب عن ذهن هذا المتسائل المسطح أن الإسلام لا ينتشر بالمعجزات، ولا بالخوارق، لأنها تأتي مع الأنبياء وتغادر معهم، أمّا الإسلام فقد جاء للبشر، وبجهدهم -بعد الله- ينتشر وينداح وينتصر، وبانحطاطهم وتخلفهم وسطحية فهمهم يتحوّل الإسلام إلى ضحية.. إلى خزانة ضخمة مليئة بالثمن.. يلقي فيها الناس عيوبهم.

ها هم أفضل الناس.. أصحاب محمد ﷺ، عندما عصوه -مجتهدين- انقلبت المعركة على رؤوسهم، ورؤوس أصحابهم الملتزمين بأوامره، ولم تسعفهم المعجزات ولا الدعوات (إن الله تعالى يجب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)<sup>(٢)</sup>.

أمّا رسول الله ﷺ، فقد هبَّ لإنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد إدبار المشركين، فبدأ بالدعاء لجبر ما انكسر من الداخل.. دعاء الواثق. لا دعاء ذلك الغارق بين طبقات الأرض، وذلك: (لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: استوتوا حتى أثني على ربي، فصاروا خلفه صفوفاً).

فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قرّبت، اللهم أبسط علينا من بركاتك، ورحمتك،

(١) سنده حسن رواه البزار (زوائد - ٣٢٩/٢) حدثنا عبدة بن عبد الله أنبأنا زيد بن الحباب، أنبأنا الحسين ابن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال الهيثمي رحمه الله: رجاله رجال الصحيح.. وهو كما قال إلا أن زياداً من رجال مسلم فقط وحديثه حسن إذا لم يخالف - التقريب (٢٧٣/١) وشيخ البزار من رجال البخاري فقط وهو الصغار - ثقة: التقريب (٥٢٠/١) والحسين بن واقد ثقة من رجال مسلم (السابق - ١٨٠/١) وعبد الله تابعي ثقة من رجال الشيخين.

(٢) حديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير.

وفضلك، ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، «اللهم إني أسألك النعيم المقيم يوم القيامة»، اللهم إني أسألك النعيم يوم الغلبة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت منا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، اللهم اجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل «كفرة أهل الكتاب» إله الحق<sup>(١)</sup>.

هدأت الأنفس مع الله، واطمأنت الأرواح بهذا الدعاء، فالأمر لله من قبل ومن بعد، ولا راد لقضائه.. لله خرجوا، وله قاتلوا، والحمد لله على كل حال.

تهادى ﷺ وأصحابه خلف ذلك الرجل الأعزل، الذي مشى أمامهم ليدلهم على مقتل حمزة.. مشى الرجل (حتى وقف على حمزة، فرآه قد بقر بطنه، وقد مُتَّ به، فقال: يا رسول الله، مُتَّ به والله. فكره رسول الله ﷺ أن ينظر إليه)<sup>(٢)</sup> (وقد جدد ومُتَّ به، فقال: لولا أن تجد صافية في نفسها تركته حتى تأكله العافية، فيحشر من بطونها)<sup>(٣)</sup> أي من بطون الوحوش.

وصفية هذه التي خاف عليها ﷺ هي عمته.. صافية بنت عبد المطلب، وهي شقيقة حمزة، وأم الزبير بن العوام، وهي المقصودة بقوله ﷺ: (لولا جزع النساء لتركته حتى يحشر من حواصل الطير ويطون السباع)<sup>(٤)</sup> (ثم دعا بنمرة، فكانت إذا مدت على رأسه بدت رجلاه، وإذا مدت على رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله ﷺ: مدوها على رأسه واجعلوا على رجليه الحرمل)<sup>(٥)</sup> وهو نبات صحراوي يستعمل في الطب.. استعمله ﷺ لتكفين الراقد الذي كان قبل ساعات يزرع الرعب في قلوب المجرمين قبل، وينثر الاطمئنان

(١) سنده قوي رواه البزار زوائد ٢-١٢٠ والحاكم ١-٦٨٦ والبخاري في الأدب ٦٩٩ وغيرهم من طريق عبد

الواحد بن أيمن المكي. حدثنى عبيد بن رفاع بن رافع عن أبيه. عبيد تابعي ثقة ولد على عهده عليه السلام وثقه العجلي، وعبد الواحد تابعي صغير من رجال مسلم قال في التقريب: لا بأس به، وقد روي عنه هذا الحديث ثقتان هما خالد بن يحيى وهو من كبار شيوخ البخاري ومروان بن معاوية وهو ثقة حافظ.

(٢) سنده جيد رواه ابن أبي شيبه (٣٧٢/٧) لكن يشهد لأوله ما بعده.

(٣) سنده حسن رواه الحاكم ١-٥١٩ وأبو داود (٢١٣٦) وغيرهم من طرق عن أسامة بن زيد الليثي عن الزهري عن أنس. أسامة حسن الحديث من رجال مسلم التقريب ٩٨.

(٤) سنده ضعيف لكنه حسن بما قبله.. رواه ابن أبي شيبه ٧-٢٧٢ والبيهقي سنن ٤-١٢ وغيرهم طريق يزيد ابن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس. ويزيد ضعيف.

(٥) سنده حسن وهو حديث أسامة بن زيد عن الزهري عن أنس. السابق وحسنه الألباني.

على صدور المؤمنين.. هذا الراقد الذي قال عنه ﷺ: (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب)<sup>(١)</sup> ثم توجه ﷺ إلى راقد آخر.. راقد وقف عند قبره طويلاً، وتأمّله طويلاً.. مسافر جمع المجد من أطرافه.. جمع العلم والفروسية.. على يديه تعلمت المدينة كتاب الله، وأصفت إليه طرياً من فمه الطاهر.. إنه شاب ترك مال أمه وأبيه.. ترك الجاه والثراء، لا لأنه حرام، ولكنه كان مرهوناً بالشرك، فرفض الشرك ورفض كل شيء يقدمه الشرك وأهله ثمناً للتخلي عن الحق.. التحق بالنبى ﷺ وتعلّم منه، وتعلم القرآن وكتبه، ثم أرسله ﷺ وحيداً إلى المدينة شمساً يشع ويشرق في دورها وقلوب أهلها، ويفوح عبيره في أبياتها، وها هي قصة حياته وشقائه ومعاناته تمرّ في مخيلة النبي ﷺ وأصحابه.. ها هو مصعب راقد بسلام، والحزن من حوله أثقل من جبل أحد.. ها هو أحد الذين كانوا يعانون الأمرين مثل مصعب.. خباب بن الأرت رضي الله عنه يقول عن رفيق دربه مصعب: (هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، فمننا من مضى لم يأكل من أجره شيئاً، منهم: مصعب بن عمير قتل يوم أحد، فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمره، كانوا إذا وضعوها على رأسه خرجت رجلاه، وإذا وضعوها على رجليه خرج رأسه، قال رسول الله ﷺ: اجعلوها مما يلي رأسه، واجعلوا على رجليه من الإذخر)<sup>(٢)</sup> وهو نبات طيب الرائحة، لكن مصعباً أطيّب منه.

ويقول أبو ذر رضي الله عنه: (لما فرغ رسول الله ﷺ يوم أحد مرّ على مصعب مقتولاً على طريقه فقراً: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾)<sup>(٣)</sup> ﴿فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

هذه الآية التي نزلت قبل قليل، فتلاها ﷺ وهو يمر بجسد مصعب الطاهر، وكان

(١) انظر صحيح الجامع للشيخ ناصر.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٧٦) وابن أبي شيبة (٣٦٧/٧) واللفظ له.

(٣) إسناده حسن رواه الحاكم (٢٠٠/٣) حدثني محمد بن صالح بن هانئ، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى الشهيد، حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة، عن قطن بن وهب، عن عبيد بن عمير عن أبي ذر.. وعبيد: وعمير ولد على عهد النبي، وذكر البخاري أنه رأى النبي عليه السلام وقد أجمع على توثيقه، التهذيب ٧-٧١ وجامع التحصيل ٢٨٥ وتلميذه صدوق أظن الحافظ قد أخطأ بجعله من السادسة، والأولى أن يكون من الخامسة أو الرابعة لأن ابن عمر توفي قبل عبيد.. وعبد الأعلى ثقة فقيه، التقريب ٣٣١ وحاتم حسن الحديث قال الحافظ: صحيح الكتاب صدوق بهم وهو من رجال الشيخين، والحجبي ثقة من رجال البخاري ويحيى هو الذهلي الثقة الحافظ، وتلميذه ثقة حافظ قال ابن الجوزي: كان له فهم وحفظ وكان من الثقات لا يأكل إلا من كسب يده. وقال عنه ابن يعقوب: صحبت محمد بن صالح ما رأيته أتى شيئاً لا يرضاه الله ولا سمعت منه شيئاً يسأل عنه (المنتظم - ٢٧٠/٦) وقد رواه البيهقي ٢-٢٨٤ من طريق الحاكم ٢-٢٤ بسند صحيح.

(٤) أكملت الآية للفائدة.

في نزولها تكريم لهؤلاء الرجال الذين صدقوا مع الله في عهودهم، فمنهم من قضى نحبه، ووفى بعهده كمصعب وحمزة، وهناك من قضى نحبه وهو لا يزال حياً مثل طلحة ابن عبيد الله، الذي شلت يده، وارتقى ﷺ على ظهره ثم قال له: أوجب طلحة وأنجز عملاً أوجب له الجنة.

وهناك من ليس بين الأحياء ولا يتبين بين الأموات.. إنه أنس بن النضر عم أنس ابن مالك الذي يقول: (نرى هذه الآيات نزلت في أنس بن النضر: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>).

لكن أين ابن النضر..؟

لا أحد يدري. كما أن المشركين لم يأخذوا معهم أسرى، وإلا لقلنا إنه معهم. سنترك بعض الصحابة ليبحثوا عن أنس، بينما نتعقب هذه المرأة لنرى ما تفعل على أرض أحد.. إنها فاطمة بنت عمرو بن حرام أخت عبد الله بن عمرو بن حرام، وزوجة عمرو بن الجموح، وعمّة جابر بن عبد الله، وهي تحمل حزناً كالجبال، فقد فقدت أخاها وزوجها، فأذهلها الوجد عمّا يجري حولها، فاتّجّعت إلى زوجها فحملته على بغير، واتّجّعت إلى أخيها فحملته أيضاً، وعادلتها على ذلك البعير، ثم أمسكت بخطام البعير والهموم ومضت ثقيلة نحو المدينة.. مهمومة، لكنها متماسكة بالإيمان بقضاء الله وقدره.

لقد مضى عبد الله، ومضى عمرو، وربما استشهد أبناؤها الأربعة أو بعضهم، فأى حزن تحمله هذه المرأة المسكينة..؟ وماذا ستقول لجابر وأخواته..؟

تابعت هذه المسكينة سيرها وحزنها وصبرها نحو المدينة، بينما كان جابر لا يزال مرابطاً مع النظارين على مشارف المدينة، فإذا به يشاهدها ويشاهد فجيعتها على ظهر البعير. فيقول رضي الله عنه: (فبينما أنا في النظارين، إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتها على ناضح، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا، إذ لحق رجل ينادي: ألا إن النبي ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت، فرجعنا

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٧٨٣).

بهما<sup>(١)</sup> إلى أحد حيث كان ﷺ يشرف على تكفين الشهداء استعداداً لدفنهم.

عاد من حَمَل قتيله بقتيله من المدينة، وأعيد الشهداء إلى ساح الوغى، ووصل جابر وعمته، وربما بعض أخواته المسكينات، وترجّل الفارسان عن البعير، فانهمرت دموع جابر على وجه والده الحنون، وتعالى نسيجه وحرقته عليه، فرآه الصحابة، فنهوه عن ذلك فلم يبال حزنه بقولهم، ولم تتوقف دموعه لرجاءاتهم.

كان ذلك يحدث والنبي ﷺ شاخص إلى هذا الكرب.. كان عليه السلام متأماً ومبشراً بشيء أفرح جابر الحزين وخفف من وجعه.

يقول رضي الله عنه: (لما قتل أبي يوم أُحُد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ يهونوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي فاطمة تبكيه، فقال النبي ﷺ: تبكيه، أو لا تبكيه، مازالت الملائكة تظللّه بأجنحتها حتى رفعتموه)<sup>(٢)</sup>.

هذه هي البشرية الأولى، أما الثانية فهي في طريقها من السماء إلى هذا الراقد بسلام.. حيث كانت البشائر كالطرر على أجساد وأرواح الشهداء. ها هو النبي ﷺ يشاهد إحداهما.. تحلق فوق جثمان حنظلة بن أبي عامر، الذي انسلّ من فراش حبيبته ليسلّ سيفه وروحه دون رسول الله ﷺ، حتى فقدهما على أرض أُحُد.. إنه منظر مهيب.. الملائكة تقوم بتغسيله، فيتساءل النبي ﷺ عن سرّ هذه الكرامة. سمع الزبير ذلك التساؤل فقال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر، بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث «فلما استعلى حنظلة رآه شداد بن شعوب، فعلاه بالسيف حتى قتله، وقد كاد يقتل أبا سفيان».

فقال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم تغسله الملائكة، «فأسألوها صاحبته». فسألوها

(١) سننده صحيح رواه أحمد ٢-٣٩٧ ورواه غيره مختصراً من طرق عن: الأسود بن قيس عن نبيح الغنزي عن جابر. الأسود تابعي ثقة من رجال الشيخين، وشيخه ثقة وقد أخطأ الحافظ رحمه الله في التقريب بقوله: (مقبول) فهو ثقة وإن لم يعرفه ابن المديني رحمه الله فقد عرفه أبو زرعة والعجلي فقالا: ثقة. وصحح حديثه ابن خزيمة، والترمذي، وابن حبان، والحاكم الجرح والتعديل ٨-٥٠٨ والتهذيب ١٠-٤١٧. (٢) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٤٤).

صاحبتة فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب، فقال رسول الله ﷺ: لذلك غسلته الملائكة<sup>(١)</sup>، ومنذ ذلك اليوم صاروا يسمونه «غسيل الملائكة».

عُرف الشهداء كلهم إلا واحداً.. الجميع يبحث عنه، والجميع يتحدث عن بسالته، فأين هو..؟ أين أنس بن النضر..؟ أين عمك يا أنس بن مالك..؟ إنه ليس بين الأحياء، ولم يتعرف إليه أحد بين الشهداء، وتأتي إجابة أنس ممزوجة بالحزن والإعجاب.. بالوفاء والبطولة النادرة.

لم يتعرف أحد على جثته حتى قدمت أخته (الربيع بنت النضر) كالكولة من المدينة.. قدمت لهفة عليه.. طاف بها الحزن بين أجساد الشهداء العطرة، وبين قتلى المشركين، فلم ترَ وجه أخيها أنس، وبينما هي تطوف توقفت طويلاً أمام جسد أثار انتباهها، ثم جلست وأخذت إحدى يديه تقلبها ثم بكت.. هذه أنامل أخيها وحببيها ورفيق طفولتها أنس.

يتحدث أنس بن مالك عن عمه فيقول: (قاتلهم حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة، وطعنة، ورمية، فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفتُ أخي إلا ببنايه، ونزلت هذه الآية: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾، فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا مضى أنس بن النضر بعد أن برّ بيمينه، وتلقّى السيوف والرماح والسهم بكل جسده، حتى تزيّن كله بها.. كان جسد أنس لوحة رائعة.. أرضاً ثانية للمعركة حتى أن وجهه لم يعرف من الجروح والشقوق، وتشويه المشركين له، فنزلت هذه الآيات العظيمة فيه وفي رفاقه، فقرأها ﷺ وبشّرهم وبشّر من بعدهم.

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه السراج (الإصابة - ١٣-٢٩٩) ومن طريقهما الحاكم ٢-٢٠٤: حدّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده.. وهذا السند مر معنا كثيراً وهو صحيح.. فيحيى ووالده تابعيان ثقتان.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٢٨٠٥) ومسلم (١٩٠٢) واللفظ له.

## النبي يبشر الشهداء

فرسول الله ﷺ (مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه، ودعا له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا﴾ .

ثم قال رسول الله ﷺ: أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم وزورهم، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه<sup>(١)</sup>.

وقف ﷺ أمام هؤلاء الأبرار وبشّرهم.. هؤلاء العظماء الذين سافروا إلى جناتهم التي لا تعرف مللاً ولا شقاءً ولا رتابة.. جناتهم التي علت كل طموح وفاقت كل تصوّر، سافروا إلى مدنهم ومنتجعاتهم وأنهارهم وقصورهم ومراكبهم الفارهة، أمّا رسول الله ﷺ فمشغول بهم.. حزين عليهم، وسيبدأ بعد قليل بدفنهم، لكنه يشاهد امرأة مذهولة تركض كالفجيعة نحو الشهداء.. يحملها الحزن والوجد، وتحمل في يديها شيئاً. أشفق ﷺ عليها، وخاف على عقلها ومشاعرها، فأمر الصحابة أن يحولوا بينها وبين فضائع التشويه التي فعلها الوثنيون الهمج بأجساد الشهداء.

يقول الزبير رضي الله عنه: (إنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى، حتى كادت أن تشرف على القتلى، فكره النبي ﷺ أن تراهم، فقال: المرأة.. المرأة).

قال الزبير: فتوسمت أنها صافية، فخرجت أسعى إليها، فأدرقتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، فلدمت في صدري -وكانت امرأة جلدة- قالت: إليك عني لا أرض لك. فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك.

فوقفت، وأخرجت ثوبين معها فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فقد بلغني مقتله، فكفنوه فيهما.

(١) سنده صحيح رواه الحاكم (٢٤/٣) ومن طريقه البيهقي (٢٨٤/٣): أخبرنا أبو الحسين: عبيد الله بن محمد القطيعي ببغداد من أصل كتابه، حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى، حدثنا سليمان بن بلال، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة، عن قطن بن وهب، عن عبيد بن عمير، عن أبي هريرة. عبيد مجمع على ثقته، ولد على عهد النبي، وتلميذه صدوق التقريب ٤٥٦ وعبد الأعلى: ثقة فقيه (السابق - ٤٦٤) وسليمان التيمي ثقة من رجال الشيخين (السابق ٣٢١ والأويسى ثقة أيضاً السابق ٣٥٧ وتلميذه ثقة حافظ التهذيب ٩-٦٢).

قال الزبير: فجننا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة، فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتل، فعل به كما فعل بحمزة، فوجدنا غضاضة وخنى أن يكفن حمزة في ثوبين، والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب، وللأنصاري ثوب، فقدرناهما، فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له<sup>(١)</sup>.

وحصل حمزة على كفن بعد أن كان ثوبه هو كفنه، واقتسم المهاجرون والأنصار الأشجان والأكفان، وفي مكان غير بعيد يتلأأ أمير الاقتسام والكرام (سعد بن الربيع) مضرراً بدمائه.. ينظر إليه عبد الرحمن بن عوف مودعاً أخاً لم تلده أمه، ومحتفظاً بجميله.. محتفظاً بجماله الأنصاري في ذلك اليوم الذي قدم فيه عبد الرحمن بن عوف من مكة معدماً لا يملك شيئاً.. في ذلك اليوم أشرق سعد بن الربيع بدماء ليل ابن عوف وأحزانه، حين قدم المهاجرون من مكة (ولما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع فقال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها)<sup>(٢)</sup>.

ها هو الكريم راقد رقدة الموت وقد ترك خلفه زوجة واحدة وابنتين<sup>(٣)</sup> يبكيه بحرقة، وها هو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أمام جسد والده الطاهر بيكي، وفي مكان آخر يذرف هشام بن عامر بن أمية الأنصاري.. يذرف دموعاً على والده الحبيب.

كانت الساحة تغص بالأحزان والدموع.. كثر البكاء، (وكثر القتلى، وقلت الثياب)<sup>(٤)</sup>.

يقول هشام بن عامر رضي الله عنه: (شكي إلى رسول الله ﷺ شدة الجراح يوم أحد، فقال ﷺ: احضروا، وأوسعوا، وأحسنوا، وادفنوا في القبر الاثني والثلاثة، وقدموا

(١) سنده قوي رواه أحمد ١-١٦٥ والبزار ٣-١٩٥ والحارث زوائد ٢-٧٠١ وأبو يعلى ٢-٤٥ من طريق سليمان بن داود الهاشمي أخبرني ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن عروة أخبرني أبي (الزبير) علته هو عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو صدوق لكنه تغير عند قدومه بغداد وكون سليمان بغدادى يعكس صفوه (لكن الناقد علي بن المديني يقول: ما روى سليمان الهاشمي عنه في حسان، نظرت فيها فإذا هي مقاربة وجعل علي يستحسنها علل الترمذي ٢-٦٠٦. كما أنه لم ينفرد فقد تابعه في سنن ٣-٤٠١ يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وهو ثقة متقن والراوي عنه ثقة إلا إذا روى عن علي بن مسهر، وهذه ليست منها وقد وثقه أبو حاتم وابن قانع ومدحه ابن معين التهذيب ١-١٦٩.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٧٨٠).

(٣) سيمر معنا الدليل لاحقاً.

(٤) سنده حسن وقد مر معنا وهو حديث أنس السابق وقد حسنه الشيخ ناصر حفظه الله.

أكثرهم قرآناً، فقدموا أبي بين يدي رجلين<sup>(١)</sup> (وكان يكفن الرجل أو يكفن الرجلين والثلاثة في الثوب الواحد، وكان رسول الله ﷺ يسأل عن أكثرهم قرآناً، فيقدمه إلى القبلة، فدفنهم رسول الله ﷺ)<sup>(٢)</sup> دون أن يغسلهم.. دفنهم بجراحهم الطاهرة، ودمائهم العبقرة (أمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا)<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: (أنا شهيد على هؤلاء، لّفوهم في دمائهم فإنه ليس جريح يجرح في الله إلاّ جاء وجرحه يوم القيامة يدمي، لونه لون الدم، وريحه ريح المسك)<sup>(٤)</sup>.

هذا ما جرى حول الدفن والكفن، لكن ماذا عن:

### الصلاة على الشهداء

هل صلى النبي ﷺ على شهداء أحد، أم أنه لم يفعل كما حدث لشهداء بدر رضي الله عنهم جميعاً؟

يحدثنا عن ذلك أحد الذين لم يحضروا المعركة، لكنه حضر إلى أرضها بعد انتهائها، وشاهد عمليات التكفين والدفن.. يحدثنا ذلك الشاب الذي كانت دموعه تتساقط كالطرر على وجه أبيه - الشهيد، إنه جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما، وهو يقول: (لما قتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ يهنوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمّتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظللها حتى رفعتموه)<sup>(٥)</sup>، ثم (إن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحد قدمه في اللحد، وقال ﷺ: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة.

(١) سنده صحيح رواه أحمد ٤-١٩ وأصحاب السنن وغيرهم من طرق عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر. حميد تابعي ثقة سمع الحديث من التابعي الثقة: سعد بن هشام ومن أبي الدهماء وهو ثقة أيضاً واللفظ لابن شيبه ٣-٣٧٢ وانظر الجناز للإمام الألباني ١٤٢.

(٢) هو الحديث قبل السابق.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (١٣٤٣).

(٤) حديث حسن مر معنا من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك وله شواهد قوية.

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٤٤).

وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصلّ عليهم ولم يغسلهم<sup>(١)</sup>.

هكذا أمر الله سبحانه وهكذا فعل ﷺ وامتثل، فسينهض هؤلاء الفرسان يوماً من مراقدهم مزينين بالشهادة والطعنات، ولون الدم ورائحة العطر تفوح من جراحهم، وتعطر المكان من حولهم. كان الجو مشحوناً بالحزن، فليس هناك أقسى، ولا أكثر دموعاً وانتعاباً من لحظات الدفن، ومغادرة القبر بعد وضع الأحباب تحت التراب.. لحظات كان فيها جابر حزناً ودموعاً، لكن الله أنزل ما يخفف حزنه.

التفت ﷺ إلى جابر المجروح وقال له: (يا جابر، ما لي أراك منكسراً؟ قال: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عيالاً وديناً.

قال ﷺ: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: [ما كلم الله أحداً قطّ إلا من رواء حجاب، وكلم أباك كفاحاً]، «يا جابر أما علمت أن الله أحيا أباك» فقال: يا عبدي، تمنّ علي أعطك. قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية.

فقال الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون [قال: يا رب، فأبلغ من ورائي، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ

(١) حديث صحيح رواه البخاري (١٣٤٧). ملاحظة:

ورد أنه ﷺ صلى على حمزة وحده، وورد أنه صلى على حمزة وعلى بقية الشهداء كمجموعات معه رضي الله عنهم، والذي جعلني لا أذكر هذا في المتن هو إشكال في أسانيد ومتون تلك الروايات وهذا الإشكال يتلخص في النقاط التالية:

- ١- حديث ابن إسحاق عن ابن الزبير وهو جيد الإسناد وابن إسحاق قوي الحديث إذا لم يخالف من هو أوثق منه وقد خالف هنا وابن الزبير كان عمره عامان.
- ٢- حديث أنس بن مالك اضطرب فيه أسامة الليثي - وهو صدوق يهم - فمرة قال: لم يصل عليهم، ومرة قال: لم يصل على أحد من الشهداء غير حمزة.. والصواب القول الأول ثم وجدت ما يؤيد قلبي هذا: وهو نقد للإمام البخاري رحمه الله حيث قال إن القول الثاني غير محفوظ، غلط فيه أسامة فالحمد لله.
- ٣- حديث ابن عباس جيد السند لكنه مخالف لحديث أنس ولحديث جابر أيضاً لأنه ذكر أنه صلى على جميع الشهداء.
- ٤- إن مما يرجح حديث جابر هو حضوره ومشاهدته للأحداث في الوقت الذي كان فيه ابن الزبير يبلغ الثانية من عمره.. بينما كان ابن عباس في الثانية أيضاً ومع والده في مكة. ولتفصيل أكثر راجع صحيح موسوعة السيرة.

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴿١﴾ ﴿١﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴿١﴾ ﴿١﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴿١﴾ ﴿١﴾.

فرح جابر بهذه البشرى، فرح بحفاوة الرب الكريم بأبيه، فخفت البشرى كثيراً من أحزانه، لكن:

## ما سر حفاوة الله بوالد جابر؟

ما سرّ هذا الشيخ المحلّق في النعيم.. إنه لم يقاتل كما قاتل حمزة، ولم تمزقه الطعنات كما مزقت أنس بن النضر.. لقد شرب الخمر، ثم انصرف إلى المعركة، فكان أول من سقط من الشهداء، ومع ذلك يلقي كل هذا الفيض الغامر من النعيم..! ليس هكذا يُنظر إلى والد جابر رضي الله عنه.. دعونا نتأمل عالم هذا الشيخ من كل زواياه.. دعونا نجعل أنفسنا مكانه.

إن هذا الشيخ الكبير لم يحارب عن اثنين كما فعل سعد في بدر، ولم يحارب بسيفين كحمزة، لكنه كان يحارب في معركتين شرسيتين.. أحدهما على أرض أحد، أمّا الثانية فكانت ساحتها داخل أعماقه وبين حناياه، وهي معركة أشد ضراوة وقسوة.. إنها معركة مع الذات.. مع الدنيا، ومع عواطف الأبوة الجياشة التي تتغلغل في أعماقها تسع بنات مسكينات، والدنيا.. كل الدنيا تعلم أن الشيخ أكثر حناناً وعطفاً على بنيه منه وهو شاب، والدنيا.. كل الدنيا تعرف للبنات رحمة لا تعادل في قلوب الآباء، فكيف إذا كنّ تسع بنات يترصّد لهن اليتيم والفقير؟! إن عبد الله بن عمرو بن حرام ينتزع

(١) حسنه الإمام الألباني في ابن ماجه ١٩٠ ويبدو لي أن الحديث ليس حسناً كله، لذلك وضعت المعقوفين حول الألفاظ التي لم أجد لها شاهداً، فقد تفرد بها حسب علمي موسى بن إبراهيم ابن كثير وهو وإن روى عنه جمع من الثقات إلا أنه لم يوثق، بل جرّحه ابن حبان في ثقافته وقال: كان ممن يخطئ ٧-٤٤٩ ولعل هذه الزيادة من أوهامه، قال الحافظ: صدوق يخطئ وسكت عنه ابن أبي حاتم ٨-١٢٣. ولبقية الحديث شاهد حسن عند أحمد ٣-٣٦٠ عن جابر والزيادة له. حدثني ابن المديني عن سفيان بن عيينة عن محمد بن علي بن ربيعة عن ابن عقيل عن جابر، ومحمد بن علي ثقة (ذيل الكاشف - ٢٥٤) وابن عقيل حسن الحديث.

(٢) سورة آل عمران: الآيات ١٦٩ - ١٧١.

نفسه من بين بناته .. من بين أبوته وأحزانه، ليتَّجَّه بها نحو الجنَّة .. نحو الله .. فحب  
الله متشعب في كل خلاياه ومشاعره، وهو بحاجة إلى الله أكثر من حاجة بناته إليه ..  
هكذا نتأمل هذا الشيخ، وبهذه الطريقة نتحسَّس بعض سرِّه وسرِّ حفاوة الله به .

والد جابر ورفاقه الآن أحياء عند ربِّهم يرزقون، فقد قال خالقهم سبحانه وتعالى:  
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن معنى هذه الآية .. عن تلك الحياة الفسيحة  
التي ينعم بها الشهداء، وعن ذلك الكرم الإلهي المدهش، فقال عبد الله بن مسعود  
رضي الله عنه سأئنا عن ذلك فقال ﷺ: (أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل  
معلّقة بالعرش، تسرح من الجنَّة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم  
ربهم أطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنَّة  
حيث شئنا؟

ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب،  
نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس  
لهم حاجة تركوا)<sup>(٢)</sup>، وقال أحد الصحابة رضي الله عنهم: (قال رسول الله ﷺ: لما  
أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنَّة،  
وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش. فلما وجدوا طيب  
مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم، قالوا: ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا، لئلا  
يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب.

فقال الله عزَّ وجلَّ: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هؤلاء الآيات: ﴿ وَلَا  
تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ وما بعدها)<sup>(٣)</sup> ..

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩ .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ١٥٠٢-٣ باب: بيان أرواح الشهداء في الجنَّة .

(٣) سنده صحيح بما قبله: رواه ابن إسحاق ومن طريقه أحمد ١-٢٦٥ و٢٦٦ وغيره: حدثنا إسماعيل بن أبي  
أمية عن أبي الزبير عن ابن عباس لولا عنقنة أبي الزبير، وقد دلس اسم شيخه الذي صرح به في رواية  
ابن إسحاق عند أبي داود ٢٥٢٠ والحاكم ٢-٨٨ وهو الإمام المجاهد سعيد ابن جبير. وللحديث شاهد  
سنده حسن عند ابن جرير ٣-٥١٣ .

زخّات من النعيم أمطرتها تلك الكلمات على قلوب أصحاب النبي ﷺ، فحضرت فيها الأخاديد والشقوق.. حسرة على ما فاتهم في هذا اليوم من لذة الحديث إلى أحبّ حبيب.. لذة الاستماع إلى الله.

إن الإنسان ليعرف من حال العاشق حالةً من الذهول عن كل ما يحيط به عند لقاء المحبوب، فليت شعري من يصف مشاعر من يتحدث إلى أحب حبيب وأعظم محبوب..؟

تمنى فرسان أحد الأحياء وهم يفادرون تلك المقابر الطيبة.. تمنوا لو كانوا فيها بين أولئك المسافرين في النعيم، وتمنى ﷺ لو كان مجندلاً على أرض أحد لينعم بلقاء اليوم.. تحدث ﷺ بذلك وبأح به لأصحابه، فازداد شوقهم وحينهم إلى الله وإلى الجنة بكلمات هذا الحبيب الذي يبوح بمشاعره ويقول: (أما والله لوددت أني غودرت مع أصحابي بحضن الجبل، يعني سفح الجبل)<sup>(١)</sup>، ويقول جابر رضي الله عنه أنه قصد: لييتني (قتلت معهم)<sup>(٢)</sup>.

تلك هي مشاعر النبي ﷺ ومشاعر من حوله من المؤمنين، لكن ماذا عن مشاعر جيش المشركين الذي يرجع الآن إلى مكة..؟ إنهم الآن في أرض تسمى: (الروحاء) وأبو سفيان يتحدث إليهم.

### أبو سفيان وجيشه نادمون

ليس على قتالهم للمؤمنين، بل على أشياء فاتتهم في المعركة.. أشياء عجزوا عن تحقيقها ف (لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد وبلغوا الروحاء، قالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردقتم، شرّ ما صنعتم)<sup>(٣)</sup>. ماذا تعني هذه الكلمات وهي

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه: أحمد ٢-٢٧٥ وغيره حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه. عاصم ثقة وعبد الرحمن تابعي ثقة.

(٢) هو الحديث السابق.

(٣) سنده صحيح رواه الطبراني ١١-٢٤٧: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن منصور الجواز، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس وهذا السند صحيح، عكرمة وعمرو وسفيان أئمة ثقات ومحمد بن منصور ثقة من رجال التقريب ٥٠٨ وشيخ الطبراني ثقة مأمون انظر: البلغة (٢٢٨).

تتحسّر على بقاء محمد ﷺ في سجلات الأحياء، وتتحسّر على عدم التمكن من سبي فتيات المسلمين..؟ ربما كانت تعني أن هناك نية للعودة إلى أرض المعركة من جديد، ومحاولة أخرى للإجهاز على ما تبقى من المؤمنين وهم يدفنون شهداءهم، وربما كانت مجرد زفريات وأمانى. لكن كل ذلك لم يكن خارج نطاق تفكير النبي ﷺ العسكري.. كان ﷺ يقرأ أفكار القوم، ويتصفح أحلامهم، لذلك قرّر أن يقوم بحركة عسكرية لتغطية أسوأ الاحتمالات.

تحدّثنا عن ذلك فتاة شاركت في المعركة.. عائشة رضي الله عنها تحدّثت إلى أحد أبناء أختها - أحد أبناء الزبير بن العوام وتخيره عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ..

فتقول: (يا ابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أُحد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا. قال ﷺ: من يذهب في إثرهم؟ فانتدب سبعون رجلاً - كان فيهم أبو بكر والزبير)<sup>(١)</sup>.

وامتثل أبو بكر والزبير وامتثل معهم ثمان وستون فارساً.. نهضوا تحمّلهم جراحهم، وتحملهم تلك الأحاديث المعطرة عن أولئك الشهداء الذين سبقوهم قبل قليل.. نهض سبعون محارباً نحو باب من أبواب الجنّة مازال مشرعا في الأفق، لكن يبدو أنهم ظفروا ببعض المعلومات الخطيرة عن أبي سفيان وجيشه، وتوصّلوا إلى معرفة ما جرى من حوار دار بين المشركين حول التحسّر على عدم قتل محمد ﷺ وسبي المؤمنات، فعادوا ليخبروا النبي ﷺ حتى يتخذ إجراءً مناسباً.. إنه الآن يأمر الجيش كلّ بالنهوض والتحرك نحو جيش الوثنيين، وبسرعة. فكانت غزوة على هامش أُحد، وسميت فيما بعد بـ:

### غزوة حمراء الأسد

فعندما (انصرف أبو سفيان والمشركون عن أُحد، وبلغوا الروحاء قالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتهم، شرّ ما صنعتم.

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٧).

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فندب الناس، فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد، أو بئر أبي عيينة، فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١) من بعد ما أصابهم ما أصابهم من فقد الأحباب والأصحاب، لكن قريشاً لاذت بالفرار خشية أن يصيبها ما أصابها في أول المعركة. أو يحدث لها ما حدث في غزوة بدر، فجيش محمد ﷺ كالأسود الجريحة.. الرماة يريدون التكفير عن معصيتهم لأوامر قائدهم ﷺ، وبقية الصحابة يريدون اللحاق بحمزة وعبد الله بن حرام وأصحابهم، لعل الله أن يخاطبهم هذا المساء، لكن قريشاً لاذت بالفرار، فمكث ﷺ وأصحابه رضي الله عنه بعض الوقت، ثم عادوا مثقلين إلى المدينة الحزينة.. المشتاقة إلى نبيها وفرسانها.

سأستأذنكم قليلاً لأسبق رسول الله ﷺ وصحابته، لا إلى المدينة، بل سأعود إلى أرض أحد، فقد خيم الليل على جبالها وشعابها، وهناك حركة غريبة تحدث بين تلك الشعاب.. هناك شبح ينهض ثقيلاً من بين الأموات.

### شبح على أرض أحد

دعونا تقترب منه فهو يقف على قدميه.. يترنح من الألم والبرد يزيد من آلامه.. ها هو.. إنه ليس من الجن.. إنه أحد أفراد جيش أبي سفيان، وقد كان طوال اليوم يتظاهر بالموت والدم ينزف منه.

يقول أنس بن مالك: (كان وهب بن عمير شهد أحداً كافراً، فأصابته جراحة، فكان في القتلى، فمرّ به رجل من الأنصار، فعرفه فوضع سيفه في بطنه حتى خرج من ظهره، ثم تركه، فلما دخل الليل وأصابه البرد لحق بمكة، فبرأ، فاجتمع هو وصفوان بن أمية في الحجر، فقال وهب: لولا عيالي ودين عليّ لأحببت أن أكون أنا الذي أقتل محمدًا؟ فقال له صفوان: كيف تصنع؟

فقال: أنا رجل جواد لا ألحق، آتية فأغتره، ثم أضربه بالسيف، فألحق بالخيال ولا يلحقني أحد.

(١) سنده صحيح وهو جزء من حديث الطبراني قبل السابق.

فقال له صفوان: فعيالك مع عيالي، ودينك علي<sup>(١)</sup>.

لن أكمل هذا الحوار.. سأترك الرجلين وما يكيدان لألحق بحبيبي ﷺ.. ها هو يسير نحو المدينة الحزينة.. دون حمزة.. دون مصعب.. دون سبعين من الشهداء الأبرار، والبيوت تضج بالحزن والنواح.. يدخل ﷺ المدينة، ويمشي بين جدرانها الحزينة وأبياتها المفجوعة، فيحاصره النواح والبكاء في كل الطرقات والدروب.

لم يتوقف النواح في المدينة، ولم تتوقف الدموع ولا الأحزان.. إنها تتقاطر من قلوب المؤمنين، كما يتقاطر سيف هذا المحارب المخيف، الذي يسلم لحبيته سيفاً أحمر يتقاطر موتاً.. سيفاً حنته المعركة لكنها لم تحن حاملة..

إنه عليّ بن أبي طالب، وهو الآن برفقة رسول الله ﷺ، ولا أعلم هل هما في بيت النبي ﷺ، أم في بيت فاطمة..؟

يبدو أنهما في بيت فاطمة رضي الله عنها، فقد (جاء علي رضي الله عنه بسيفه يوم أحد قد انحنى، فقال لفاطمة رضي الله عنها: هاكي السيف حميداً، فإنها قد شفتني.

فقال رسول الله ﷺ: لئن كنت أجدت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت الألقح، والحارث بن الصمة<sup>(٢)</sup>.

(١) سنده قوي رواه الطبراني (٦٢/١٧) وابن منده - ذكره في الإصابة.. وسند الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير التستري، حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، حدثنا عبد الرواق، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن أبي عمران الجوني - لا أعلمه إلا عن أنس بن مالك: ... وقد توبع ابن عسكر عند ابن منده تابعه أبو الأزهر.. وأبو الأزهر حسن الحديث إذا لم يخالف، ومحمد بن سهل ثقة، انظر التقريب ٤٨٢ وعبد الرزاق معروف، وجعفر بن سليمان صدوق من رجال مسلم - التقريب ١٤٠ وأبو عمران الجوني اسمه: عبد الملك بن حبيب الأزدي تابعي ثقة من رجال الشيخين، تقريب التهذيب ٣٦٢. وابن منده من شيوخ الطبراني.

(٢) سنده صحيح رواه الحاكم ٢٤-٢٥ واللفظ له والطبراني ٧-١٢٢-١١١٢٢٠ وسند الحاكم هو حدثنا محمد ابن عبد الله الصفار، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد الثقفى حدثنا منجاب بن الحارث التميمي قال: وزعم سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس. سفيان وعمرو وعكرمة أئمة ثقات ومنجاب ثقة التقريب ٥٤٥ فقول الحاكم رحمه الله إن الحديث على شرط البخاري فيه نظر، بل العكس فمنجاب من رجال مسلم فقط فالحديث على شرط مسلم، وأبو الحسن ثقة انظر: تاريخ بغداد ١٢-٦٣ وشيخ الحاكم عالم ثقة قال عنه تلميذه الحاكم: أنه محدث عصره، سير أعلام النبلاء ١٥-٤٢٧ وقد توبع الثقفى عند الطبراني وفيه تصريح بسماع سفيان من عمرو.

تَوَجَّهَ ﷺ إلى بيته خلال النواح والبكاء.. إنه يستمع إلى النائح والوجد يحرق أكبادهن، فيتذكر عمه حمزة رضي الله عنه، فتعاوده الأحران من جديد، فيستجيب لها بكلمات تفيض وجداً ووفاءً لذلك الفقيد الحميم، فقد (مرَّ ﷺ بنساء عبد الأشهل)<sup>(١)</sup> عندما (رجع رسول الله ﷺ يوم أحد، فسمع نساء بني الأشهل يبكين على هلكاهن، فقال: لكن حمزة لا بواكي له!

فجئن نساء الأنصار فبكين على حمزة عنده، ووقد ﷺ، فاستيقظ وهن يبكين، فقال: ويلهن، إنهن لها هنا حتى الآن)<sup>(٢)</sup> (ويحهن ما انقلبن بعد)<sup>(٣)</sup> ولا انصرفن إلى بيوتهن حتى الآن.. ٩.

إنها بعض عادات الجاهلية التي لازال التمسك بها مباحاً حتى الآن، لكنها عادة لا تعبّر عن الحزن العميق فقط.. إنها تتجاوز الحزن إلى شيء خطير جداً.. شيء جاء الإسلام ليمحوه من أعماق كل مؤمن ومؤمنة، وهذا الشيء هو الجزع من أقدار الله، والاحتجاج على قضائه، وهو ما قد يؤدي إلى هدم أحد أركان الإيمان الستة التي جاء بها الإسلام.. أي الركن السادس، فأركان الإيمان هي:

- (١) الإيمان بالله.
- (٢) وملائكته.
- (٣) وكتبه.
- (٤) ورسله صلى الله وسلم عليهم جميعاً.
- (٥) والإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور.
- (٦) الإيمان بقضاء الله وقدره.

ولهذا نزل الأمر من الله بـ:

---

(١) سنده حسن رواه ابن ماجه ١-٥٠٧ والحاكم ٢-١٩٥. عن ابن وهب وعبيد الله ابن موسى أخبرنا أسامة ابن زيد عن نافع عن ابن عمر. أسامة حسن الحديث التقريب ٩٨ وصحح الحديث الإمام الألباني في صحيح ابن ماجه ١-٢٦٥ وبقية السند كالذهب.

(٢) هو الحديث السابق.

(٣) هو الحديث السابق.

## تحريم النياحة على الميت

يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: (رجع رسول الله ﷺ يوم أُحد فسمع نساء بني الأشهل يبكين على هلاكهن، فقال: لكن حمزة لا بواكي له.

فجئن نساء الأنصار فبكين على حمزة عنده، وردد ﷺ فاستيقظ وهن يبكين، فقال: ويلهن إنهن لهاهنا حتى الآن! مروهن فليرجعن، ولا يبكين على هالك بعد اليوم)<sup>(١)</sup>.

ولم يقف الأمر عند النهي الخفيف فقط، فبعد فترة من الزمن نزل الوحي يشدد تحريم النياحة على الميت، وهو بذلك يتغلغل داخل أعماق المؤمنين والمؤمنات.. يتتبع آثار الجاهلية، يمحوها ويغرس مزيداً من الإيمان مكانها.

يقول ﷺ: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب)<sup>(٢)</sup>، وسربال القطران يعني ثوباً والقطران دهان يدهن به البعير الأجرى..

النياحة من أمر الجاهلية، وهي ليست -أبداً- مقياساً لمدى الشعور بالحزن وفقدان الحبيب.. إنها نوع من التطرف والغلو في إظهار المشاعر، ولذلك نزل الوحي مرة أخرى مذكراً، وواصفاً تلك الممارسات بشيء خطير جداً يؤثر على عقيدة المسلم، فقد قال ﷺ: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت)<sup>(٣)</sup> لأن في الأمرين احتجاج على الله.

توقف النواح، ولم تتوقف الدموع، وكذلك الحياة لم تتوقف، ففي المدينة كانت الرسالة هي الحياة، وعلى الأحياء أن يؤدّوها كما أدّاها أولئك الشهداء.

(١) سنده حسن ورواه ابن ماجه (الصحيح ٢٦٥/١) والحاكم (١٩٥/٢) ابن وهب وعبيد الله بن موسى أخبرنا أسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر وأسامة بن زيد حسن الحديث إذا لم يخالف (التقريب ٩٨) وصحح الحديث الإمام الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٥/١) وبقيّة السند كالذهب.

(٢) صحيح مسلم ٢-٦٤٤.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم ١-٨٢.

وتمرّ الأيام ويتبقى لأحدٍ وشهدائها ذكريات، وعطر يفوح في أجواء المدينة وأحاديث أهلها، وتمرّ الأيام فيولد لأحد الأنصار غلام، فيجتار في تسميته، فتتجه به الحيرة إلى أحب الناس إليه.. إلى رسول الله ﷺ، فيبحر به ﷺ إلى أبهج الذكريات وأقساها.. يبحر به إلى

### أحب الأسماء إلى رسول الله ﷺ

يقول جابر بن عبد الله: (ولد لرجل منّا غلام، فقالوا: ما نسمّيه؟ فقال النبي ﷺ: سمّوه بأحب الأسماء إليّ (حمزة))<sup>(١)</sup>، فحمزة مازال عالقاً في الذاكرة.. متجذراً في القلب النبوي الكريم، لكن الله سبحانه ينزل على نبيه ﷺ فيما بعد أحب الأسماء إليه، فيقولها ﷺ لمن حوله: (إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن)<sup>(٢)</sup>.

ولما رزق أحد الأنصار بغلام.. سماه محمداً، فاحتجّ الأنصار على هذا الاسم، وبخلوا به عليه إكراماً لرسول الله ﷺ..؟ فكان جواب رسول الله ﷺ على ما حدث، ما نقله جابر بن عبد الله الأنصاري عندما قال: (ولد لرجل منّا غلام، فسماه محمداً، فقال له قومه: لا ندعك باسم رسول الله ﷺ).

فقال رسول الله ﷺ: تسمّوا باسمي، ولا تكتنوا بكنتي)<sup>(٣)</sup>.

إذاً فاسم محمد اسم محبّب إلى رسول الله ﷺ، ومحجّب إلى الله سبحانه، ولذلك قال ﷺ لرجل: (من الأنصار ولد له غلام، فأراد أن يسمّيه محمداً، فأتى به النبي ﷺ، فقال: أحسنت الأنصار).

سمّوا باسمي ولا تكتنوا بكنتي)<sup>(٤)</sup>، فما هي هذه الكنية التي نهاهم ﷺ عن التكنّي بها..؟

(١) سنده قوي رواه الحاكم ٢١٦-٢ حدثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ، أنا عبد الله بن صالح البخاري، حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن جابر. شيخ الحاكم واحد عصره في الحفظ والإتقان والورع والمذكّره، والتصنيف التذكرة - ٩٠٢) وشيخه ثقة ثبت انظر: المنتظم (١٤٥/٦) وسفيان وعمرو بن دينار ثقتان ثبتان معروفان وعمرو سمع من جابر، فيتبقى يعقوب وهو حسن الحديث فهو كما لخص الحافظ أقوال العلماء: صدوق ربما وهم فحديثه حسن ٦٠٧.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم - الأدب (٢١٣٢).

(٣) حديث صحيح رواه مسلم كتاب الأدب (٢١٣٣).

(٤) حديث صحيح رواه مسلم - كتاب الأدب (٢١٣٣).

جابر بن عبد الله أيضاً.. يحدثنا أيضاً فيقول: (ولد لرجل منّا غلام، فسّماه القاسم، فقلنا: لا نكنيك أبا القاسم ولا ننعّمك عيناً. فأتى النبي ﷺ فذكر له فقال: اسم ابنك عبد الرحمن)<sup>(١)</sup>.

وعندما (نادى رجلٌ رجلاً بالبقيع: يا أبا القاسم، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني لم أعنك، إنما دعوت فلاناً.

فقال رسول الله ﷺ: تسمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي)<sup>(٢)</sup>.

حدثنا جابر رضي الله عنه عن أشياء كثيرة حدثت بعد غزوة أحد، فماذا عن جابر نفسه؟ وماذا عن أخواته الصغيرات.. ماذا عن دين والده الذي رحل وتركه أمانةً يتقل كاهله..؟

الدّين لصاحبه همّ بالليل وذلّ في النهار، فإلى أي شيء تحولت أحوال جابر، الذي وجد نفسه وحيداً.. مسؤولاً عن تسع بنات.. مسؤولاً عن دين ضخّم لا يستطيع أداءه وهو شاب صغير لم يتعرض من قبل لمثل هذه المسؤوليات..؟ إنه شاب صغير أعزب أفاق على أمانة كالجبال تحاصره.. فإلى أين يتجه و:

### إلى أين تتجه الهموم بجابر

ليس هناك أرحب من رحمة الله لجابر، والنبي ﷺ مساحة من هذه الرحابة والرحمة فهو (رحمة مهداة)<sup>(٣)</sup> من الله لهذه الأمة، ولكل فرد منها.. لم يكن بينه وبين أصحابه حواجز ولا حرس (كان ﷺ لا يدفع عنه الناس، ولا يضربوا عنه)<sup>(٤)</sup>.

جاءه رجل فشعر ذلك الرجل بخوف ورعدة من لقاءه ﷺ، فقال له النبي ﷺ: (هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد)<sup>(٥)</sup>.. القديد،

(١) حديث صحيح رواه مسلم - كتاب الأدب (٢١٣٢) .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم - كتاب الأدب (٢١٣١) .

(٣) حديث صحيح صحيح الجامع. وقد رواه بسند جيد كل من الحاكم (٩١/١) الطبراني في الصغير (١٦٨/١).

(٤) حديث صحيح صحيح الجامع (٨٧٦/٢) .

(٥) حديث صحيح صحيح الجامع (١١٨٥/٢) .

ذلك اللحم المملح المجفّف في الهواء والشمس. إذاً فلا داعي للخوف، ولا للرعدة والانتفاض، وعلى عكس هذا الرجل.. كان هناك من الناس من يملك جرأة أكثر مما هو مطلوب مع هذا النبي المتواضع عليه السّلام، فقد (كان لرجل على النبي ﷺ سن من الإبل فجاء يتقاضاه)<sup>(١)</sup> (فأغلظ)<sup>(٢)</sup>، فهمّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً. ثم قال ﷺ: أعطوه سنّاً مثل سنه)<sup>(٣)</sup> (فطلبوا سنّه فلم يجدوا إلا سنّاً فوقها)<sup>(٤)</sup>، فقال: أعطوه.

فقال: أوفيتني أوفى الله بك. قال النبي ﷺ: إن خياركم أحسنكم قضاءً)<sup>(٥)</sup> رضي الرجل وذهب مسروراً بما حصل عليه، وتعلّم الصحابة منه ﷺ حسن الوفاء، وحسن الأخلاق، لكن جابر بن عبد الله لا يملك ما يقضي به كل دينه، فاتّجه إلى الرحمة المهداة يسأله العون وتقريج هذا الكرب الشديد، فكان ﷺ له في المكان المطلوب والزمان المناسب، و

### على باب رسول الله ﷺ كان جابر يتعلم أدباً

يقول جابر رضي الله عنه: (إن أبي قتل يوم أُحد وترك تسع بنات كنّ لي تسع أخوات)<sup>(٦)</sup> (وترك عليه ثلاثين وسقاً)<sup>(٧)</sup> لرجل من اليهود فاستنظره جابر فأبى أن ينظره)<sup>(٨)</sup>.

لم يكن هذا اليهودي الوحيد الذي له حق على جابر، فوالده ترك عليه ديناً غير هذا. حيث يقول (إن أبي ترك عليه ديناً، وليس عندي إلا ما يخرج نخله، ولا يبلغ ما يُخرج سنين ما عليه)<sup>(٩)</sup> من دين (فطلبت إلى أصحاب الدين أن يضعوا بعضاً فأبوا)<sup>(١٠)</sup>

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٠٥). يعني أن النبي استلف بغيراً.

(٢) تكلم مع النبي ﷺ بأسلوب غليظ.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٠٦).

(٤) أي أكبر منها في السن وأعلى في الثمن.

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٠٥).

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٢).

(٧) الوسق يساوي ستين صاعاً.

(٨) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٩٦) أي لم يمهله ويؤجل سداه.

(٩) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٨٠).

(١٠) حديث صحيح رواه البخاري (٢٤٠٥).

ورفضوا التنازل عن أي شيء (فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه؟ فأبوا، ولم يروا أن فيه وفاءً، فأتيت النبي ﷺ) (١) (فدققت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا. فقال ﷺ: أنا! أنا!، كأنه كرهها) (٢) لأن كلمة: (أنا) ليست إجابة، ولا تعريفاً بالطارق، بل هي استدعاء لمزيد من الاستفسار والتساؤل، ولو قال جابر: (أنا جابر) لما كره ﷺ ذلك، ولكان أفضل.

تعلم جابر أدباً ربيعاً من نبيه ﷺ، ثم بثّ للنبي ﷺ شكواه وديونه، وتعتت الدائنين، فوجده رحيماً معيناً على النوائب والشدائد.

قال جابر للنبي ﷺ: (قد علمت أن والدي قد استشهد يوم أُحد وترك ديناً كثيراً، وإنني أحب أن يراك الغرماء) (٣) (فانطلق معي لكي لا يفحش عليّ الغرماء) (٤) ثم يقول: (فاستشفعت به عليهم فأبوا) (٥) و(استعتت النبي ﷺ على غرمائه أن يضعوا من دينه، فطلب النبي ﷺ إليهم فلم يفعلوا) (٦) (فاشتد الغرماء في حقوقهم، فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته فسألهم أن يقبلوا ثمر حائطي ويحللوا أبي.. فأبوا. فلم يعطهم رسول الله ﷺ، ولم يكسره لهم، ولكن قال: سأغدو عليك إن شاء الله تعالى.

فغدا علينا حين أصبح، فطاف في النخل، فدعا في ثمره بالبركة فجددته) (٧) فقال ﷺ: (إذا جددته فوضعتة في المربد) (٨) (فبيدر كل تمر على ناحية) (٩) (فصنّف تمر ك أصنافاً: العجوة على حدة، وعذق ابن زيد على حدة، ثم أرسل إليّ. ففعلت، ثم أرسلت إلى النبي ﷺ فجاء) (١٠)، و

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٠٩).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٦٢٥٠).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٢).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٨٠).

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٢٤٠٥).

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٢١٢٧).

(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٢٦٠١).

(٨) حديث صحيح رواه البخاري (٢١٢٧) والمربد هو مكان يجفف فيه الثمر.

(٩) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٨١).

(١٠) حديث صحيح رواه البخاري (٢١٢٧).

## جاءت المعجزة

ثم قال: ادع غرماءك<sup>(١)</sup> (فلما نظروا إليه أغروا بي<sup>(٢)</sup> تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات، ثم جلس عليه)<sup>(٣)</sup> (ثم دعا)<sup>(٤)</sup> (ثم قال: ادع أصحابك.

فما زال يكيل لهم حتى أدى الله أمانة والدي، وأنا والله راض أن يؤدي الله أمانة والدي ولا أرجع إلى أخوتي تمرة، فسلمَّ والله البيادر كلها، حتى أني أنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص تمرة واحدة)<sup>(٥)</sup> (فأوفاهم الذي لهم، وبقي مثل ما أعطاهم)<sup>(٦)</sup> (فما تركت أحداً له على أبي دين إلا قضيته، وفضل ثلاثة عشر وسقاً، وسبعة عجوة وستة لون، أو ستة عجوة وسبعة لون، فوافيت رسول الله ﷺ المغرب فذكرت له ذلك، فضحك، فقال: أتت أبا بكر وعمر فأخبرهما. فقالا: لقد علمنا إذ صنع رسول الله ﷺ ما صنع أن سيكون ذلك)<sup>(٧)</sup> (ثم جئت رسول الله ﷺ وهو جالس فأخبرته بذلك، فقال رسول الله ﷺ لعمر: اسمع - وهو جالس- يا عمر: فقال عمر: ألا يكون قد علمنا أنه رسول الله، والله إنك لرسول الله)<sup>(٨)</sup>.

وانصرف جابر إلى أخواته مبشراً بكرامة الله لوالدهن في حياته وبعد مماته، فقضاء الدين بهذه الطريقة لا يمكن إلا أن يكون إكراماً من الله لذلك الشيخ الراحل.. ذلك الشيخ الذي عانى الكثير.. الكثير من أجل لقاء الله، وهو إكرام لهذا الشاب الذي رضي بقضاء الله وقدره، وحمل وهو صغير أمانة ضخمة وثقيلة، وهل هناك أثقل من إعالة أسرة كبيرة كهذه! وهل هناك أثقل من دين يطالبك به يهودي..!٦٠

أجل هناك، وفي بيت سعد بن الربيع الشهيد الكريم، الذي ناصف عبد الرحمن ابن عوف ماله وأهله.. في بيت هذا الربيع الممتد كالبصر حل الجفاف والفقر، لقد

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٠٩).

(٢) هيجوا بي.. أي آثاروا.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٨١).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٨٠).

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٨١).

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٨٠).

(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٠٩).

(٨) حديث صحيح رواه البخاري (٢٦٠١).

ذهب مال سعد بن الربيع وثروته مع الريح والجشع.. سعد بن الربيع رضي الله عنه لم يترك سوى زوجته وابنتيه وثروته، ولا أدري هل طلق زوجته الثانية أم توفيت؟.. لكن الذي أعرفه أن ماله قد ذهب، ف:

## من أخذ مال سعد بن الربيع؟

ها هي أم الفتاتين.. زوجة سعد بن الربيع، وبعد مرور أيام وشهور تخرج حزينة على زوجها وبناتها.. تتجه نحو النبي ﷺ تسأله حلاً.. تسأل الله فرجاً، فلا سعد ولا بناته يستحقون كل هذه المعاناة. تقف تلك الحزينة أمام الرحمة المهداة.. (جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد قتل أبوهما يوم أحد «معك» شهيداً وإن عمهما أخذ مالهما، فاستفاه<sup>(١)</sup>، فلم يعد لهما مالاً، والله لا تتكحان إلاّ ولهما مال<sup>(٢)</sup>).

فقال رسول الله ﷺ: يقضي الله في ذلك.

فأنزل الله عليه آية الميراث<sup>(٣)</sup>، وهي ضمن قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١١﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ وَأَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) أخذه غنيمة له مثل المال الذي يؤخذ دون حرب ولا جهد.

(٢) أي انه لن يرغب أحد فيهما وهما معدمتان.

(٣) حديث حسن انظر: ما بعده فهو جزء منه.

(٤) سورة النساء: الآيات ٩ - ١١.

(فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمّهما، فقال: أعطِ ابنتي سعد الثلثين، وأمّهما الثمن، وما بقي فهو لك)<sup>(١)</sup>.

إنها قسمة الله، لا قسمة الجاهلية والعادات والتقاليد.. آية تغسل قلب سامعها من الجشع.. تغسله بأنهار العطف والرافة.. تجعله في مكان المفجوع بنفسه.. تجعله يشعر بمرارة اليتيم.. بليل اليتيم يخيم على أبنائه، فإذا لم يكن صاحب قلب رقيق ومرهف، فالآية التي بعدها تصدع قلبه المتحجر، وتملاً بطنه الجشع بالجمر والنار، وتقذف به في الجحيم والسعير الذي لا ينطفئ، أما الآية الثالثة، فرحمة الله بالأولاد أكثر من رحمة آبائهم بهم. إن الله يوصي الآباء بأبنائهم، والموصي أرحم من الموصى.

وقد جعل الله نصيب الذكر أكثر من نصيب الأنثى في الميراث مرتين، لأن على الذكر مسؤوليات تجاه الأنثى عديدة، فالرجل يجب عليه الإنفاق على أمه وأخته وزوجته وابنته، وهو الذي يدفع المهر لزوجته، بل يجب عليه أن يكسو زوجته، وأن يقدم لها الطعام جاهزاً للأكل، كما قال ﷺ: (حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى)<sup>(٢)</sup> إنها فريضة من الله، وهو الذي خلق هذا الإنسان، وهو أعلم به وأحكم، وأدرى بما يجعل حياته سعيدة مشرقة دائماً.

وقد بين ﷺ أن الفتاتين لهما حكم ما فوق الاثنتين عندما خاطب شقيق سعد بن الربيع. أخبرنا بذلك جابر بن عبد الله الذي تراكمت عليه المسؤوليات، وربما كانت هي سبب مرضه الآن.. إنه يعاني من وعكة ألزمته الفراش بين أخواته يمرضنه، ويخشين أن يفادرن كما غادر والدهن.. لقد اشتدّ به المرض فلم يعد يعقل شيئاً، وانتقل خبر مرضه إلى رسول الله ﷺ، فاتجه هو وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه إلى حي بني سلمة لزيارة جابر ذلك الشاب الصغير الذي احتفى به عليه السلام كثيراً.

(١) سنده حسن رواه ابن سعد ٢-٥٢٤ واللفظ له عدا «معك» وأحمد ٢-٢٥٢ من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل وهو تابعي حسن الحديث عن جابر. والراوي عن ابن عقيل هو عبيد الله بن عمرو الرقي: ثقة. التقريب ٢٧٣.

(٢) حديث صحيح - صحيح الجامع (١/٦٠٢).

يقول رضي الله عنه: (مرضت فجاءني رسول الله ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيان) (١) (في بني سلمة) (٢) (فأتاني وقد أغمي علي) (٣) (فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء، فتوضأ منه ثم رش علي، فأفقت. فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟) (٤) (يا رسول الله إنما لي أخوات) (٥) (يا رسول الله لا يرثني إلا كلاله فكيف الميراث) (٦) (كيف أقضي في مالي، كيف أصنع في مالي؟ فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراث) (٧)، وهي الآية التي بعد الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أُخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (٨).

فهو أعلم بخلقه، وأدرى بما يجعلهم سعداء في الدنيا والآخرة.. إنه يكرمهم بآيات الميراث، ويحفظ حقوق الأيتام والورثة، وفي ذلك تكريم للكريم سعد بن الربيع، وتكريم لعبد الله بن حرام.

وتمرَّ أيام فينهض جابر من مرضه الذي ألمَّ به، ولئن كان المرض قد غادر جابر، فإن هناك من تغلغل المرض في جسده ولم يغادره حتى الآن.. في المدينة رجل هاجر إلى النبي ﷺ وحيداً بعد أن أرغم على مفارقة زوجته وهو في الطريق، فقد أرغمه

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٧٣٠٩).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٧٧).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٧٣٠٩).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٧٧).

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٦٧٤٣).

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٥٦٧٦).

(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٧٣٠٩).

(٨) سورة النساء: الآية ١٢.

أهلها على تركها والرحيل دونها ودون ابنها .. إنه الصحابي الجليل أبو سلمة الذي يهاجمه المرض بضراوة الآن، وتنقض على جسده جراحات أُحد، وحوله أبنه وزوجته المجاهدة الصابرة، ذات الهجرة العسيرة والذكريات المريرة .. إنها تبكي الآن، وهي تعاني وداع زوجها الحبيب .. إنه لن يرى هذا الجنين الذي يسكن أحشائها .. لن يداعبه، ولن يتمتع بطفولته .

مات أبو سلمة رضي الله عنه، فبكت أم سلمة وبكى أحبابه، لكن مرارة الحزن لم تنس هذه المؤمنة الصابرة نفسها .. لقد صبرت في السابق، وها هي الآن تتحامل على جراحها .. تنهض من بين آلامها .. تتوجه نحو النبي ﷺ تسأله ماذا تقول في مصابها الأليم هذا .. تسأله حتى لا تقع في ذنب النواح والاعتراض على قضاء الله وقدره .

تقول رضي الله عنها: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا حضرتم الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون. فلما مات أبو سلمة قلت: يا رسول الله، كيف أقول؟

قال ﷺ: قل: اللهم اغفر لنا وله، وأعقبني منه عقبى حسنة<sup>(١)</sup> .

فدعت أم سلمة بتلك الدعوة، وارتفعت دعوتها إلى الباري فاستجاب لها . ف

### ماهي عقبى أم سلمة

سنعرف ذلك لاحقاً، أما الآن فسنترك «هند» أم سلمة وأحزانها ودعاءها إلى أحزان أخرى .. أحزان تراكمت على صدر صحابي كريم، وملأت بيته حتى ضاق به .. عثمان بن عفان الذي فقد حبيبته رقية بعد غزوة بدر، وفقد قوته في غزوة أحد، فهرب من المعركة بعد هزيمة المسلمين ونزول الرماة من الجبال .. عثمان يعيش حالة من الحزن والأسف لا يحسد عليها . لا أدري ما مبررات هروبه من المعركة، وهو الذي شارك في صناعة الانتصار وإلحاق الهزيمة بالمشركين في أوّل النهار؟ مهما كانت المبررات، لقد حدث ما حدث لهذا الصحابي العظيم، وهو بشر غير معصوم، والله أرحم من أن يدعه للأحزان تفتك به وتغتاله . لقد ضاقت به الدنيا ففرجها الله مرتين:

(١) صحيح مسلم ٢-٦٢٢ .

أما الأولى فقد أنزل الله فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.. أنزل الله عضوه ورحمته به، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١).

وفي ذلك يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب عن عثمان: (أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له) (٢)..

فرح عثمان بهذه الآية، وانزاح همّه الثقيل.

وأما الثانية: فقد أقبل عليه النبي ﷺ يبشّره بهذه الآيات، ويبشّره بعودة الصهر بينهما، فقد وافق ﷺ على تزويجه من ابنته أم كلثوم، فأى سعادة يعيشها عثمان الآن؟ لقد عرف الناس بعد هذا من هو عثمان، وما منزلته عند الله وعند رسوله، فلقبوه بلقب يشع من بيت النبوة.. لقبوه ب: (ذي النورين) وهو أسعد الناس بعمره ونسبه وحبّ الله ورسوله، وأم كلثوم تشاطره كل ذلك وتتعطر به، أما أختها فاطمة فسعيدة بأختها أم كلثوم، وسعيدة بهدية جميلة تقدمها لأبيها ولزوجها عليّ رضي الله عنهم جميعاً.

وبينما كان الجميع يترقبون الهدية بفرح.. كانت هناك امرأة مهمومة.. يملكها الفرع مما قد يحدث للنبي ﷺ أو لفاطمة.

الرؤيا من جديد تخيم كالخوف على عالم امرأة صالحة تدعى (أم الفضل) وهي زوجة عم النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب، التي تركت مكة والعباس إلى الله ورسوله ﷺ، فما هي:

## رؤيا أم الفضل

تقول رضي الله عنها: (رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله ﷺ، فجزعت من ذلك، فأتيت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له؟

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٥.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٦٩٨).

فقال ﷺ: خيراً، تلد فاطمة غلاماً، فتكفلينه بلبن ابنك قثم.  
فولدت<sup>(١)</sup> فاطمة.. ولدت حباً جديداً للنبي ﷺ ملك عليه قلبه.

## فاطمة تلد حرباً

سماه والده: (حرباً).. إنه يملأ بيت النبوة برائحة الأحفاد البريئة المنعشة.. (حرب) يزاحم أمه وأباه في قلب جده ﷺ، وقد بُشِّرَ بمولد هذا الطفل الجميل، فجاء ﷺ والسعادة تملأ صدره، فوجد الابتسام والفرح يغمران المكان، عليٌّ سعيدٌ، وفاطمة أكثر سعادة.

يقول عليٌّ رضي الله عنه: (لما ولد الحسن سميته حرباً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قلت: حرباً.

قال ﷺ: بل هو حسن)<sup>(٢)</sup>.

غير ﷺ ذلك الاسم الحاد باسم جميل.. يدخل البهجة على النفوس، فحمل المولود الطاهر اسمه الجميل، وحمله ﷺ بين يديه وقبله، وفعل شيئاً رآه أحد موالي النبي ﷺ الذي كان يشارك بيت النبي ﷺ فرحتهم بهذا القادم الحسن، فسألناه: أخبرنا يا أبا رافع.. ماذا رأيت..؟

أبو رافع رضي الله عنه يصف ذلك المشهد المفرح الذي لم يدخل السرور على بيت النبي ﷺ فقط، بل امتدت بهجته وبركته إلى أحوج الناس إلى البهجة، فيقول: (لما ولدت فاطمة حسناً قالت: ألا أعقّ عن ابني بدم «بكبشين»؟.

(١) سنده حسن رواه أحمد (٣٣٩/٦) واللفظ له، والطبراني (٩-٥/٣) وروى آخره من الطريق نفسها ابن خزيمة (١٤٣/١) وحسنه أستاذنا الشيخ محمد مصطفى الأعظمي حفظه الله، ووافقه الإمام الألباني فلم يعلق عليه، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٨٥/١) وصحيح أبي داود (٧٥/١).. وسند أحمد هو: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا إسرائيل عن سماك عن قابوس بن المخارق عن أم الفضل. وقابوس تابعي لا بأس به - التقريب (٤٤٩) ولا يضره أن يكون قد جاء - عند الطبراني أنه رواه عن أبيه عن أم الفضل فأبوه صحابي. وسماك بن حرب تابعي صدوق وروايته هذه ليست عن عكرمة - التقريب (٢٥٥) وإسرائيل ثقة معروف مر معنا كثيراً - التقريب (١٠٤) وقد تويع.. وتلميذه ثقة من رجال البخاري ومسلم (السابق-٥٩٢).

(٢) سنده قوي رواه أحمد ٩٨-١ و١١٨ واللفظ له والبخاري في الأدب (٢٨٦) وغيرهم من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن هاني بن هاني عن علي. أبو هاني تابعي وثقه العجلي والنسائي. التهذيب ١١-٢٢ وله شاهد عند الطبراني بسند منقطع.

قال ﷺ: لا، ولكن احلّقي رأسه وتصدّقي بوزن شعره من فضّة على المساكين والأوقاض (وكان الأوقاض ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ محتاجين في المسجد أو الصفة) ففعلت ذلك<sup>(١)</sup> وتصدّقت على الفقراء والمحتاجين، لكن ماذا عن:

## عقيدة الحسن

ماذا عنها والنبي ﷺ يقول: (كل غلام رهينة بعقيقته، يذبح عنه يوم سابعه، ويحلّقي رأسه، ويسمى)<sup>(٢)</sup>..

لقد أحب ﷺ أن يقدم بنفسه عقيدة الحسن، حيث يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم: (إن رسول الله ﷺ عَقَّ عن الحسن)<sup>(٣)</sup> (كباشين)<sup>(٤)</sup>، ووقت العقيقة الأفضل هو قوله ﷺ: (العقيقة تذبح لسبع، أو لأربع عشرة، أو لإحدى وعشرين)<sup>(٥)</sup>.

وفي يوم جميل بالحسن أكل الفقراء وأهل الصفة من العقيقة، وشاركوا النبي وأهل بيته الاحتراف بالحسن، أما هذا الطفل الحسن رضي الله عنه فقد أرضعته أمّه فاطمة، ثم بعث به ﷺ إلى تلك المرأة الصالحة، التي رأت في منامها بشرى ولادة الحسن.. بعث ﷺ بالحسن إلى أم الفضل، وها هي تحدّثنا عن رضاعته، وعن ضربه وعن حبه.

## أم الفضل تضرب الحسن

تقول رضي الله عنها: (رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله ﷺ، فجذعت من ذلك فأتيت رسول الله ﷺ، فذكرت له ذلك. فقال ﷺ: خيراً، تلد فاطمة غلاماً، فتكفلينه بلبن ابنك قثم).

(١) سنده حسن رواه الطبراني ٢-٣٠ وابن الجعد ٢٢٤ وأحمد ٦-٣٩٠ من طريق شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن علي بن الحسين عن أبي رافع. وروى أحمد متابعه أبي النضر لشريك، وهو حسن من أجل ابن عقيل. التقريب ٢٢١.

(٢) صحيح الجامع (٢-٨٢٥).

(٣) حديث صحيح رواه أبو داود ١-٢٨ عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس، وهذا سند صحيح والنسائي ٧-١٦٤ عن حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه والحاكم ٤-٢٦٥ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وأبو يعلى ٥-٣٢٣ عن أبي الزبير عن جابر وعن جرير عن قتادة عن أنس ٣-٤١ وغيرهم.

(٤) حديث صحيح عند الحاكم وأبي يعلى كما مر في التخرّيج السابق.

(٥) صحيح الجامع (٢/٧٥٩).

قالت رضي الله عنها: فولدت حسناً فأعطيتها، فأرضعته حتى تحرك أو فطمته. ثم جئت به إلى الرسول ﷺ، فأجلسته في حجره فبال، فضربت بين كتفيه. فقال ﷺ: ارفقي بابني رحمك الله (أو أصلحك الله) أوجعت ابني. قلت: يا رسول الله اخلع إزارك والبس ثوباً غيره حتى أغسله.

قال ﷺ: إنما يغسل بول الجارية، وينضح بول الغلام<sup>(١)</sup> أي يرش بول الصبي إلا إذا صار يأكل الطعام، فعند ذلك يغسل بوله، والحسن ما زال رضيعاً.. ينعم بقلب جده ﷺ وقبلاته وأحضانه.

يقول أحد الصحابة رضي الله عنه: (رأيت رسول الله ﷺ يمصّ لسانه أو شفته (يعني الحسن بن علي صلوات لله عليه) وإنه لن يعذب لسان أو شفتان مصهما رسول الله ﷺ)<sup>(٢)</sup>.

ذلك الطفل البريء.. ذلك البرد الطهور.. الحسن بن علي رضي الله عنه يملأ قلب النبي ﷺ ويملكه، وتمرّ الأيام فيكبر، ويزداد شبيهه بالنبي ﷺ، فيقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي)<sup>(٣)</sup>.

يكبر الحسن ويكبر حبه بين حناياه ﷺ، فيقول البراء رضي الله عنه: (رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه يقول: اللهم إني أحبه فأحبه)<sup>(٤)</sup>، ويبدأ الحسن يلثغ بالكلمات.. يتعثر في نطقها.. يقلبها.. يعبث لسانه الصغير بأحرفها، فيزداد حسناً وبهاءً، ويبدأ الخطو واللعب، ويخرج إلى الطريق ليلعب مع الأطفال، فيراه والده وأبو بكر رضي الله عنهما وهما يمشيان، فيسرع إليه أبو بكر ويأخذه من فوق الأرض ليجمعه فوق عنقه، ويدلي قدميه الناعمتين على كتفيه، ويفديه بأبيه ويردّد كلمات تضحك والده علياً.

(١) سنده حسن وهو حديث أم الفضل السابق. وقد ثبت علمياً أن هناك فرقاً بين بول الغلام والبنيت الرضيعين، راجع لمعرفة ذلك موقع (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة)

(٢) سنده صحيح رواه أحمد ٤-٩٢ حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا حريز عن عبد الرحمن ابن أبي عوف الجرشى عن معاوية: هاشم ثقة ثبت، التقريب ٥٧٠ وحريز أوثق منه التهذيب ٢-٢٢٧ وعبد الرحمن تابعي كبير ثقة، التقريب ٣٤٨. ولك أن تتصور مدى الأمانة العلمية لدى رجال هذا السند رغم سلوكيات بعضهم تجاه علي رضي الله عنه. فمعاوية حاربه، وحريز ناصبي ومع ذلك يأبى عليهم إيمانهم وصدقهم أن يخفوا مثل هذا الخبر، وهي شهادة لعلم الجرح والتعديل ونقاده رحمهم الله، ومدى دقتهم في ذلك.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٥٢).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٤٩).

يقول أحد الصحابة الذين شاهدوا حب أبي بكر للحسن: (صلى بنا أبو بكر العصر، ثم قام وعلي يمشيان، فرأى الحسن يلعب مع الغلمان، فأخذ أبو بكر، فحمله على عنقه، وقال:

بأبي شبيهه النبي ليس شبيهاً بعلي

وعلي يبتسم<sup>(١)</sup> (ويضحك)<sup>(٢)</sup>.

ولا يلام أبو بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك.. إنه ابن حبيبه وصاحبه ونبيّه، وحبّه من الإيمان، وأبو بكر متضلع بالإيمان وحب آل بيته وحب هذا الطفل الجميل. أبو بكر يفعل ما كان ﷺ يفعله بالحسن، حين يقول البراء بن عازب: (رأيت النبي ﷺ واضعاً الحسن على عاتقه «وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبه»، وقال: من أحبني فليحبه)<sup>(٣)</sup> لم يكن الحسن فوق عاتق النبي ﷺ فقط.. كان يتمشى في قلبه ويتجول في غرفاته وممراته.. كان يحتل قلبه وجسده ومشاعره.. ها هو رجل من الأزدي يبلغ الدنيا وصية نبيّه ﷺ وهو يحتضن الحسن داخل حبوته، فيقول: (أشهد لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه في حبوته وهو يقول: من أحببني فليحبه، وليبلغ الشاهد الغائب)<sup>(٤)</sup>.

ولم يكتف هذا الطفل البريء باقتحام قلبه ﷺ، بل تجاوزت براءته كل الحدود، فصار يقتحم على جده ﷺ صلاته.

ها هو الحسن يدخل على جده وهو يصلي بأبي بكر وعمر وعثمان ووالده علي وبقية الصحابة رضي الله عنهم.. يركض الحسن.. يلهو داخل المسجد، ويتجه نحو جده ﷺ، فيقفز على ظهره الشريف، ويمتطيه كفارس مغوار.. فماذا فعل ﷺ؟ وما موقف والده وبقية الصحابة من فرح ذلك الطفل واقتحامه عالم النبي ﷺ وهو خاشع مع ربه..؟

(١) سير أعلام النبلاء (٢٤٩/٣) بسند البخاري وهو عند البخاري (٣٥٤٢).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٤٢).

(٣) سنده صحيح رواه أبو الطيب الطبراني ٧٢٢ واللفظ له والترمذي ٣٧٨٣ والزيادة له عن شعبة عن عدي بن ثابت سمعت البراء.. وعدي ثقة من رجال الشيخين، التقريب ٣٨٨.

(٤) سنده صحيح رواه البخاري خلق أفعال العباد (٩١) والحاكم ٣-١٩٠ وأحمد ٥-٦٦ من طريق شعبة عن عمرو بن مرة سمعت عبد الله بن الحارث يحدث عن زهير ابن الأقرم عن الرجل الأزدي. زهير تابعي ثقة وليس كما قال الحافظ: مقبول ٦٦٨ وتلميذه ثقة التهذيب ٥-١٨٢ وعمرو بن مرة أوثق من الاثنين ويشهد للحديث ما قبله.

يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم: (إن رسول الله ﷺ كان يصلي، فإذا سجد وثب الحسن على ظهره وعلى عنقه، فيرفع رسول الله ﷺ رفقاً رفقاً لئلا يصرع) (فعل ذلك غير مرة) فلما قضى صلاته، قالوا: يا رسول الله رأيناك صنعت بالحسن شيئاً ما رأيناك صنعته. قال ﷺ: إنه ريحانتي من الدنيا<sup>(١)</sup>.

نبي لا يقاوم عطر الطفولة المنعش.. وبرائها التي تهزم القلوب.. طفولة منحها الإسلام مساحة من الحب والرحمة والتسامح.. مساحة فسيحة.. فسيحة تمتع بها الحسن، ونعم فيها بطفولته وعفويته، وتمتع بها أطفال المسلمين من بعده و..

### تتمادي البراءة فيتمادي الحب

وتتسع الرحمة، فرسول الله ﷺ هذه المرة لا يذهب إلى المسجد وحده، بل يحمل حفيده وريحانته الفواحة معه، وهو يعلم ما قد يفعل الطفل أثناء الصلاة.. أحد الذين رأوا ورووا تلك القصة المفعمة بالطفولة والعبادة يتحدث إلينا.

صحابي اسمه شداد يقول: (خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً<sup>(٢)</sup>)، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبر للصلاة، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، فرفعت رأسي، وإذا بالصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك.. ١٩.

قال ﷺ: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته<sup>(٣)</sup>.

(١) سنده صحيح رواه أحمد ٥١-٥ وابن حبان ٤١٨-١٥ والطبراني ٣-٣٤ من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن أخبرني أبو بكرة. وفي هذا السند مدلسان الحسن ومبارك رحمهما الله، أما الأول فصرح بالسمع من شيخه، وأما مبارك فقد توبع عند الطبراني ٣-٣٤ تابعه إسماعيل بن مسلم، فإن كان العبيدي فهو ثقة، وإن كان المكي فهو ضعيف.

(٢) أو حسيناً كما جاء في النص وفعلت ذلك من أجل السياق.

(٣) حديث صحيح رواه أحمد ٢-٤٩٣ والنسائي صحيح الألباني ١-٢٤٦.

إنها رحمة يشعر بها ﷺ ويحرض أصحابه على الشعور بها .. تقول عائشة رضي الله عنها: ( جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم!.

فقال النبي ﷺ: **أَوْ أَمَلِكْ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**(<sup>١</sup>).

و(قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ)(<sup>٢</sup>).

ورسول الله ﷺ يقول عن نفسه: (إنما أنا رحمة مُهداة)(<sup>٣</sup>)، فهل هناك ألد من الرحمة وأجمل من الهدية .. لقد كان بين أضلاعه قلب كالنسيم البارد خلال القيث والهجير .. كان سلوكة مطراً لذيذاً على شفتي صحراء تتلمظ عطشاً.

ذات يوم وبينما كان ﷺ يخاطب أصحابه على منبره، إذ به يذهل عن خطبته وعن الناس من حوله، بل وعن نفسه.

### الرحمة تذهله ﷺ

عبد الله بن عمر بن الخطاب رأى وسمع ما حدث، وأدهشته تلك الرحمة فقال رضي الله عنه: (رأيت رسول الله ﷺ على المنبر يخاطب الناس، فخرج الحسن بن علي رضي الله عنه في عنقه خرقة يجرّها، فعثر فيها، فسقط على وجهه فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر يريده، فلما رآه الناس أخذوا الصبي فأتوه به، فحمله فقال: قاتل الله الشيطان، إن الولد فتنة، والله ما علمت أني نزلت عن المنبر حتى أوتيت به)(<sup>٤</sup>).

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٥٩٩٨).

(٢) حديث صحيح، رواه البخاري (٥٩٩٧).

(٣) حديث صحيح، صحيح الجامع الصغير (٤٦٣/١).

(٤) (سندنه قوي، رواه الطبراني ٣-٢٥ حدثنا عبد الله بن علي الجارودي، حدثنا أحمد بن حفص، حدثني

أبي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن عباد بن إسحاق، عن زيد بن أبي العتاب، عن عبيد بن جريح عن ابن عمر .. وعبيد وزيد تابعيان ثقتان من رجال التقريب، وعباد بن إسحاق صدوق واسمه عبد الرحمن. التهذيب ٦-١٣٧ وإبراهيم ثقة من رجال الشيخين، التقريب ٩٠ وأحمد ووالده صدوقان من رجال البخاري وشيخ الطبراني حافظ من أئمة الأثر أتى عليه الحاكم والناس انظر: البلغة لحامد الأنصاري حفظه الله (١٩٤).

لم تكن الرحمة للحسن وحده.. فهناك طفلة تنافسه.. وردة اسمها «أمامة» بنت زينب رضي الله عنها.. كانت أمامة ملء سمعه وبصره.. تتعلق به عيناها البريئتان، وتمد يداها الصغيرتان وهو يهيم بالخروج للمسجد، فيستسلم قلبه لتلك البراءة العذبة، فيحملها ويضمها ويقبلها، ويأخذها معه إلى المسجد وهو يريد الصلاة بصحابتة رضي الله عنهم. فيراه أحدهم وهو «أبو قتادة» فيقول: (خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فصلّى، فإذا ركع وضع، وإذا رفع رأسه رفعها)<sup>(١)</sup>، (فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها)<sup>(٢)</sup>.. يفعل ذلك أثناء صلاته بالمؤمنين.

ولم تكن تلك الرحمة والملاطفة منه ﷺ لأولاده فقط، بل كان يشمل بها أبناء المسلمين.. ها هو يزور دار أحد الأنصار.. دار (الربيع بن سراقة الخزرجي)، فيجد طفلاً صغيراً اسمه محمود، فيبدأ بملاطفته وملاعبته، ثم يتناول ﷺ دلواً على حافة البئر، ثم يملأ فمه الطاهر بالماء، ثم يقترب من الصغير ويلاحقه فيطش الماء في وجهه.

حركة تثير الضحك والركض والاختباء البريء لدى الأطفال.. حركة تجلب السعادة.. مازال محمود يذكرها، ويذكر الناس بها، وهو يقول: (عقلت من النبي ﷺ مجّة مجّها في وجهي، وأنا ابن خمس سنين)<sup>(٣)</sup> (مجّها رسول الله ﷺ من دلو في دارنا)<sup>(٤)</sup>.

قد يفعل الرجل هذا مع أبنائه وبناته، فهل يفعلها حاكم أو عالم أو وجيه مع أطفال غيره.. ماذا سيقول الناس عن ذلك؟ ماذا سيقول الجهل عن ذلك؟.. لكن محمداً ﷺ فعل ذلك مع ذلك الطفل (من بئر في دارهم)<sup>(٥)</sup>، بل لقد بلغ به التواضع والرحمة أعماقاً وآفاقاً بعيدة.. بعيدة.. تعال معي إلى هذا المشهد المضحك المبكي في طرقات مدينة النبي ﷺ.. مشهد ل:

## النبي ﷺ والإمام والمعاقين

حيث نرى النبي ﷺ يمشي في الطرقات تقوده أمة أو امرأة في عقلها شيء.. دون أن ينهرها، أو يطالبها بالتوقف، أو يطالب أهلها بردعها عن مجلسه.. كان يجعل

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٥٩٩٦).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٥١٦).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٧٧).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٦٤٢٢).

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (١١٨٥). حديث صحيح رواه البخاري (مشكاة المصابيح - ١٦١٧/٣).

لها من قلبه ووقته نصيباً كالأخرين.. يقوم من مجلس قد يجلس فيه أبو بكر وعمر  
وعثمان وعلي إلى امرأة في عقلها اضطراب.. يستمع إليها، وينصت حتى تنتهي  
وتقضي حاجتها..

يقول أنس رضي الله عنه: (كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ  
فتتطلق به حيث شاءت)<sup>(١)</sup>، ويقول: (إن امرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا رسول الله، إن  
لي إليك حاجة؟ فقال: يا أم فلان، انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك.  
فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها)<sup>(٢)</sup>.

كان ﷺ جنة من المشاعر.. ينعم بها الجميع، حتى ضعاف العقول.. حتى العصافير  
والطيور.. كان ﷺ جدول حب يشرب منه الجميع فيرتوون.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق  
لحاجته، فرأينا حمة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة، فجعلت تفرش،  
فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولده؟ ردوا ولدها إليها.

ورأى قرية نمل قد أحرقتها، فقال ﷺ: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب  
النار)<sup>(٣)</sup>.

كان ﷺ يتغير وجهه ويتألم لمنظر الفقراء، فلا يقر له قرار حتى يذهب ما بهم،  
فإذا لم يجد سوى الكلمات بذلها يريح بها نفوسهم ويقويهم بها.

يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم: (كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار،  
فجاء قوم عراة، حفاة، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتغير وجه  
رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل، ثم خرج، فأمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلّى  
ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ  
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٦٠٧٢).

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (٢٣٢٦).

(٣) حديث صحيح: انظر: صحيح سنن أبي داود (١٦١٨/٣).

(٤) سورة النساء: الآية ١.

﴿ أَنْتَوُا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

تصدَّق رجل من دينارهِ، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشقِّ تمره.

فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل لقد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: من سنَّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً<sup>(٢)</sup>، أي من أحيى سنة من سنن الإسلام، ودلَّ عليها فله ذلك الأجر، ومن ابتدع في الإسلام سنة لم يأت بها النبي ﷺ فعليه ذلك الوزر المخيف، ويقول ﷺ: (من دلَّ على خير فله مثل أجره فاعله)<sup>(٣)</sup>، (ومن أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)<sup>(٤)</sup>. كانت تلك الصدقات سنة حسنة.. تهلَّل وجه النبي ﷺ عندما رآها، لأنه رأى الجوع والعري ينزاح عن أولئك المساكين، الذين أحسَّوا بالحياة تسري في عروقهم من جديد، لكن الرحمة أحياناً تستغل.. يستغلها الأوغاد واللئام، وذلك لا يعني أن يتوقف تدفقها للتوقعات والظنون.. رحمته وكرمه ﷺ متدفق دون توقف، حتى مع الخونة إلى أن يظهروا الخيانة ويمارسوها جهاراً كما في هذه القصة:

### قصة أولها رحمة وآخرها جحيم

مجموعة من اللصوص من عكل وعرينة.. مجموعة من الأوغاد سمعوا برحمته ﷺ، وبشفقته على أصحابه وعلى الناس جميعاً، فظنَّوا أن بإمكانهم استدرار رحمته، واستدراج طبيبته، ثم الضحك عليه بعد نوال عطائه. جاء هؤلاء إلى المدينة وتظاهروا بالإسلام (وبابعوهم ﷺ)<sup>(٥)</sup> لكن حمى المدينة أصابتهم، فأشفق عليهم ﷺ عندما قالوا: (يا نبي الله،

(١) سورة الحشر: الآية ١٨.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (١٠١٧) الزكاة والنسائي (الصحيح ٢-٥٣٩).

(٣) حديث صحيح رواه مسلم (١٨٩٣).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٢٦٩٧).

(٥) حديث صحيح - رواه مسلم - القسامة.

إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة<sup>(١)</sup> (فقال لهم رسول الله ﷺ: إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة، فتشربوا من ألبانها وأبوالها)<sup>(٢)</sup> (فأمر لهم رسول الله ﷺ بنزود<sup>(٣)</sup>، وراع، أمرهم فيه، فيشربوا من ألبانها وأبوالها)<sup>(٤)</sup>.

أجل أمرهم بشرب أبوال الإبل، وهي معجزة طبية ثبتت علمياً في ألفيتنا الثالثة كدليل على نبوته<sup>(٥)</sup> (فانطلقوا، فشربوا من أبوالها وألبانها حتى صحوا وسمنوا)<sup>(٦)</sup> (فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا النعم)<sup>(٧)</sup> و(سملوا أعين الرعاء)<sup>(٨)</sup> أي فقأوا عينيه بالحديد. (فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم)<sup>(٩)</sup> (فجاء الخبر في أول النهار، فبعث ﷺ في آثارهم، فلما ارتفع النهار جاء بهم، فأمر بقطع أيديهم، وأرجلهم، وسمرت أعينهم، وألقوا في الحرة، يستسقون فلا يسقون)<sup>(١٠)</sup> (ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا)<sup>(١١)</sup>.

ما ذنب ذلك الراعي المسكين الذي اعتنى بهم وبصحتهم ٩٠٠ سقاهم ومرّضهم وأطعمهم، فكان جزاؤه أن فقأوا عينيه ثم قتلوه!! إن فقاهم لعيني الراعي قبل قتله دليل على توغل الإجرام والحقد في نفوس هؤلاء الأندال، الذين جمعوا كل صفات الخسة والدناءة.. كفروا، وقتلوا، ومثلوا، وخانوا، وسرقوا، فكان عقابهم شديداً بحجم جريمتهم. إن أمثال هؤلاء الرعاء والجهلة وقطاع الطرق يشكلون خطراً على كل أرض يطانونها، ولا يمكن أن يوقف نزيف الخوف والدم الذي يسفكونه سوى السيف البتار. أمثال هؤلاء يغريهم ضعف الضعيف، وحلم الحليم وتسامح الكريم، فينشرون من خلال ذلك الرعب في قلوب الحجاج والتجار والمسافرين.

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٩٢) ومعنى استوخموا أي لم يوافق مناخها أجسادهم.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (١٦٧١) القسامة.

(٣) الذود هو القطيع من الإبل.

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٩٢).

(٥) للدكتورة فائق خورشيد براءة اختراع حول هذا الموضوع وللدكتورة أحلام العوضي وزميلاتها أبحاث أخرى

مبهرة حول بول الإبل كما نشرت جريدة الرياض الجمعة ٢٤ - شوال خيراً عن براءة اختراع أخرى.

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠١٨).

(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٢٢٣).

(٨) حديث صحيح رواه مسلم - القسامة (١٦٧١).

(٩) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٩٢).

(١٠) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠١٨).

(١١) حديث صحيح رواه مسلم - القسامة (١٦٧١).

ربما أغرى هؤلاء الأجلاف ذلك الإنكسار الذي حدث للمؤمنين في غزوة أحد، وربما كانوا طلائع خيانة واستكشاف لمجرم قابع في عرنه.. يجمع جيشاً لاقتحام المدينة ونهبها.. مجرم يثير القشعريرة.. اسمه (خالد بن سفيان بن نبيح) يقود بني لحيان.

علم ﷺ بذلك المخطط، لكنه فكر بطريقة آمنة يتخلص فيها من حرب ضروس بطعنة واحدة.. يحقن فيها دماء جيوش تحتاج إلى دمائها ورجالها. فكر ﷺ ب:

## اغتيال خالد بن سفيان

وقع اختيار رسول الله ﷺ على فارس مغوار يختصر المسافات والأحداث.. يجمع الجيوش والآلام والنواح بطعنة واحدة.

وقع اختياره ﷺ على فارس يدعى (عبد الله بن أنيس) فتعالوا إلى الأحداث والحديث، وفارسنا الذي يقول: (دعاني رسول الله ﷺ فقال: إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح يجمع لي الناس ليفزوني، وهو بعرنة، فأته فاقتله. قلت: يا رسول الله، انعته<sup>(١)</sup> لي حتى أعرفه. قال ﷺ: إذا رأيته وجدت له قشعريرة [قلت: والذي أكرمك ما هبت شيئاً قط].

فخرجت متوشحاً سيفي، حتى وقعت عليه بعرنة «مع ظعن<sup>(٢)</sup> يرتاد لهن منزلاً»، وحين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت له ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلي عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه، أومئ برأسي الركوع والسجود.

فلما انتهيت إليه، قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لهذا. قال: أجل، أنا في ذلك [قلت: باغي حاجة فهل من مبيت؟ قال: نعم فالحق بي] فمشيت معه شيئاً، حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته، ثم خرجت وتركته طعائنه مكبات عليه، [ثم غشيت الجبال ولجمته حتى إذا ذهب الناس خرجت حتى] قدمت على رسول الله ﷺ، فرآني، فقال: أفلح الوجه. قلت: قتلته يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: «صدقت».

(١) أي صفه لي.

(٢) نساء.

ثم قام معي رسول الله ﷺ، فدخل في بيته فأعطاني عصا، فقال: أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس. فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها. قالوا: أولاً ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك؟ فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخضرون يومئذ يوم القيامة، فقرنها عبد الله بسيفه<sup>(١)</sup> الذي حطم صنماً وخطراً في دروب المؤمنين.. إن هذا النوع من الاغتيال لم يكن باجتهاد فردي.. لم يقم به أحد من أصحابه حماساً وتطوعاً، وهم قادرون على أكثر من ذلك.. إنها دماء لا يجوز الخوض فيها دون الرجوع إلى النبي الإمام- النص، وإلا فإنها ضرب من التهور غير المبرر.

لم يكن عبد الله بن أنيس وحده الذي يبعث في سرية مكونة من فرد واحد.. كان هناك من ينافسه.. رجل شديد البأس قويّ البنية.. جسور لا يهاب الموت.. يعشق الشهادة.. كان ﷺ يبعثه إلى أعماق قريش.. يتغلغل فيها، لا ليقتل، بل لينقذ، ليخلص بعض أولئك المستضعفين في مكة الذي أبقاهم ذوهم في مكة، وقهروهم ومنعواهم من الهجرة، فكانت تلك المهمات:

(١) حديث صحيح عدا ما بين الأقواس الصغيرة، وقد حسن الحافظان ابن حجر وابن كثير سند أحمد وأبي داود وهو سند ضعيف، وبقية الحديث هو: فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها، فضمت معه في كفته، ثم دفنا جميعاً، والحديث عند أحمد ٤٩٦-٣ والطبراني (مسند العبادله - ٧٦) وأبي داود (١٢٤٩) مختصراً. وقد ضعفه الإمام الألباني في ضعيف أبي داود (١٢٣) وسنده عند أحمد وأبي داود محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه. لكن ابن إسحاق صرح بالسماع من شيخه الثقة عند أحمد ٤٩٦-٣ فتبقى مشكلة ابن عبد الله بن أنيس، وعند الرجوع للتقريب نجد أن الحافظ قال: إن اسمه: ضمرة أو عمرو، أو دون اسم.. ولكن عندما نرجع إلى سنن البيهقي ٢٥٦-٣ نجد أنه قد سماه بعبيد الله، وهو الأصوب والأصح للتصريح من تلميذه باسمه.. لكن معرفتنا باسمه لا تفي بالغرض، فالرجل تابعي لم يوثق فيحتاج إلى شاهد أو متابعة، وقد وجدت هذه المتابعة والشاهد عند الطبراني. حدثنا مصعب بن إبراهيم، حدثني أبي، حدثنا عبد العزيز الدراوردي، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن كعب القرظي، قال، قال عبد الله بن أنيس.. وفي هذا السند خطأ فالصواب يزيد بن عبد الملك بن الهاد وهو تابعي ثقة وكذلك محمد بن كعب القرظي وسائر رجال السند ثقات وهو متصل انظر: التقريب (٣٤/١ - ٥١٢) (٢/٢٠٣-٣٦٧) وشيخ الطبراني ثقة انظر: مجمع البحرين (١٥٥/٣) ورواية الدراوردي ليست عن عبيد الله العمري. فالسند حسن والحديث صحيح بالسندين والزيادات بين المعقوفين من رواية الطبراني.

## سرايا لمرثد بن أبي مرثد

وكان لمرثد رضي الله عنه صديقة في مكة.. ينزل عليها سرّاً، وكان يحبها وتحبه وتحفظ سره وعلاقته بها.. اسمها: (عناق)، لكن أمراً حدث في المدينة أثار غضب تلك الحسنة، فخانته مرثد ونادت قريشاً لكي يحاصروه ويقبضوا عليه، فماذا حدث لمرثد بن أبي مرثد؟..

يقول أحد الصحابة: إن (مرثد بن أبي مرثد، كان رجلاً «شديداً» يحمل الأسرى من مكة، حتى يأتي بهم المدينة، وكانت امرأة بغية بمكة يقال لها (عناق)، وكانت صديقة له، وأنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة يحتمله،

قال مرثد: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط، من حوائط مكة في ليلة مقمرة، فجاءت عناق، فأبصرت سواد ظلي بجانب الحائط، فلما انتهت إليّ عرفتني فقالت: «من هذا» مرثد؟ فقلت: مرثد. قالت: مرحباً وأهلاً، هلم فبت عندنا الليلة «انطلق الليلة فبت عندنا في الرحل».

قلت: يا عناق..

## حرم الله الزنا

«إن رسول الله ﷺ حرم الزنا». قالت: يا أهل الخيام، «هذا الدلدل، هذا الذي يحمل أسراءكم من مكة إلى المدينة».

فتبعني ثمانية، وسلكت الخدمة<sup>(١)</sup>، فانتفيت إلى غار أو كهف، فدخلت، فجاءوا حتى قاموا على رأسي، فبالوا «فطار بولهم علي»، فظل بولهم على رأسي، وعمّاهم الله عني. ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي، فحملته، وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهيت إلى الإذخر، «فلما انتهيت به إلى الأراك» فككت عنه أكبله، فجعلت أحمله ويعينني، حتى قدمت المدينة، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً؟

«فسكت عني»، فأمسك رسول الله ﷺ ولم يرد عليّ شيئاً حتى نزلت: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾.

(١) جبل عند أحد مداخل مكة.

فقال رسول الله ﷺ: يا مرثد الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك، فلا تنكحها<sup>(١)</sup>.

لأنها تحترف الزنا وتصرّ عليه، أما إذا تابت الزانية، وتاب الزاني وباب التوبة مفتوح إلى يوم القيامة، فيجوز عند ذلك، أمّا إذا لم يتوبوا فهم أمراض متقلّة.. تتخر الأجساد والمجتمعات.

إذاً فهناك رجال يمكن الاعتماد عليهم للقيام بمهام خطيرة ودقيقة، والنبى ﷺ لم يتردد في بثّهم هنا وهناك، فالمدينة في خطر، والدعوة إلى التوحيد تحتاج إلى دولة قوية وذكية لنشرها، فكان لمرثد دور، وكان لعبد الله بن أنيس دور آخر، وللذين داخل المدينة أدوار يؤدونها تحت قيادة هذا النبى الحكيم.

في إحدى هذه المهمات أراح النبى ﷺ دولته وأصحابه من فتنة عمياء، ومن حرب قد تكون فادحة الخسائر، وأراح بني لحيان من كارثة قد تحلّ بهم على يد قائدهم المتهور خالد بن نبیح، لكن النبى ﷺ لم يكتف بهذه السرية ذات الفارس الفذ، فقريش وبنو لحيان وبعض القبائل أغراهم ذلك الانكسار الذي حدث للمسلمين في أحد، لذلك لابدّ من الحذر واليقظة.. لابدّ من دراسة المنطقة والتعامل معها بحرص، فقد يكون فيها أكثر من خالد بن نبیح.

هناك مناطق توتر مخيفة بين مكة والمدينة.. أشدها تلك التي تسكنها هذيل قبيلة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، تلك القبيلة التي ينتمي لها بنو لحيان، ويسكنها بجوارهم بنو سليم، وإليها ينتمي بطون (رعل وذكوان وعصية) وهؤلاء جميعاً يسكنون قريباً من مكة، وقد تمّ القضاء على إحدى بؤر التوتر وهو خالد بن نبیح، لكن بقي من هو أشدّ خطورة منه.. بقي طاغوت من غطفان اسمه (عامر بن الطفيل) هذا الطاغوت كان وقحاً لدرجة أنه جاء إلى المدينة يهدد النبى ﷺ إذا لم يرض بمطالبه.

(١) سنده حسن رواه النسائي (الصحيح - ٢٠٢٧) والترمذي (الصحيح - ٢٥٢٨) واللفظ له والزوائد للنسائي، من طريق عبيد الله بن الأحنس أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وعبيد الله، ثقة التقريب ٣٦٩ وبقية السند حسن مشهور.

## عامر بن الطفيل يهدد النبي ﷺ

يقول أنس بن مالك: (كان رئيس المشركين (عامر بن الطفيل، وكان أتى النبي ﷺ فقال: أخيرك بين ثلاث خصال:

أن يكون لك أهل السهل، ولي أهل المدر.

أو: أن أكون خليفتك من بعدك.

أو: أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء)<sup>(١)</sup>.

رفض ﷺ تلك المطالب الطاغوتية، فقد بعثه الله للناس كافةً.. لنشر التوحيد وإزالة الشرك عن هذه الأرض كلها، وإزالة الطواغيت أمثال عامر بن الطفيل، وتحكيم شرعه لا لمقاسمة الأصنام والعادات والتقاليد، ولذلك أخذ ﷺ حذره من ذلك الأهوج، ومن بني لحيان وبني سليم، فقام بعقد عهدٍ بينه وبين جيرانهم بني عامر حتى يأمن اتفاقهم عليه أو مساندتهم لقريش إذا ما قامت قريش بعمل عسكري في المستقبل. لكن ذلك كله لا يكفي، فعامر بن الطفيل يحتاج إلى رصد ومراقبة أكثر، فالظروف الحالية دقيقة وخطيرة، وقريش مازالت تحتفظ بقائمة من الأسماء.. لها معها ثأر منذ غزوة بدر، ولم تتمكن منهم في غزوة أُحُد، وكان على رأس تلك القائمة الصحابي الشجاع (عاصم بن ثابت) الذي شهد له ﷺ بإجادة القتال في غزوة أُحُد.. هذا الأسد كان قد فتك بعظيم من طواغيت قريش، ورأسه مطلوب بأي ثمن، والفارس الآخر اسمه (خبيب بن عدي) وقد اجتثَّ خبيب رضي الله عنه طاغوتاً آخر يدعى (الحارث بن عامر بن نوفل) وهناك آخرون مطلوبون، لكنني ذكرت هذين الفارسين لأن الرسول ﷺ استدعاهما، واستدعى معهما ثمانية من الشجعان.. هؤلاء العشرة كوّنوا سرية استطلاع للمنطقة الواقعة بين مكة والمدينة، ومهمتهم تغطي أراضي يسكنها بنو لحيان وسليم وبنو عامر، وأطلق فيما بعد على هذه السرية:

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩١) والبيهقي (٣٤٥/٣) واللفظ له.

## سرية الرجيع

لكن ما علاقة بني لحيان بمن هلك من طواغيت قريش على أرض بدر؟..

أحد الصحابة يجيب ويسرد علينا قصة عاصم قائد هذه السرية وأصحابه، فيقول: (بعث النبي ﷺ «عشرة رهط» عيناً، وأمر عليهم (عاصم بن ثابت)...<sup>(١)</sup>) فانطلقوا حتى كانوا «بالهدأة» بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب. فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما «رأهم» عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدغد<sup>(٢)</sup>، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق، إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً.

فقال عاصم «أمير السرية»: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك. فقاتلوهم حتى قتل عاصماً في سبعة نفر بالنبل<sup>(٣)</sup>، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث الذي معهما رضي الله عنه: هذا أول الغدر.

فأبى أن يصحبهم، فجزّوه وعالجوه على أن يصحبهم، فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد، حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فمكث «خبيب» عندهم أسيراً، حتى إذا أجمعوا قتله<sup>(٤)</sup> استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحدّ بها<sup>(٥)</sup>، فأعارته.

قالت: فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه<sup>(٦)</sup> حتى أتاه فوضعه في فخذه. فلما رأته فرزت فرزة عرف ذلك مني وفي يده الموسى. فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى.

(١) مكان النقاط جملة اعتراضية هي (وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب).

(٢) الرابية المرتفعة.

(٣) أي قتلوا سبعة من الصحابة أحدهم عاصم رضي الله عنهم جميعاً.

(٤) قرروا قتله ثأراً لقتله والدهم الحارث.

(٥) طلب موسى ليحلق بعض شعره.

(٦) مشى الطفل حتى دخل على خبيب والموسى بيده.

وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قطَّ خيراً من خبيب، لقد رأيتَه يأكل من قطف<sup>(١)</sup> عنب وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله «خبيباً».

فخرجوا به من الحرم<sup>(٢)</sup> ليقتلوه «في الحل»، فقال رضي الله عنه: دعوني أصلي ركعتين «ذروني أركع ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين» ثم انصرف إليهم، فقال: لولا أن «تظنوا» أن ما بي جزع من الموت لزدت «لطولتها»، فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو.

ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بديداً، ولا تبق منهم أحداً. ثم أنشأ يقول:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً      على أي شق كان لله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ      يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله<sup>(٣)</sup>.

لكن عقبة بن الحارث ينكر ذلك ويقول لمن حوله: (والله ما أنا قتلت خبيباً، لأننا كنت أصغر من ذلك، ولكن أبا ميسرة أبا بني عبد الدار أخذ الحرية فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحرية ثم طعنه بها حتى قتله)<sup>(٤)</sup>.

ويكمل الصحابي حديثه فيقول: (وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر<sup>(٥)</sup>، فحمته من رسلهم، فلم يقدرُوا «على أن يقطعوا من لحمه شيئاً»<sup>(٦)</sup>) فكانت كرامة من الله لعاصم رضي الله عنه، حيث حمى الله جسده الطاهر بسحابة من الزنابير أو ذكور النحل.

(١) القطف هو العنقود ساعة قطفه.

(٢) كان المشركون يحترمون منطقة الحرم لذلك خرجوا به إلى منطقة الحل.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٨٦) والزيادات عنده أيضاً.

(٤) سنده صحيح رواه ابن إسحاق (سيرة ابن كثير - ١٣١/٣) حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير، عن أبيه عباد، عن عقبة بن الحارث. عباد تابعي ثقة من رجال الشيخين، التقريب ٢٩٠ وابنه يحيى ثقة وهو تابعي صغير ٥٩٢.

(٥) أي سحابة من الزنابير أو ذكور النحل.

(٦) هو بقية حديث البخاري السابق.

هكذا سافر خبيب وعاصم وزيد ورفاقهم شهداءً إلى ربهم، لكنها بالنسبة للنبي ﷺ وأصحابه الأحياء مصيبة أخرى بعد أحد.. خيانة قام بها هؤلاء المشركون فكلفت المؤمنين الكثير.. خيانة ليست من طباع العرب الكريمة.. تأثر منها المؤمنون، واستفادت منها قريش، وحزّت في أنفس الشرفاء من العرب.. خاصة أولئك الذين كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد، وهم بنو عامر، لذلك جاءت مجموعة منهم بقيادة رجل اسمه: (عامر بن مالك، أبو البراء) ويلقب بـ«ملاعب الأسنة»..

قدم ملاعب الأسنة من أجل تلطيف الأجواء.. حاملاً معه هدية للرسول ﷺ، لكن النبي ﷺ كان في حالة حزن على أصحابه، فعرض الإسلام على ملاعب الأسنة، ودعاها إلى الدخول في دين الله، فرفض ﷺ هديته لأنه مشرك، فحاول ملاعب الأسنة أن يخفف عن النبي ﷺ بعض ما في صدره من حزن على أصحابه، فعرض عليه أن يرسل بعض الصحابة لنشر الإسلام في نجد، وتعهّد بحمايتهم والدفاع عنهم، حتى يطمئن النبي ﷺ أنه لن يصيبهم ما أصاب خبيباً وأصحابه.. ومما دفع النبي ﷺ إلى الموافقة أن رجالاً من أحياء: رعل وذكوان وعصية كانوا قد قدموا مع «ملاعب الأسنة» وتظاهروا بالإسلام أيضاً، وادّعوا أنهم بحاجة إلى مجموعة من الصحابة تعلمهم القرآن والتوحيد، بل وتعينهم على أعدائهم.

استجاب ﷺ واثقاً بعهد ملاعب الأسنة، ومصداقاً أولئك الذين أظهروا الإسلام، وبعث معهم شباباً من الأنصار، ها هو أحدهم يودع أخته (أم سليم) إنه خال أنس بن مالك واسمه (حرام) وهؤلاء الشباب الذين مع (حرام) هم صفوة من تلاميذ محمد ﷺ.. شباب لا تعرف كيف تصفهم! هل هم عباد، أم تجار، أم علماء، أم عمّال؟.. إنهم الإسلام في صورة شباب.

يقول كعب وأنس رضي الله عنهما: (جاء ملاعب الأسنة إلى النبي ﷺ بهدية، فعرض عليه الإسلام، فأبى أن يسلم، فقال النبي ﷺ: فإني لا أقبل هدية مشرك. قال: فابعت إلى أهل نجد من شئت فأنا لهم جار، فبعث إليهم<sup>(١)</sup> شباباً (كنا ندعوهم على عهد رسول الله ﷺ: القراء، فذكر أنس سبعين رجلاً من الأنصار، كانوا إذا أجنّهم

(١) سنده قوي رواه الطبراني ٧٠-١٩ و ٧١ و ٨١) عن يونس ومعمّر والأوزاعي عن الزهري عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك عن كعب. وهذا السند صحيح وقد مر معنا.

الليل آووا إلى معلم بالمدينة، فيبيتون يدرسون، فإذا أصبحوا فمن كان عنده قوّة أصاب من الحطب، واستعذب من العذب<sup>(١)</sup>، ومن كانت عنده سعة أصابوا الشاة فأصلحوها، فكان معلقاً بحجر رسول الله ﷺ، فلما أصيب خبيب<sup>(٢)</sup> (جاء ناس إلى النبي ﷺ «رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان» فقالوا: أن ابعث معنا رجلاً يعلمونا القرآن والسنة. فبعث «إلى ناس من المشركين بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد» سبعين رجلاً من الأنصار، يقال لهم (القراء) فيهم خالي حرام:

يقرأون القرآن،

ويتدارسون بالليل يتعلمون،

وكانوا بالنهار يجيؤون بالماء فيضعونه في المسجد،

ويحتطبون فيبيعونه،

ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء،

فبعثهم النبي ﷺ إليهم «حتى كانوا ببئر معونة»<sup>(٣)</sup> (فأتوا على حي من بني سليم فقال حرام لأميرهم: دعني فلاخبر هؤلاء أنا ليس إياهم نريد، فيخلون وجوهنا)<sup>(٤)</sup> (وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل)<sup>(٥)</sup> (فاستجاش عامر بن الطفيل بني عامر، فأبوا أن يطيعوه، وأبوا أن يخفروا ملاعب الأسنة، فاستجاش عليهم بني سليم، فأطاعوه)<sup>(٦)</sup> (فانطلق حرام أخو أم سليم ورجلان معه: رجل أعرج، ورجل من بني فلان. قال:كونا قريباً مني حتى آتيهم، فإن أمنوني كنتم كذا، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم.

فأتاهم حرام فقال: أتؤمنوني أبلغكم رسالة رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم. فجعل يحدثهم، وأمأوا إلى رجل فاتاه من خلفه، فطعنه، فأنفذه بالرمح «فلما وجد حرام مس

(١) أي الماء العذب.

(٢) حديث صحيح رواه الشيخان والطبراني (٣٢٣/١) والبيهقي (٣٤٩/٣) واللفظ له.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم (٦٧٧ - وبين ١٩٠٢ - ١٩٠٣).

(٤) هو حديث البيهقي السابق وهو صحيح.

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩١).

(٦) حديث صحيح وهو حديث الطبراني السابق.

الرمح في جوفه قال: الله أكبر، فزت وربّ الكعبة»<sup>(١)</sup> ولما سال دمه من جرحه اغترفه بيديه ثم (نضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فزت ورب الكعبة)<sup>(٢)</sup> فانطوا عليهم فما بقي منهم مخبرٌ «فلحق الرجل، فقتلوا كلهم إلا الأعرج كان في رأس الجبل»<sup>(٣)</sup> (قتلوهم وغدروا بهم)<sup>(٤)</sup> (قبل أن يبلغوا المكان. فقالوا رضي الله عنهم: اللهم بلغ نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا)<sup>(٥)</sup>.

فأنزل الله قرآناً يتلى في هؤلاء الشباب الأطهار الأبرار، فقال تعالى: ﴿إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا﴾<sup>(٦)</sup>.

نزلت هذه الآية على النبي ﷺ، فحزن حزناً لم يحزن مثله أبداً، وخيم الوجوم على المدينة.. على أصحاب النبي ﷺ، وأحرق الدمع والحزن أجواف الأمهات والآباء والأبناء، وبكى أهل الصفة أرحم الناس بحالهم.. بكى أهل الصفة أحبابهم الذين طالما كدحوا وشقوا ليخففوا مما بهم، ليمنحوهم بعض السعادة.. هذا قد منحوه ثوباً، وهذا اشتروا له طعاماً، وذاك أعطوه فراشاً، ورابع قدموا له غطاءً، وخامس قدموا له حذاءً. فلك أن تتصور حجم الفراغ الذي يتركه سبعون بمثل هذا الجمال والحب والسخاء.

أهل المدينة يتذكرونهم عندما يرون تلك القرب التي كانوا يملأونها بالماء لهم على باب المسجد، فكم من عطشان فقد تلك السحابة. أما النبي ﷺ فتوجه والحزن في عينيه وقلبه إلى أصحابه، فقال: (إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أن قد لقيناك، فرضينا عنك ورضيت عنا)<sup>(٧)</sup>.

لقد بلغ به الهم والحزن مسافات فعل معها شيئاً لم يكن قد فعله من قبل. كيف لا. وهو قد فجع بخيب وعاصم ومن معهما، ثم فجع بسبعين من خيرة الشباب الذين سافروا من أجل نشر دين ربهم ورسالة نبيهم، ولا ذنب لهم سوى ذلك.. لقد دعا ﷺ على أولئك المشركين الأندال شهراً كاملاً في صلواته كلها.

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩١ - ٤٠٩٢) والبيهقي (٣/٢٤٥) واللفظ له.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩٢).

(٣) حديث صحيح وهو حديث الطبراني السابق والزيادة للبخاري (٤٠٩١).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩٠).

(٥) حديث صحيح رواه مسلم (٦٧٧).

(٦) هذه الآية منسوخة وهي في البخاري (٤٠٩١).

(٧) حديث صحيح رواه مسلم (٦٧٧).

يقول أحد الصحابة رضي الله عنه: (كنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح في دبر كل صلاة إذا قال: سمع الله لمن حمده من الركعة الأخيرة يدعوا على أحياء من بني سليم: على رعل، وذكوان، وعصية «وبني لحيان» ويؤمن من خلفه)<sup>(١)</sup>، ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت)<sup>(٢)</sup>.

واستجاب الله لنبيه ﷺ، فأصيب الطاغية عامر بن الطفيل.. أصيب بمرض عضال وصفه ﷺ بقوله: (غدة كغدة البعير)<sup>(٣)</sup>، وسماه ﷺ بـ«الطاعون»، وهو وصف دقيق للطاعون الدبلي الذي يتميز (بارتفاع درجة الحرارة، وتضخم العقد الليمفية في منطقة الإرب وتحت الإبطن، وكذا تضخم الطحال)<sup>(٤)</sup>، وهو ما أصيب به عامر بن الطفيل، حتى أصبح حبيساً في بيت امرأة من قومه.

أصيب عامر بالطاعون، وتلاشت أحلامه بالتمكك على أهل المدن في الجزيرة العربية، أو خلافة النبي ﷺ، أما تلك الجيوش التي هدد النبي ﷺ بها، فقد تحولت إلى آلام تحبسه في بيت امرأة.. قد ولّى عنه الناس ونفروا منه خشية العدوى، ففقد صوابه وصرخ بمن بقي حوله قائلاً: (غدة كغد البكر في بيت امرأة من بني فلان، اثثوني بفرسي، فركبه فمات على ظهر فرسه)<sup>(٥)</sup>.

هلك ذلك الطاغية كالمجنون، بعد أن تطاير الناس من حوله متقرّزين، أما النبي ﷺ فبعد أن مكث شهراً يدعو على عامر والخونة الذين غدروا بالمؤمنين.. قرّر ﷺ أن يغزو بني لحيان وبني سليم: رعل وذكوان وعصية، فأعد جيشاً ليتحرك نحوهم، وكان أحد

(١) سنده جيد رواه أحمد ١-٢٠١ وأبو داود (١٤٤٢) من طريق عبد الله بن معاوية وعبد الصمد وعفان، حدثنا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس وثابت وشيخه ثقة تغير ولعله وهم في ذكره لصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء والذي عند البخاري من رواية أنس وهو الذي روى القصة وعاصرها وصلى مع النبي عليه السلام تلك الصلوات لم يذكر سوى الفجر، «وبني لحيان» عند البخاري.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٨٨).

(٣) سنده صحيح رواه أحمد ٦-١٤٥ من طرق أخبرنا جعفر بن كيسان حدثنا معاوية بنت عبد الله دخلت على عائشة معاودة تابعة ثقة، التقريب وجعفر ثقة. ذيل الكاشف (٦٢).

(٤) انظر تعليق فضيلة الدكتور: قلعي على الدلائل (٣/٢٤٦).

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (١٠٩١) والبيهقي واللفظ له (٣/٢٤٦).

الصحابة يريد صحبته، لكنه في حيرة من أمره، فامرأته ثقيلة، وهو يريد البقاء معها، ويريد مصاحبة النبي ﷺ، وهي كذلك.. كانت تصاحب النبي ﷺ في كل غزوة، لكن حالتها هذه المرة لا تساعد على المسير، ف:

### ما الذي حدث لأم سليم رضي الله عنها

يقول ابنها البار أنس بن مالك رضي الله عنه: (كانت أم سليم تسافر مع النبي ﷺ، تخرج معه إذا خرج، وتدخل معه إذا دخل)<sup>(١)</sup> (فضربها المخاض واحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق النبي ﷺ، فقال أبو طلحة: يا رب، إنك لتعلم أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى. تقول أم سليم: يا أبا طلحة، ما أجد الذي كنت أجد، فانطلقا)<sup>(٢)</sup>.

انطلق النبي وأصحابه إلى تلك الأرض التي غدرَ فيها بأولئك الشباب الأبطال.. انطلق ﷺ بجيشه جنوباً إلى تلك الأرض التي تقع بين عسفان ومكة، فما الذي حدث في:

### غزوة بني لحيان

يبدو أن بني سليم (رعل وذكوان وعصية) وكذلك لحيان قد علموا بقدم النبي ﷺ، وأدركوا فداحة جرمهم وشناعة خيانتهم للعهد، وانتهاكهم لحقوق جارهم ملاعب الأسنة، ورأوا بأعينهم ما حدث لذلك الشيطان الذي عبث بعقولهم من عقاب إلهي، وأدركوا بركان الغضب الإسلامي الزاحف نحوهم، فهربوا، وهم يحتاجون إلى من يجرهم من جحورهم فرداً فرداً، والنبي ﷺ وجيشه ليس لديهم وقت لهذا، فالعودة إلى المدينة أنسب في الوقت الحاضر، لكن لا بدّ من التخطيط للقضاء على مصادر الشرّ والجريمة المحيطة بالمدينة.. لا بدّ من تأديب من يتآمرون على الإسلام والمسلمين، فالتبى ﷺ جاء للأرض كلها.. جاء بالسلام والعلم للعالم أجمع، ولا يجوز حرمان العالم من هذه الرسالة الإلهية بسبب مجرم أو مجرمين من المشركين أو من اليهود.

عاد ﷺ إلى المدينة، وبعد عودته كان بانتظاره وانتظار صاحبه أبي طلحة خبر سعيد:

(١) سنده صحيح رواه الطيالسي ٢-١٦٠ وقد مر معنا عند الحديث عن الانتفاع بالخمير.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (٢١٤٤) وأحمد ٣-١٩٦.

## أم سليم تلد طفلاً

(أخذها الطلق ليلة قربهم من المدينة، فقالت: اللهم إنني كنت أدخل إذا دخل نبيك، وأخرج إذا خرج، وقد حضر هذا الأمر فولدت غلاماً<sup>(١)</sup>). وكان النبي ﷺ قد قال لأبي طلحة وأنس بن مالك قبل سفره: (إذا ولدت فائتوني بالصبي)<sup>(٢)</sup>.

يقول أنس: (فقالت لي أمي: يا أنس «انطلق بالصبي إلى رسول الله ﷺ» لا يرضعنه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ).

فلما أصبحت احتملته وانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، فصادفته ومعه ميسم «وهو يسم إبلأً وغنماً»، فلما رأيته قال: لعل أم سليم ولدت؟ قلت: نعم. فوضع الميسم<sup>(٣)</sup>، فحجته به فوضعت في حجر النبي ﷺ. ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة، فلاكها في فيه حتى ذابت، «فجعل يحنك الصبي، وجعل الصبي يتلمظ<sup>(٤)</sup>»، فقال ﷺ: انظروا إلى حب الأنصار التمر.

فحنكه رسول الله ﷺ «فمسح وجهه، وسمّاه عبد الله»<sup>(٥)</sup> (وكان يعدّ من خيار المسلمين)<sup>(٦)</sup>.

عاد الصغير إلى أمه واستجاب الله دعوة نبيه ﷺ لأم سليم وزوجها عندما مات ابنها الأكبر ففعلت أم سليم ما فعلت تلك الليلة.

سعيدة هي أم سليم، وسعادتها لا توصف.. سعيدة بزوجها وابنها، ولا أحد في مثل فرحها إلا امرأة تلد مثلها، وتفرح أكثر منها.. امرأة رزقت بنتاً يتيمة مات والدها قبل ولادتها، ومع ذلك فهي أسعد من أم سليم.. إنها:

(١) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن زواج أم سليم. رواه الطيالسي ٢-١٦٠.

(٢) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن زواج أم سليم. رواه الطيالسي ٢-١٦٠.

(٣) آلة أو حديدة يكوى بها الحيوان لتمييزه.

(٤) يذوقه بلسانه.

(٥) حديث صحيح رواه مسلم (٢١٤٤) وأحمد ٣-١٩٦ والزوائد للطيالسي ٢-١٦٠.

(٦) ليس من كلام أنس بل من كلام التابعي ثابت البناني.

## أم سلمة تلد بنتاً

كانت رضي الله عنها في فترة حداد وهي حامل، ولما وضعت ابنتها سمّتها (برة) لكن سعادتها لم تكن في ولادتها فقط، بل بشيء يحملها من عالم إلى عالم آخر يرضي عليها جلالة ومهابة وكرامة وألقاباً.. عالم تكون فيه حبيبة رجل هو حلم كل امرأة، فقد استجاب الله لها كما استجاب لأم سليم، فعند وفاة زوجها أبي سلمة دعت بتلك الدعوات: (اللهم اغفر لنا وله، وأعقبني منه عقبى حسنة)<sup>(١)</sup>.

أخبرينا يا أم سلمة ما هي العقبي الحسنة التي وهبك الله وأكرمك بها بعد أن كبرت ابنتك؟

تقول رضي الله عنها: (لما وضعت زينب، جاءني رسول الله ﷺ، فخطبني، فقلت: ما مثلي ينكح؟ أما أنا فلا ولد فيّ، وأنا غيور ذات عيال!! فقال ﷺ: أنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك، وأما العيال فإلى الله جلّ ثناؤه ورسوله.

فتزوَّجها ﷺ فجعل يأتيها، فيقول: أين زنا؟<sup>(٢)</sup> أين زينب؟ سؤال يفيض حياءً وأدباً.. سؤال ينضح بالأحاسيس النبوية المرهفة، لكن من هي زينب؟ وهل هي (برة) هذا ما سنعرفه بعد قليل. فلنعد لرسول الله ﷺ وأم سلمة.

تزوَّج ﷺ من أم سلمة، ومع ذلك فهو لا يصل إليها.. لأنه صاحب أسلوب راقٍ ومهذب في التعامل مع الآخرين.. كان ﷺ يستحي أن يفرق بين تلك اليتيمة المسكينة وأمّها ولو لدقائق.. كان ﷺ يحول لحظات الكبت المزعومة إلى أجواء فرح ودعابة يضيفها على تلك اليتيمة «زينب»، وعلى أمّها التي كان يدهشها ويسرّها أن ترى حياً يتسع لها ولأيتامها، وهم أحوج الناس إلى مثل هذا النبي الإنسان المحب.

ومرّت أيام والرسول ﷺ لم يتدّمّر ولم يتغيّر في تعامله مع ربيته وزوجته، لكن الخبر وصل إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه، وهو أخٌ لأم سلمة من أمّها «سمية» الشهيدة التي قتلها الطاغية الهالك أبو جهل، فلما علم عمار بحال النبي ﷺ أطلق قدميه نحو بيت أخته أم سلمة، فأخذ ابنة أخته ليسترضعها في بيته، أو عند أحد

(١) حديث صحيح مر معنا انظر: صحيح النسائي (١٧٢١) وصحيح ابن ماجه (١٤٤٧).

(٢) انظر: تخريجه في الحديث التالي فهو هو.

النساء.. أخذها عمار و(اختلجها<sup>(١)</sup>)، وقال: هذه تمنع رسول الله ﷺ وكانت ترضعها، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أين زنا ب؟ فقالت قريبة ابن أبي أمية - ووافقها عندها<sup>(٢)</sup> - أخذها عمار بن ياسر. فقال رسول الله ﷺ: إني آتيكم الليلة.

قالت: «فقلت» فوضعت ثفالي<sup>(٣)</sup>، وأخرجت حبات من شعير كانت في جرتي، وأخرجت شحماً فعصده له، ثم بات، ثم أصبح، وقال حين أصبح: إن بك على أهلك كرامة، فإن شئت سبعت<sup>(٤)</sup> لك، وإن أسبغ لك أسبغ لنسائي<sup>(٥)</sup> (وإن شئت ثلثت ثم درت؟ قالت: ثلثت<sup>(٦)</sup>) فأقام ﷺ ثلاثة أيام عند أم سلمة.. ثلاثة أيام هي أسعد أيامها، ثم قال: (للبرك سبع، وللثيب ثلاث)<sup>(٧)</sup> مدة إقامة المتزوج عند زوجته إذا كان عنده غيرها.

أقام ﷺ عند أم سلمة ثلاثة أيام سعيدة، ثم رتب لها يوماً كبقية زوجاته، وفي تلك الأيام الثلاثة كان يفيض على أم سلمة وعلى يتيمتها الصغيرة حباً ورحمة.. كان اسم زينب الصغيرة «برة»، فغيره ﷺ إلى اسم آخر هو زينب وذلك حالما سمعه:

### تغيير اسم برة بنت أبي سلمة

تقول تلك الطفلة اليتيمة رضي الله عنها إن النبي ﷺ: (دخل على أم سلمة حين تزوجها واسمي (برة)، فسمعتها تدعوني برة، فقال: لا تركوا أنفسكم، فإن الله هو أعلم بالبرة منكن والفاجرة، سميتها (زينب)). فقالت أم سلمة: فهي زينب، فقلت لها: اسمي؟

(١) أخذها.

(٢) أي: توافق مجيء النبي ﷺ مع زيارة تلك المرأة لأم سلمة.

(٣) هو ما يبسط تحت الرحي عند الطحن.

(٤) أي أقمت عندك سبعة أيام.

(٥) حديث حسن رواه ابن سعد ٨-٩٢ وأحمد ٢-٣٠٧ من طريق: روح بن عبادة وعبد الرزاق حدثنا ابن جريج، أخبرني حبيب بن أبي ثابت، أن عبد الحميد بن عبد الله والقاسم ابن محمد سمعا أبا بكر بن عبد الرحمن أن أم سلمة أخبرته. أبو بكر تابعي ثقة فقيه عابد التقريب ٦٢٣ وعبد الحميد يحتاج إلى توثيق لكن تابعه القاسم وهو مثله في الدرجة انظر: التقريب ٤٥٢ والنهذيب ٦-١١٨ وحبيب ثقة فقيه جليل، وابن جريج لم يدلس. وللحديث شاهد بسند ضعيف عند ابن سعد ٨-٩٠ وأحمد ٦-٣١٢ والحاكم ٤-١٧.

(٦) حديث صحيح رواه مسلم: ما تستحقه البكر والثيب من إقامة الزوج.

(٧) حديث صحيح. صحيح الجامع (٩١٩/٢).

فقالت: غَيْرَ إِلَى مَا غَيْرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ<sup>(١)</sup>.

كَانَ ﷺ يُحِبُّ الْأَسْمَاءَ الْجَمِيلَةَ.. ذَاتَ يَوْمٍ عَلِمَ ﷺ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمَّى ابْنَتَهُ «عَاصِيَةَ»، فَمَاذَا فَعَلَ؟

يَقُولُ أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ، وَقَالَ: أَنْتَ جَمِيلَةٌ)<sup>(٢)</sup>، فَأَصْبَحَ اسْمُهَا جَمِيلَةَ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.. هِيَ جَمِيلَةٌ حَقًّا، وَأَبُوهَا أَجْمَلُ مِنْهَا.

لَمْ يَكُنْ ﷺ يَغَيِّرُ أَسْمَاءَ الْأَطْفَالِ فَقَطْ، بَلْ كَانَ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْعَجَائِزِ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ الْجَمَالِ، فَقَدْ ذَكَرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: شِهَابٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَلْ أَنْتَ هِشَامٌ)<sup>(٣)</sup>، (وَكَانَ ﷺ إِذَا أَتَاهُ الرَّجُلُ وَلَهُ اسْمٌ لَا يُحِبُّهُ حَوَّلَهُ)<sup>(٤)</sup> إِلَى اسْمٍ أَجْمَلٍ وَأَلْطَفٍ.

فِي هَذِهِ الْأَجْوَاءِ.. أَجْوَاءُ الْجَمَالِ وَاللُّطْفِ وَالْأَعْرَاسِ وَالْأَسْمَاءِ الْمَحْبُوبَةِ.. تَشْرُقُ عَلَيْنَا قِصَّةٌ مِنْ بَيْتِ عَائِشَةَ الْحَبِيبَةِ، حَيْثُ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَ عَائِشَةَ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ زَوْجَاتِهِ كَانَ غَايَةَ فِي اللَّطْفِ وَالرَّقَّةِ وَالتَّوَاضُعِ.

بَيْنَمَا كَانَ ﷺ هُنَاكَ.. جَاءَتْ عَجُوزٌ لَا تَعْرِفُهَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لَكِنَّا نَحْدِثُهَا عَنْهَا فَتَقُولُ: (جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَنْتِ؟

قَالَتْ: أَنَا جَثَامَةُ الْمَرْزِيَّةِ.

(١) سنده قوي رواه ابن إسحاق ومن طريقه البخاري في الأدب المفرد (٨٢١) : حدثني محمد بن عمرو بن عطاء أنه دخل على زينب بنت أبي سلمة، فسألته عن اسم أخت له عنده، قال: فقلت: اسمها برة قالت: غير اسمها، ثم ذكرت كلاماً وبقيّة الحديث..

(٢) حديث صحيح رواه مسلم.

(٣) سنده حسن رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٢٥).

(٤) حديث حسن رواه الطبراني ١٧-١١٩ حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي وأبو زيد الحوطي، قال: حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد قال: قال عتبة بن عبد السلمي: «رضي الله عنه» وقد صحح الإمام الألباني سنده في السلسلة (٢٠٩) وهذا الحكم صحيح لولا إشكالية سماع شريح من عتبة فهو كثير الإرسال، حتى لقد قيل لمحمد بن عوف: هل سمع من أبي الدرداء؟ فقال: لا. فتيل: فسمع من أحد من أصحاب النبي؟ قال: ما أظن ذلك، وذلك أنه لا يقول في شيء من ذلك: سمعت. التهذيب (٢٢٨/٤) لكن الحديث حسن بالروايات الأخرى.

فقال: بل أنت حسانة المزنية. كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت:  
بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

«فقرب إليه لحم، فجعل يناولها، فقلت: يا رسول الله لا تغمر يدك». فلما خرجت  
قلت: يا رسول الله.. تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت تأتينا زمن  
خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان<sup>(١)</sup>.

ما أجمل هذا النبي الوفي.. تطلق وجهه لما رأى تلك العجوز التي كانت تزورهم  
أيام خديجة، وأضاف إلى جمال وفائه جمالاً آخر عندما غير اسمها.. نزع عنها ذلك  
الاسم الثقيل، الذي جمع في معناه أشياء كثيرة وكريهة، فهو يعني الكابوس والبليد  
الذي لا ينهض للمكرم، والكسلان الذي يتبرم بالحركة! غيره.. استبدله بـ«حسانة»  
اسم كالاتسامة

كانت في بيت النبوة أفراح وأعراس.. يهفو لمثلها شاب حزين.. يرنو إلى غسل ما  
بداخله من هموم.. شاب مثقل بالمسؤوليات، لكن الحيرة في اختيار زوجة تشغله، فهو  
جديد على مثل هذه التجربة، ولديه من الأيتام الكثير.

هل يتزوج فتاة صغيرة في مثل سنّ أخواته.. يقضي معها أيام مرح وسعادة؟ أم  
يضحي بسعادته من أجل أخواته المسكينات، ويتزوج امرأة سبق لها أن تزوجت.. سبق  
لها أن كانت ربّة بيت لتعتني بأخواته الصغيرات وبه أيضاً؟.

سنترك هذا الصحابي ليقرّر، فنحن على عجلة من أمرنا، فالرسول ﷺ قرّر أن  
يتوجّه إلى أرض نجد.. حيث تعدّ له قبيلة غطفان جيشاً لحربه.

(١) سننه قوي رواه الحاكم ١-٦٢ والبيهقي في الشعب ٦-٥١٧ من طريق: الضحاك بن مخلد حدثنا صالح  
ابن رستم حدثنا ابن أبي مليكة.. وابن أبي مليكة تابعي أدرك ثلاثين صحابياً وهو عبد الله بن عبيد الله  
ثقة فقيه - التقريب ٣١٢ والضحاك ثقة ثبت التقريب ٢٨٠ أما صالح فحسن الحديث، إذا لم يخالف..  
توثيقه قوي وجرحه غير مفسر، قال أبو داود: ثقة، وقال الطيالسي وهو تلميذه: ثقة، وقال البزار: ثقة،  
وقال ابن وضاح: ثقة وقال ابن عدي: عزيز الحديث روى عنه يحيى القطان مع شدة استقصائه وهو  
عندي لا بأس به ولم أر له حديثاً منكراً، وقال العجلي جازئ الحديث.. أما جرحه فقد قال الدارقطني:  
ليس بالقوي. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم أما ابن معين فقال مرة: ضعيف وقال مرة: لا  
شيء.. وهو يعني بهذه من ليس له من الحديث إلا القليل، وهذا الجرح لا ينهض أمام ذلك التوثيق المعتبر  
- التهذيب ٤-٣٩١.

تزوَّج ذلك الشاب، ولما دعا داعي الجهاد ودَّع زوجته وأخواته، ولحق برسول الله ﷺ نحو أرض نجد، فهو لن يتخلف عن أي غزوة يغزوها رسول الله ﷺ بعد اليوم، فوالده رحمه الله ورضي عنه قد توفي، وهو السبب الوحيد في منعه من حضور غزوتي: بدر وأُحد.. إنه جابر بن عبد الله وهو الآن في مكان يقال له:

## ذات الرقاع

مع رسول الله ﷺ حيث تقف أمامهم حشود بني محارب وغطفان، ويبدو من المشهد أن حرباً لم تقع بين الطرفين، لكن الوضع متوتر للغاية، والأعصاب مشدودة.. خاصة أعصاب المشركين. أمّا المؤمنون، فبعضهم كان في حالة حراسة، والبعض في حالة استرخاء أو نعاس، أما نبيّ الله ﷺ فقد علق سيفه بشجرة ثم نام.

يقول جابر: (أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بذات الرقاع، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ)<sup>(١)</sup> (فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاء، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرَّق الناس في العضاء يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق بها سيفه. «ثم نام».

قال جابر: فمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئنا، فإذا عنده أعرابي جالس)<sup>(٢)</sup> من بني محارب!

ماذا يفعل هذا الأعرابي، هل جاء ليعلن إسلامه، أم جاء ليفاوض؟ ما قصته، ولماذا يمسك بسيف رسول الله ﷺ..؟

## أعرابي يحاول قتل النبي ﷺ بسيفه

يقول جابر: (قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخل، «فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاء، فتفرق الناس في العضاء يستظلون بالشجر، فنزل النبي ﷺ تحت شجرة، فعلق بها سيفه ثم نام»، فأرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له:

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٣٦) ومسلم (٨٤٣)، واللفظ له.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٣٥) والزوائد عنده (٢٩١٣).

(غورث بن الحارث) «فاستيقظ ﷺ وعنده رجل لا يشعر به» حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال ﷺ: الله عز وجل.

فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خيراً أخذ.

قال ﷺ: أتشهد أن لا إله إلا الله، قال: لا. ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلّى سبيله، فذهب إلى أصحابه، فقال: جئتم من عند خير الناس<sup>(١)</sup>.

إذاً فقد (خرج النبي ﷺ إلى ذات الرقاع من نخل، فلقي جمعاً من غطفان، فلم يكن قتال، وأخاف الناس بعضهم بعضاً، فصلّى النبي ﷺ ركعتي الخوف)<sup>(٢)</sup>، فما هي:

### صلاة الخوف؟

يقول جابر رضي الله عنه: (نودي بالصلاة، فصلّى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا وصلّى بالطائفة الأخرى ركعتين، فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات، وللقوم ركعتين)<sup>(٣)</sup>. أمّهم ﷺ جميعاً ولم يقصر، لكنه صلّى بهم مرة أخرى في هذه الغزوة وقصر معهم.

### صفة ثانية لصلاة الخوف

يقول أحد الصحابة (صلّى مع رسول الله ﷺ في يوم ذات الرقاع صلاة الخوف: إن طائفة صفت صلت معه، وطائفة وجاء العدو، فصلّى بالذين معه ركعة، ثم ثبت قائماً

(١) سنده صحيح رواه أحمد ٣٦٥-٣ والبيهقي ٢-٢٧٦ من طريق: عفان، وعاصم بن علي، وأبو بكر الإسماعيلي، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر. سليمان تابعي ثقة، وتلميذه أبو بشر اسمه جعفر بن إياس تابعي ثقة، التهذيب ٤-٢١٤ وأبو عوانة ثقة ثبت اسمه: الوضاح بن عبد الله اليشكري. وزوائد الحديث عند البخاري (٢٩١٢).

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق وعلقه البخاري فقال: قال ابن إسحاق سمعت وهب بن كيسان، سمعت جابراً (٤١٢٦). وهب ثقة من رجال الشيخين، التقريب ٥٨٥.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم عن جابر (٨٤٣).

وَأَتَمُّوا لأنفسهم، ثم انصرفوا وجاء العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلَّى بهم الركعة التي بقيت، ثم ثبت جالساً وَاَتَمُّوا لأنفسهم، ثم سلَّم بهم<sup>(١)</sup>.

فصلَّى النبي ﷺ ركعتين، وصلَّت كل طائفة ركعتين أيضاً.

كانت غزوة ذات الرقاع حافلةً بالمشاعر لا بالدماء.. حافلةً بالمعجزات والكرامات.. لم يكن فيها قتال، لكن ذلك المكان المسمى بـ: «ذات الرقاع» كان ساحة للخوف والتوتر.. أخاف الناس بعضهم بعضاً، ثم تفرَّقوا دون دماء<sup>(٢)</sup>.. أخاف النبي أعداءه وكسب ثناء بعضهم، وحقَّق ﷺ بجيشه نصراً معنوياً له رصيده في النفوس، ثم عادوا إلى المدينة والشوق يحملهم، وكان أشدهم شوقاً ذلك الشاب «جابر» الذي رقص قلبه طرباً عندما اقترب الجيش من المدينة، لكن شيئاً كان يعيقه عنها.. يعيقه حتى عن أصحابه، حتى كان آخر من يسير في الجيش. لقد كانت في طريق العودة قصة لـ:

## جابر وجمله الهزيل

فبينما كان جابر بأحرَّ الشوق إلى عروسه.. كان ذلك الجمل لا يبالي بتلك المشاعر.. يبدو أنه كان يستمتع بالراحة ومشاهدة ما حوله من مناظر، فهو يسير بطريقة مملة ومزعجة. شاهد ﷺ ما يحدث فتحرك قلبه نحو جابر، فكانت هذه القصة المنسوجة بالمشاعر والأشواق والمعجزات:

(١) حديث صحيح رواه مسلم «صلاة الخوف» (٨٤٣).

(٢) أقول ذلك لأنه قد روي بسند ضعيف عند الأئمة: من طريق ابن إسحاق حدثنا عمي صدقة عن عقيل عن جابر، أحمد (٣/٢٤٤-٣٥٩) وأبي داود (١٩٨) والبيهقي (٣/٢٧٩) وابن خزيمة (٣٦) وحسنه شيخنا الفاضل محمد مصطفى الأعظمي حفظه الله ووافقه الإمام الألباني. وحسنه كذلك في صحيح سنن أبي داود: إن امرأة أصيبت من المشركين.. ثم ذكر قصة الصحابيِّين اللذين أصيب أحدهما بثلاثة أسهم بينما كان الآخر نائماً.. وهذه القصة ضعيفة السند رغم ما سبق لأنها من طريق عقيل بن جابر.. وهو لم يوثق إنما ذكره ابن حبان في ثقافته وسكت وهذا ليس بتوثيق ولذلك قال الحافظ في التقریب (٢٩/٢) إنه «مقبول» أي عند المتابعة.. ولم أجد له متابعاً.. ومما يوحى بضعفه عند الإمام البخاري رحمه الله أنه قال في الفتح - كتاب الوضوء - ٣٤ - : ويذكر عن جابر.. وعلق الحافظ بقوله: عقيل بفتح العين، لا أعرف راوياً عنه غير صدقة، ولهذا لم يجزم به المنصف، أو لكونه اختصره، أو للخلاف في ابن إسحاق. والذي يبدو لي أن السبب الأول هو الصحيح لأن البخاري ذكر ابن إسحاق وسنده الصحيح في غزوة ذات الرقاع بصيغة الجزم فقال: قال ابن إسحاق. والسبب الثاني بعيد. فبقي السبب الأول نظراً لجهالة حال عقيل رحمه الله.

يقول جابر رضي الله عنه: (خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جبل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرفاق تمضي، وجعلت أتخلف «على بعير قطوف»<sup>(١)</sup> «جمل ثمال إنما هو في آخر القوم»<sup>(٢)</sup> «قد أعبى فلا يكاد يسير»<sup>(٣)</sup> حتى أدركني النبي ﷺ، «فمر بي النبي ﷺ فقال: من هذا؟ قلت: جابر»<sup>(٤)</sup> فقال: ما لك يا جابر؟ قلت: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا. قال ﷺ: أنخه.

فأنخته، وأناخ رسول الله ﷺ «قال ﷺ: أمعك قضيب؟ قلت: نعم، قال: أعطني»<sup>(٥)</sup> أعطني هذه العصا التي في يدك، فأعطيته إياها أو قطعت له عصية من شجرة، فأعطيته إياها، فنخسه بها نخسات، «فدعا له»<sup>(٦)</sup>، ثم قال: اركب يا جابر.

فركبت «فسار سيرا ليس يسير مثله»<sup>(٧)</sup>، فخرج والذي بعثه بالحق يواحق ناقتة مواهقة، «فكان من ذلك المكان من أول القوم»<sup>(٨)</sup>، فتحدث مع رسول الله ﷺ فقال: «كيف ترى بعيرك»<sup>(٩)</sup>، أتبعني جملك هذا يا جابر؟ قلت: بل أهبه لك. قال: لا، ولكن بعنيه. قلت: فسُمنيه. قال ﷺ: قد أخذته بدرهم. قلت: لا، إذا تغبني يا رسول الله. قال: فبدرهمين، قلت: لا، فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ حتى بلغ الأوقية. قال ﷺ: «بعنيه بأوقية. قلت: لا، ثم قال: بعنيه بأوقية. فبعته، فاستثيت حملانه إلى أهلي»<sup>(١٠)</sup>، فقال ﷺ: «ولك ظهره إلى المدينة»<sup>(١١)</sup>. فقلت: أفقد رضيت؟ قال ﷺ: نعم. قلت: فهو لك. قال ﷺ: قد أخذته. «فانطلق بعيري كأجود ما أنت راء من الإبل»<sup>(١٢)</sup>، «فلحقني راكب من خلفي فالتفت فإذا أنا برسول الله ﷺ، قال: ما يعجلك؟ قلت: إني حديث

(١) البخاري (٥٢٤٥). والقطوف هو البطن.

(٢) البخاري (٢٣٠٩). الثمال هو الثقليل.

(٣) البخاري (٢٩٦٧). يعني أنه يعاني من الهزال والتعب.

(٤) البخاري (٢٣٠٩).

(٥) البخاري (٥٢٤٥).

(٦) البخاري (٢٧١٨).

(٧) البخاري (٢٧١٨).

(٨) البخاري (٢٣٠٩).

(٩) البخاري (٢٣٨٥).

(١٠) البخاري (٢٧١٨). أي اشترط جابر أن يسلمه في المدينة.

(١١) البخاري (٢٧١٨).

(١٢) البخاري (٥٠٧٩).

عهد بعرس»<sup>(١)</sup> «فقال لي رسول الله ﷺ: تزوجت يا جابر؟ فقلت: نعم. فقال: بكرةً أم ثيباً؟ قلت: بل ثيباً. قال: فهلاً جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك»<sup>(٢)</sup> «ما لك وللعدارى ولعابها»<sup>(٣)</sup>؟

«قلت: يا رسول الله، إن أبي قتل يوم أحد وترك تسع بنات، كنّ لي تسع أخوات، فكرهت أن أجمع إليهن جارية خرقاء مثلهن»<sup>(٤)</sup>، «فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن»<sup>(٥)</sup> «تعلمهن وتؤدّبهن»<sup>(٦)</sup>، «امرأة تمشطنهن وتقوم عليهن.

قال ﷺ: أصبت»<sup>(٧)</sup> «إن شاء الله «بارك الله عليك»<sup>(٨)</sup>، «بارك الله لك»<sup>(٩)</sup>، قال ﷺ: أما إنا لو جئنا صراراً<sup>(١٠)</sup> أمرنا بجزور، فنحرت، فأقمنا عليها يومنا ذلك، وسمعت بنا فنفضت نمارقها. فقلت: والله يا رسول الله ما لنا نمارق. قال ﷺ: إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً «الكيس الكيس»<sup>(١١)</sup>.

فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور «أو بقرة فذبحت فأكلوا منها»<sup>(١٢)</sup> وأقمنا عليها ذلك اليوم، «فلما ذهبنا لندخل قال ﷺ: أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً - أي عشاءً - لكي تمشط الشعثة، وتستحد الغيبة»<sup>(١٣)</sup>. فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا، فحدثت المرأة الحديث، وما قال لي رسول الله ﷺ، قالت: فدونك، فسمع وطاعة»<sup>(١٤)</sup>.

(١) البخاري (٥٠٧٩).

(٢) البخاري (٥٣٦٧).

(٣) البخاري (٥٠٨٠).

(٤) البخاري (٤٠٥٢).

(٥) البخاري (٥٠٨٠).

(٦) البخاري (٢٤٠٦).

(٧) البخاري (٤٠٥٢).

(٨) البخاري (٦٢٨٧).

(٩) البخاري (٥٠٨٠).

(١٠) مكان قريب من المدينة.

(١١) البخاري (٢٠٩٧) (٥٢٤٥).

(١٢) البخاري (٣٠٨٩).

(١٣) البخاري (٥٠٧٩).

(١٤) سنده صحيح رواه ابن إسحاق: حدثني وهب بن كيسان عن جابر.. ووهب تابعي ثقة من رجال الشيخين

- التقريب (٥٨٥).

تأثرت تلك المرأة الصالحة بذوق رسول الله ﷺ الرفيع، وأسلوبه الرائع في منح الأنوثة وهجها وعطرها الذي لا يقاوم، حتى ينهار ذلك الحبيب القادم أمام هذا السحر الحلال، ويستسلم ذلك المحارب مهزوماً بالحب الطاهر، وهو الذي لا يستسلم إذا هاجت الحرب والحراب.

لم يكن ﷺ وحده في رقي الذوق وجمال الأسلوب.. زوجاته رضي الله عنهن كن كذلك.. كن نسيجاً من الرقة والإحساس.

ذات يوم (دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ، فرأيتها سيئة الهيئة، فقلن لها: ما لك؟ فما في قريش أغنى من بعلك. قالت: ما لنا منه شيء، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم، فدخل النبي ﷺ، فذكرن ذلك له، فلقيه، فقال: يا عثمان بن مظعون، أما لك بي أسوة؟ فقال: يا بأبي وأمي، وما ذاك؟ قال: تصوم النهار وتقوم الليل؟ قال: إني لأفعل. قال ﷺ: لا تفعل، إن لعينيك عليك حقاً، وإن لجسدك حقاً، وإن لأهلك حقاً، فصلّ ونم، وسم وأفطر» يا عثمان، إن الرهبانية لم تكتب علينا، أما لك في أسوة؟ أما والله إن أخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده لأنا».

فأنتهت بعد ذلك عطرة كأنها عروس. فقلن: مه؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس<sup>(١)</sup> من ودٍّ ووصال في أجواء يمطر الإسلام فيها حباً وقلوباً، فما بين

## المرأة والرجل

أكثر من الجسد.. إنها أشياء حميمة تجعل للعالم مذاقاً أجمل.. المرأة بالنسبة للرجل - إذا تحضّر بالإسلام- عبق لا ينقطع.. ربيع في كل الفصول.. مطر صيفي.

هل هناك أرقّ من قوله ﷺ لحادي العيس ذي الصوت الجميل: (رويدك بالقوارير)<sup>(٢)</sup>؟

(١) رجال ثقات لكنه مرسل، رواه ابن سعد (٣/٢٩٤) أخبرنا الفضل بن دكين، أخبرنا إسرائيل وأخبرنا الحسن ابن موسى، أخبرنا زهير، أخبرنا أبو إسحاق، عن أبي بردة.. وهذا مرسل إلا إن كان أبو بردة هو الصحابي - وللحديث شاهد بسند صحيح رواه عبد الرزاق (٦/١٦٧) عن معمر عن الزهري عن عروة وعمرة عن عائشة.. وما بين الأقواس الصغيرة هو ما جاء فيه من حديث النبي ﷺ..

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٦١٦١).

هل هناك أبهى من قوله: (حَبَّبَ إِلَى مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءَ وَالطَّيِّبَ) (١)؟

إن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أراد أن ينقطع للعبادة صياماً وقياماً، حتى لقد باح للنبي ﷺ بنيتّه أن يجري عملية تتقطع بها صلته بالمرأة تماماً، لكن النبي ﷺ نهاه، وقال له: (إن الرهبانية لم تكتب علينا) (٢).

إذاً فلا رهبانية في الإسلام، فالرهبانية هناك عند النصارى، وخلف حصون بني المصطلق وقريظة وغيرهم من يهود.

تعالوا -وقبل أن تنتهي من قصة جابر وجمله - نزور حصون اليهود، لنرى مدى علاقتهم بالمرأة في تلك الأيام، تعالوا نزور:

### زريبة للنساء

هذا هو أقل وصف أصف به أماكن تواجد المرأة اليهودية، أمّا المرأة نفسها عند أولئك القوم فهي أقل رتبة من الحيوان.. أقل رتبة من الخنازير القذرة.

يقول أنس بن مالك: (إن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت، ولم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجامعوها في البيت، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله سبحانه: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

فقال رسول الله ﷺ: جامعوهن في البيوت، واصنعوا كل شيء غير النكاح، فقالت اليهود: ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه) (٣).

ها هو ﷺ مع زوجته أم سلمة رضي الله عنها نائمان فأصابها الدم، فهل طردها ﷺ من بيته أو من فراشه..؟

(١) صحيح رواه وأحمد ٣-١٢٨ وغيره من طرق عن ثابت عن أنس وثابت تابعي ثقة

(٢) مر معنا.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم -الحيض وأبو داود (٢٢١).

لن أجيب.. أم سلمة ستجيب.

تقول رضي الله عنها: (بيننا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خميصة إذ حضت، فانسلت، فأخذت ثياب حيضتي، فقال ﷺ: أنفست؟ قلت: نعم. فدعاني فاضطجعت معه في الخميصة)<sup>(١)</sup>.

أما عائشة فتروي لنا أشياء تغيض اليهود حتى الموت، فتقول رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يقرأ القرآن ورأسه في حجري، وأنا حائض)<sup>(٢)</sup>.

وتقول أيضاً: (إنها كانت ترجل رسول الله ﷺ وهي حائض ورسول الله ﷺ حينئذٍ مجاور في المسجد، يدني لها رأسه وهي في حجرتها فترجله وهي حائض)<sup>(٣)</sup> أي تسرح شعره.

ونادها ذات يوم لتعطيه السجادة ليصلي عليها وهو في المسجد وهي حائض، فتقول: (قال لي رسول الله ﷺ: ناوليني الخمرة من المسجد. فقلت: إني حائض. فقال رسول الله ﷺ: ليست حيضتك في يدك)<sup>(٤)</sup>.

إذاً فالطمث مجرد أذى يتخلص منه جسم المرأة كما يتخلص الجسد من إفرازاته، لكن قد يقول قائل: إن اليهود كانوا يعتقدون ذلك ومعهم النصارى، لكنهم اليوم يدعون إلى تحرير المرأة، وإلى إعطائها حقوقها كاملة..؟

فأقول: لننسى لدقائق كلام أنس بن مالك السابق، ولننسى ما كان يفعله اليهود والنصارى في السابق، ولنقل إنهم يمثلون أنفسهم فقط، ولا يمثلون الدين اليهودي والنصراني. لننسى ذلك ولننتوجه إلى يهود اليوم ونصارى اليوم، الذين أزعجوننا وأزعجوا نساءنا حول تحرير المرأة، والمناداة بحقوقها، ماذا يقول دينهم الآن..؟ ماذا يقول كتابهم المقدس اليوم؟ وبعد ألفي عام من المراجعة والتمحيص والدراسة..؟ ربما نجد سرّ هذا الضجيج.

أمامي الآن كتابهم المقدس وهو يتحدث عن المرأة، فيقول:

(وإذا كان بامرأة سيلان دم من جسدها كعادة النساء:

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٩٨). ومعنى أنفست: أي هل حضت.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٧٥٤٩).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٢٩٦).

(٤) حديث صحيح رواه مسلم (الحيض) والنسائي - (٢٧١).

فسبعة أيام تكون في طمئتها .

وكل من لمسها يكون نجساً إلى المغيب .

وجميع ما ترقد عليه أو تجلس عليه يكون نجساً .

وكل من لمس فراشها يغسل ثيابه، ويستحم بالماء ويكون نجساً إلى المغيب .

ومن لمس شيئاً مما تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بالماء، ويكون نجساً إلى المغيب .

إن كان فراشها أو ما هي جالسة عليه شيء: فمن لمسه يكون نجساً إلى المغيب .

إن ضاجعها رجل فأصابه شيء من دم الحيض - فكم تتوقعون مدة نجاسته؟ إلى

المغيب؟ لا .

الكتاب المقدس يقول: يكون نجساً سبعة أيام .

وكل فراش يستلقي عليه يكون نجساً<sup>(١)</sup> .

إن معنى هذا أن الرجل يحيض أيضاً .

أين هذا الهراء من قول عائشة رضي الله عنها: (كنت أنا ورسول الله ﷺ نبيت في الشعار الواحد<sup>(٢)</sup>)، وأنا طامث حائض، فإن أصابه مني شيء غسل مكانه، لم يعد<sup>(٣)</sup>، وصلّى فيه، ثم يعود، فإن أصابه منه فعل مثل ذلك غسل مكانه لم يعد، وصلّى فيه<sup>(٤)</sup> .

بل إن رسول الله ﷺ يصرّ على أن تأكل عائشة وتشرب قبله وهي حائض، بل يقسم عليها، ثم يقوم بحركة تتوهج منها الرقة والحب.. حركة تدخل السرور إلى قلبها ونفسها .

سئلت عائشة رضي الله عنها: (هل تأكل المرأة مع زوجها وهي طامث؟ قالت: نعم، كان رسول الله ﷺ يدعوني فأكل معه وأنا عارك، كان يأخذ العرق<sup>(٥)</sup>)، فيقسم عليّ فيه، فأعترق منه<sup>(٦)</sup>)، ثم أضعه، فيأخذه، فيتعرق منه، ويضع فمه حيث وضعت فمي من

(١) الكتاب المقدس - اللاويين - شريعة ما يفرزه الجسد - ١٤ .

(٢) أي الثوب الذي يلاصق الجسم مباشرة .

(٣) أي يغسل مكان الدم فقط ولا يغسل ما حوله .

(٤) حديث صحيح - انظر صحيح أبي داود (٥١/١) والنسائي (١٢٥/١) .

(٥) عظم في لحم .

(٦) أكل منه .

العرق، ويدعو بالشراب، فيقسم عليّ فيه من قبل أن يشرب منه، فأخذه فأشرب منه، ثم أضعه، فبأخذه فيشرب منه، ويضع فمه حيث وضعت فمي من القدح<sup>(١)</sup>.

أين هذا من دين اليهود والنصارى الذي يعاملون المرأة كمخلوق من الدرجة العاشرة.. مخلوق نجس.. أنجس من النجاسة نفسها.. كل شيء تلمسه يتنجس.. كل شيء يلمسها يتنجس.. كل من لمس شيئاً لمستته ينجس. أي أن المرأة لا يمكن أن تبقى في المنزل وإلاّ أصبح المنزل نجساً ملوّثاً تجوبه الأثام والشياطين. لا بدّ من وضع النساء اليهوديات والنصرانيات في زرائب خاصة نجسة، حتى ينقطع دم الحيض عنهن.

لا، وحتى لو انقطع الطمث، فانقطاعه لا يكفي للخروج من الزريبة، لأن كتابهم المقدس يقول: (وإذا طهرت من سيلانها فلتتظر سبعة أيام ثم تطهر)<sup>(٢)</sup>.

هل يكفي هذا أيّها الكتاب المقدس؟

لا. فالحيض ليس نجاسة فقط، بل هو ذنب ترتكبه المرأة، ولا بدّ من تكفيره. كيف؟

يقول كتابهم المقدس: (وفي اليوم الثامن تأخذ لها يمامتين أو فرخي حمام، وتجيء بهما إلى الكاهن «العالم المسؤول عن دار العبادة» فيذبح واحدة ويحرق الأخرى ويكفّر عنها الكاهن بعد ذلك أمام الرب سيلان نجاستها)<sup>(٣)</sup>.

ترى كم بقي للمرأة من أيام شبابها لتعامل فيها كإنسان؟

يبدو من كلامهم السابق أن المرأة قذفت من كوكب مليء بالشياطين والنفايات.

دعونا من اليهود والنصارى الآن.. سنعود لهم فيما بعد، فالأيام حبلى بالمثير والجديد. سنعود إلى جابر رضي الله عنه: الذي يخرج الآن من بيته قاصداً النبي ﷺ ليسلمه جملة الذي باعه عليه، لكنه يمرّ على خاله ليسلمّ عليه، ويخبره ببيعه الجميل.

يقول جابر: (فقدمت فأخبرت خالي ببيع الجميل، فلامني، فأخبرته بإعياء الجميل، وبالذي كان من النبي ﷺ ووكزه إياه)<sup>(٤)</sup> ثم توجه جابر نحو بيت رسول الله ﷺ وهو

(١) حديث صحيح.. صحيح سنن النسائي (٨٠/١) ورواه مسلم مختصراً.

(٢) الكتاب المقدس - سفر اللاويين - شريعة ما يفرزه الجسد.

(٣) المصدر السابق.

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٢٤٠٦).

ملاصق للمسجد، فوصل جابر في وقت (دخل النبي ﷺ المسجد في طوائف أصحابه، فدخلت عليه، وعلقت الجمل في ناحية البلاط، فقلت له: هذا جملك) (١) (فقال ﷺ: صلّ ركعتين) (٢).

وبعد أن صلّى جابر ركعتين (خرج ﷺ فجعل يطيف بالجمل، ويقول: الجمل جملنا، فبعث النبي ﷺ أوقية من الذهب، فقال: أعطوها جابراً) (٣) (فوزن لي بلالاً فأرجح في الميزان) (٤) (قال ﷺ: يا بلال، اقضه وزده. فأعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطاً).

قال جابر: لا تفارقني زيادة رسول الله ﷺ. فلم يكن القيراط يفارق قراب جابر بن عبد الله) (٥)، ثم قال ﷺ: (استوفيت الثمن؟ قلت: نعم) (٦) (فانطلقت حتى وليت فقال: ادعوا لي جابراً. قلت: الآن يردّ عليّ الجمل، ولم يكن شيء أبغض إليّ منه. قال ﷺ: خذ جملك ولك ثمنه) (٧) (الثمن والجمل لك) (٨)، فانطلق جابر بالمال والجمل وحبّ النبي ﷺ، وبشّر أخواته وزوجته بهذا اللطف والعطف الأبويّ عندما قال له النبي ﷺ: (يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك) (٩).

وكما كان هذا الشاب في أوج فرحه اليوم، فقد جاء إلى النبي ﷺ شاب يوشك أن يخسر زوجته.. اسمه زيد بن محمد

## زيد بن محمد ليس زيد بن محمد

كان اسمه زيد بن حارثة.. اشتراه النبي ﷺ في مكة، فأعتقه، وأحبه وعاملة بغاية اللطف، وكان قد أخذ من قومه، فلما علموا بمكانه جاء أخوه «جبله» إلى النبي ﷺ مطالباً بتسليم أخيه إليه ليردّه إلى أمّه وأبيه وقومه.

- (١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٨٦١).
- (٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٤٣).
- (٣) حديث صحيح رواه البخاري (٢٨٦١).
- (٤) حديث صحيح رواه البخاري (٢٠٩٧).
- (٥) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٠٩).
- (٦) حديث صحيح رواه البخاري (٢٨٦٢).
- (٧) حديث صحيح رواه البخاري (٢٠٩٧).
- (٨) حديث صحيح رواه البخاري (٢٨٦١).
- (٩) هو حديث ابن إسحاق الصحيح السابق.

يقول جبلة: (قدمت على رسول الله ﷺ، فقلت له: يا رسول الله، ابعث معي أخي زيدا؟ قال ﷺ: هوذا، فإن انطلق معك لم أمنعه.

قال زيد: يا رسول الله، والله لا أختار عليك<sup>(١)</sup>).

قال جبلة بعد أن سمع كلمات أخيه الشاب: (فرأيت رأي أخي أفضل من رأيي)<sup>(٢)</sup>.

فبادل ﷺ حب زيد بحب يسير معه أينما سار، ويُعرّف به إذا ما رؤي. لقد وهبه ﷺ اسمه، وتبناه، وسمّاه (زيد بن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب).

يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب: (ما كنّا ندعو زيد بن الحارثة إلا: زيد بن محمد)<sup>(٣)</sup> ثم زوجته ﷺ امرأة حبشية سالحة تدعى: «أم أيمن» فولدت له حبيبا آخر لرسول الله ﷺ.. ولدت له (أسامة بن زيد بن محمد)، ذلك الطفل الأسمر العذب، الذي دخل على النبي ﷺ ذات يوم وهو في بيت عائشة وهو السابعة ف (أراد النبي ﷺ أن ينحي مخاط أسامة. قالت عائشة: دعني حتى أكون أنا الذي أفعل. قال ﷺ: يا عائشة أحبيه فإنني أحبه)<sup>(٤)</sup>.

ولا يكتفي ﷺ بمطالبة عائشة رضي الله عنها بأن تحبه، بل إنه ﷺ يدعو ربه أن يحبه.

يحدثنا أسامة عن أحضانه ﷺ، وعن قبلاته ودعواته له وهو طفل فيقول: (كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن ابن علي على فخذه الآخر، ثم يضمّهما، ثم يقول: اللهم ارحمهما فإنني أرحمهما)<sup>(٥)</sup> (اللهم أحبهما فإنني أحبهما)<sup>(٦)</sup>.

(١) سنده قوي رواه الترمذي (٣١٨٥) والحاكم ٢-٢٢٧ وغيرهم من طريق علي بن مسهر عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي عمرو الشيباني حدثني جبلة. أبو عمرو ثقة مخضرم اسمه سعد بن إياس، التقريب ٢٢٣ وإسماعيل تابعي ثقة ١٠٧ وعلي بن مسهر ثقة ٤٠٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٧٨٢) والترمذي واللفظ له.

(٤) سنده حسن، صحيح الترمذي للألباني (٤٠٩٨) وابن حبان (٥٢٤/١٥).

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٦٠٠٣).

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٢٥).

كان ذلك الطفل الأسمر عنبراً في ثياب النبي ﷺ، أما ما فعله ﷺ بأسامة بعد أن رأى الدم ينبع من جبهته السمراء الطاهرة، وما فعله لعينيه البريئتين وهما تفيضان بالدمع، فشيء مذهل.

### ماذا كان يفعل ﷺ بأسامة لو كان فتاة

عائشة تجيب عن ذلك كله بقصة تأخذ بنياط القلب، ذات يوم اشتاق أسامة إلى جدّه محمد ﷺ، فتهادى إليه في بيت عائشة رضي الله عنها، وعندما همت قدمه الصغيرة بالدخول (عثر أسامة بعتبة الباب، فشجّ وجهه. فقال رسول الله ﷺ: أميطي عنه الأذى. فتقدرته. فجعل ﷺ يمصّ عنه الدم، ويمجه عن وجهه ثم قال: لو كان أسامة جارية لحليتّه وكسوته حتى أنفقه)<sup>(١)</sup>.

تعلمت عائشة الصغيرة الكثير من هذا المشهد، وتشربت حب هذا الطفل البريء، أمّا والده زيد بن محمد، فقد حلاه والده ﷺ بشيء أنفس.. لقد زوّجه النبي ﷺ من ابنة عمّته (أميمة بنت عبد المطلب) واسمها (زينب بنت جحش) فكان الزواج دليلاً على حبّ ﷺ لزيد، وعلى تحطيمه ﷺ لقيود الجاهلية التي كانت تعيق وتشوّه تناغم المجتمع الإسلامي ومساواته وتآخيه، فزيد في نظر المشركين لا يزال عبداً، لكنه عند المسلمين ابن محمد ﷺ، وهو في نظر الوثنيين لا يستحق الزواج بزینب.. لا يستحق الزواج إلاّ بأمة. لكنه عند المؤمنين: حب رسول الله ﷺ، وهو في عين النبي ﷺ أمير من أمراء الإسلام، وإن طعن من طعن في إمارته.

قال ﷺ ذات يوم وهو يتحدث عن أسامة بن زيد: (كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وإيم الله إن كان لخليفاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده)<sup>(٢)</sup>.

هذا هو زيد في عالم الإسلام وميزانه، أمّا أولئك الذين يرفضون ميزان الإسلام، ويصرون على التناول بأنسابهم فقد بشرهم ﷺ باحتقار شنيع لا يطيقونه. قال ﷺ:

(١) حديث حسن انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للإمام الألباني (٢٠١٩).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٤٦٩).

(لينتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه، إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو: مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من التراب)<sup>(١)</sup>.

ولئن كان التراب أصلاً للجميع، ولئن جعل الإسلام زيداً ابناً لمحمد ﷺ، فقد توهج الإسلام حتى امحت فيه الفوارق.. كل الفوارق، فكانت هذه القصة التي امحي فيها كل شيء بين النبي ﷺ وأحد الشباب الفقراء، الذين لا يملكون مالاً ولا نسباً.. ذاب كل شيء بين النبي ﷺ وهذا الشاب، حتى تحدث ﷺ عنه، فظن الناس أنه يتحدث عن نفسه.

شاب ليس له سرير سوى سواعد محمد ﷺ وقلبه

### شاب اسمه جليبيب

يتحدث عنه أنس بن مالك فيقول: (كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له: جليبيب، في وجهه دمامة، فعرض عليه رسول الله ﷺ التزويج، فقال: إذا تجدني كاسداً، فقال: غير أنك عند الله لست بكاسد)<sup>(٢)</sup>.

كان جليبيب ظريفاً يهوى المزاح والدعابة إنما لا يملك المال ولا الجاه ولا النسب، لكن ذلك كله لا يهم ما دام النبي ﷺ يعتبره جزءاً منه، ويتحدث نيابة عنه.. ما دام يملك مساحة في قلبه ﷺ.

تحدثت عنها الصحابي الجليل أبو برزة الأسلمي فقال: (إن جليبيباً كان امرأً يدخل على النساء يمرّ بهن ويلاعبهن، فقلت لامرأتي: لا يدخلن عليكم جليبيب، فإنه إن دخل عليكم لأفعلن ولأفعلن. وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم<sup>(٣)</sup> لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي ﷺ فيها حاجة أم لا.

(١) حديث صحيح انظر: صحيح الترمذي (٢٥٤/٣).

(٢) سنده قوي رواه أبو يعلى ٦-٨٩ وغيره من طرق عن ثابت عن أنس. ثابت تابعي ثقة سمع من أنس التقريب ١٣٢.

(٣) فتاة عزباء.

فقال رسول الله ﷺ لرجل من الأنصار: زوجني ابنتك. فقال: نعم وكرامة يا رسول الله، ونعم عيني. فقال ﷺ: إني لست أريدها لنفسي، قال: فلمن يا رسول الله؟ قال ﷺ: لجليبيب. فقال: يا رسول الله أشاور أمّها.

فأتى أمّها، فقال رسول الله ﷺ يخطب ابنتك. فقالت: نعم ونعم عيني. فقال: إنه ليس يخطبها لنفسه، إنما يخطبها لجليبيب. فقالت: أجليبيب ابنه؟ أجليبيب ابنه؟ أجليبيب ابنه؟ لا، لعمر الله لا تزوجه «ما وجد رسول الله ﷺ إلا جليبيباً، وقد منعناها من فلان وفلان - والفتاة في سترها تسمع».

فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله ﷺ ليخبره بما قالت أمّها، قالت الجارية: من خطبني إليكم؟ فأخبرتها أمّها، فقالت: أتردّون على رسول الله ﷺ أمره؟ «إن كان رضيه لكم فأنكحوه»، ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني «فكأنها جلت عن أبيها، وقالوا: صدقت. فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال: إن كنت رضيته فقد رضينا. قال ﷺ: فأني قد رضيته»، قال: شأنك بها، فزوّجها جليبيباً<sup>(١)</sup>.

زوّجها ﷺ من ذلك الشاب الفقير، الذي اختارته هي واختاره لها النبي ﷺ، وهي تعلم أنه لن يختار لها إلا ما يحبه الله ورسوله ﷺ، ولن يختار لها إلا ما يسعدها، لذا احتجت تلك الفتاة على شروط أمّها وتحكماتها التي لا تمت للإسلام.

اقتنع الجميع رضي الله عنهم بخيار النبي ﷺ، فأبحر الشبان في أيام بيضاء سعيدة، حتى جاء ذلك اليوم الذي فزع فيه أهل المدينة واستعدّوا لمواجهة عدوّ.. عندها انسحب جليبيب من ذراعي حبيبه إلى ذراعي المعركة، وأخذ سيفه وانطلق خلف حبيبه ﷺ في معركة أحب أن أسميها:

## معركة جليبيب

معركة انتصر فيها النبي ﷺ وأصحابه، وحاز فيها جليبيب على أشياء ثمينة.. غبطه كل من حوله، وهو يحملها في سفره ذلك.. غبطه كل من حوله، وهو بين ذراعي النبي ﷺ.. ليت شعري ما الذي أوصل جليبيباً إلى هذا الحب النبوي الجارف.

(١) حديث صحيح انظر: ما بعده فهو باقيه.

دعونا تمشى بقلوبنا بين غنائم جليبيب في تلك المعركة.. يرينا إياها أبو برزة ويصفها فيقول: («فرغ أهل المدينة فركب جليبيب» فخرج رسول الله ﷺ في غزوة له، فلما أفاء الله عليه، قال لأصحابه: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نفقد فلاناً.. ونفقد فلاناً.

قال ﷺ: انظروا هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا.

قال ﷺ: لكني أفقد جليبيياً؟ فاطلبوه في القتلى.

فطلبوه، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه. فقالوا: يا رسول الله، هاهوذا إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه.

فأتاه النبي ﷺ فقام عليه، فقال: قتل سبعة وقتلوه!

هذا مني وأنا منه. هذا مني وأنا منه<sup>(١)</sup>.

ثم وضعه رسول الله ﷺ على ساعديه، وحضر له.. ما له سرير إلا ساعدا رسول الله ﷺ، ثم وضعه في قبره<sup>(٢)</sup> أمام أعين الصحابة ودموعهم.. السواعد نعش لجليبيب، والكلمات أكفان كالغمام: لكني أفقد جليبيياً.. هذا مني وأنا منه..

ما أسما هذا النبي وأعظمه.. ما أرقّ مشاعره.. يخطب باسم هذا الفقير الذي يموت في المعركة بعد أن فتك بسبعة، ومع ذلك لا يآبه له أحد.. لا يذكر إذا ذكر الشهداء، ولا يفقد إذا فقد الأبطال، لكن أحضان النبي ﷺ وتجاويف قلبه تفتقده، لأنه مسلم مهما كان نسبه.. مهما كان لونه، حتى لو ارتحل عن هذه الدنيا دون أن يترك جاهاً أو مالاً.

هل يضر جليبيياً ذلك؟.. هل يضره أن لا يفتقده أحد إذا افتقده محمد ﷺ؟.. وحمله محمد ﷺ؟.. وجعل ساعديه له نعشاً وسريراً؟.. وتوجه بكنز تمنّاه كل من حوله عندما قال: هذا مني وأنا منه.. هذا مني وأنا منه.

(١) قال الراوي: مرتين أو ثلاثاً.

(٢) سنده صحيح رواه أحمد (٤/٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٥): حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت عن كنانة بن نعيم عن أبي برزة وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.. وعفان وثابت من رجال الشيخين. وكنانة تابعي ثقة من رجال مسلم (التقريب - ١٣٧/٢): وحماد إمام معروف وثقة مشهور. من رجال مسلم.

أما فتاته التي أحبته لأن الله ورسوله ﷺ يحبانه.. لأن رسول الله ﷺ اختاره لها، فقد بلغها الخبر والحزن، وبلغ المدينة كلها ما حدث لجليبيب فأصابها الحزن، وافترقت بعض البيوت تلك الملاحظة والظرف والضحكات التي يثيرها رحمه الله بدعاباته.

ذهب رضي الله عنه وترك لزوجته مجداً لا يبارى، وجعلها ملء السمع والبصر وحديث الناس وإعجابهم في المدينة، حتى قال أنس بن مالك بعد أن انتهت فترة حدادها على زوجها: (فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق بيت في المدينة)<sup>(١)</sup>، أي أن خطابها كثروا بعد جليبيب، حتى صار بيت أهلها من أوائل البيوت التي يتهافت إليه الخطاب.

هذا ما جرى لجليبيب رضي الله عنه، لكن ماذا عن زيد بن محمد..؟

فلنعد إلى زيد الذي تزوج بذات النسب الرفيع (زينب بنت جحش) رضي الله عنها.. ها هو بيت زيد وزينب.. دخلناه فوجدنا الوجوم يخيم عليه بعد فترة من الزمن.. القلوب في هذا المنزل الكريم على غير ما يحب رسول الله ﷺ.

لم يكن هناك توافق بين زيد وزينب، وسبحان مقلب القلوب والأبصار. لا أدري أيهما الذي كان مباعداً للآخر بشعوره.. هل هو زيد، أم زينب، أم هما جميعاً..؟

لم يتحمل زيد ما يحدث في صدره وصدر زوجته، فحملة إلى النبي ﷺ ووجاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك)<sup>(٢)</sup>.

قال النبي ﷺ تلك الكلمات والألم يسافر به، والخرج يحاصره.. قال ﷺ تلك الكلمات بعد أن نزل عليه الوحي بشيء يخص زيدا وزينب، ويخصه هو بالدرجة الأولى، فقد أخبره الوحي أن زينب زوجة ابنه زيد سوف تصبح زوجته وإحدى أمهات المؤمنين، فأخفى ﷺ ذلك الأمر على زيد خشية أن يتأثر ابنه.. خشية أن يلوك المنافقون وضعاف النفوس ذلك الحدث، ثم يلفظونه قيحاً في طرقات المدينة، وفتنة في بيوتها.

أخفى ﷺ ذلك لأنه سيحدث لا محالة، وانصرف زيد إلى زوجته وبيته، لكن القلوب تسافر دون أن تستأذن أصحابها.. بقي الزوجان على غير وفاق حتى تفارق

(١) هو جزء من الحديث الصحيح السابق.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٧٤٢٠).

الصدع، فأصبح أكبر منهما ومن منزلهما، فكان الطلاق هو الحل الوحيد، والمخرج الآمن لحياتهما ومعاناتهما .

أطلقها زيد زينب وطلقها بعد أن شعر أن البقاء معها شبه مستحيل، فالإسلام جعل الطلاق بيد الرجل لأنه المكلف بالمهر والنفقة والحماية والرعاية، والرجل السوي لا يقدم على الطلاق إلا بعد أن يستهلك كل وسائل البقاء الممكنة، لكن ماذا عن المرأة المسكينة..؟ هل اضطهدتها الإسلام لأنها لا تنفق ولا تدفع مهرأً..؟ هل يرغمها على البقاء في بيت رجل لا تطيقه لهذا السبب فقط..؟

الجواب في قصة هذه المرأة التي تطرق باب النبي ﷺ.. تبحث عن مخرج كمخرج زيد وزينب.. تطلب ذلك وهي زوجة سيد من سادات الأنصار، وخطيب من أعظم خطبائهم وبلغائهم.. صاحب خلق ودين.. ليس بالبخيل ولا بالذليل.. اسمه (ثابت بن قيس بن شماس) لكن زوجته فتّشت داخل قلبها عن مكان له فلم تجد، لذلك ذهبت إلى النبي ﷺ تشكو ذلك الفراغ الذي يؤرقها مع ثابت، فهل تستطيع تلك المرأة أن:

### تطلق زوجها لأنها لا تحبه

ففي الظلام، وعندما بدأ الفجر يمزق خيمة ليل ثقيل على امرأة اسمها: (حبيبة بنت سهل) وعندما صدع بلال أسوار الليل بالأذان نهضت تلك المرأة من ليلها الطويل الشاحب.. توجّهت نحو الباب وفتحته، ثم خرجت مثقلة بالهموم والشكوى.. تاركة البيت وصاحبه، وبعد خطوات ثقيلة وحزينة توقفت أمام باب كالفرج.. أمام باب كالفجر.. أمام باب محمد ﷺ .

لم تطرق الباب، بل مكثت تنتظره كي يبدد ليلها الطويل، ثم (إن رسول الله ﷺ خرج إلى الصبح<sup>(١)</sup>)، فوجد حبيبة بنت سهل عند بابه في الغلس<sup>(٢)</sup>)، فقال رسول الله ﷺ: من هذه؟

فقالت: أنا حبيبة بنت سهل. قال: ما شأنك؟

(١) أي صلاة الصبح.

(٢) أي الظلام.

قالت: لا أنا ولا ثابت بن قيس «يا رسول الله، إني لا أعتب على ثابت في دين ولا خلق، ولكنني لا أطيقه.

فقال رسول الله ﷺ: فتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم».

فلما جاء ثابت بن قيس، قال له ﷺ: هذه حبيبة بنت سهل - وذكرت ما شاء الله أن تذكر - وقالت حبيبة: يا رسول الله، كل ما أعطاني عندي.

فقال رسول الله ﷺ لثابت: خذ منها. فأخذ منها، وجلست هي في أهلها «وأمره ﷺ يطلقها»<sup>(١)</sup>، فطلقها ثابت رضي الله عنهما، ولم يستطع إرغامها على العيش معه، وبذلك انتزعت حبيبة حقها وحق غيرها من النساء من بعدها في الانفصال والخلع، فالزواج ليس سجنًا ولا إكراهًا.. إنه حب ومشاركة.. ألفة وود وتكامل، فإن لم يكن الأمر كذلك فباب الطلاق وباب الخلع مفتوحان كالرحمة إلى يوم القيامة.

هذا ما لا يعرفه النصارى حتى اليوم، فالقسس في الكنيسة يربط الزوجين برباط يسميه رباط الله المقدس، ثم يقول: إن ما يربطه الله لا يفكّه ابن آدم. أي أن الطلاق محرم، والزواج حتى ولو كان فاشلاً لا بد أن يكون مؤبداً، وفي ذلك يقول كتابهم المقدس: (أما أنا فأقول لكم: من طلق امرأته - إلا في حالة الزنا - يجعلها تزني، ومن تزوج مطلقه زنى)<sup>(٢)</sup>. أي أن المطلقة تعتبر زانية عند النصارى، ومن تزوج امرأة مطلقه فهو أيضاً زان، فلا غرابة أن نرى انتشار الخنا عند النصارى بشكل مخيف ومقزز، وما دامت المطلقة المسكينة قد حكم عليها الزنا المؤبد، فلن يغير من الأمر شيء أن تمارسه فعلاً.

أمّا محمد ﷺ فقد أحب المطلقة وتزوجها، وزوجها، وأفضل زوجاته خديجة تزوجت قبله أكثر من رجل، وها هو الوحي يخبره بأنه سيتزوج مطلقه زيد.

فرق كبير جداً بين سماحة الإسلام وتطرّف المسيحية والمسيحيون الذين يرون الزواج بالمطلقة زنا، بل يعتبرون الزواج بالبكر لا يليق بالنصراني المستقيم، وفي ذلك

(١) صحيح رواه البخاري (٥٢٧٥ - ٥٢٧٤) والزوائد له وأبو داود (٢٢٢٧) واللفظ له.

(٢) الكتاب المقدس - متى - الطلاق.

كتابهم المقدس: (أبناء هذه الدنيا يتزوجون، أما الذين هم للحياة الأبدية والقيامة من بين الأموات فلا يتزوجون، هم مثل الملائكة لا يموتون، وهم أبناء الله)<sup>(١)</sup>.

لا أدري ما مصير البشر لو أخذوا بهذه المقولة المتطرفة. حقاً إن الدين ليثير السخرية متى ما عبث بكتبه ونصوصه العلماء والعباد، فحرّفوا وبدّلوا وغيروا ظناً منهم أنهم يخدمونه، وهذا ما حدث للتوراة والإنجيل. لقد أصبحا مثار سخرية اليهود والنصارى أنفسهم. الإسلام شرّع الزواج وأشرع أبوابه ونوافذه، وجعله فسحة للمرأة والرجل، ومسؤولية وتلبية لحاجة بشرية ملحة، ولم يجعله قيداً وسجناً لا يستطيعان الفكك منه والهرب، ولكي يبقى الزواج سليماً من النكد والأمراض الجسدية والاجتماعية أنزل الله على نبيه ﷺ تحريم الزنا، حتى تبقى ساحة الزواج نقيّة طاهرة بهذه الأحكام النقية، وبهذا القرآن العذب والسنة المطهّرة.

أعاد الإسلام للإنسان توازنه الذي اختلّ على أيدي اليهود والنصارى، فاليهود حرّفوا التوراة.. فتحوا بين سطورها بيوتاً للدعارة، والنصارى حاولوا إقفال تلك البيوت بأحكام تحرم الطلاق، وتتهى عن الزواج أصلاً، فبقي الإنسان محتاراً بين قريتين: قرية للرهبان، وقرية للشيطان. قد تتساءل فتقول:

### كيف فتحت توراتهم بيوت الخنا؟

افتح التوراة.. تجد الاتهامات القبيحة لأنقى من مشى على الأرض، وهل هناك أظهر من نبي..؟

التوراة المحرّفة تقول لليهود.. تقول لشعب الله المختار: إن إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام زنى بزواجه من أخته من أبيه سارة<sup>(٢)</sup>!

إن لوطاً عليه السلام زنى بابنتيه وأنجب منهما<sup>(٣)</sup>!

(١) الكتاب المقدس - لوقا - قيامة الأموات.

(٢) سفر التكوين - (٢٠-١٢).

(٣) سفر التكوين (١٩ - ٢١).

إن أحد الأسباط وأكبرهم -ابن يعقوب- واسمه رابين زنى بزوجة أبيه وأم أخوته،  
ويطير صوابك عندما تقول التوراة إن يعقوب لما علم دعا لابنه رابين وباركه، ومدحه  
وسماه بالفاضل في العزّ والرفعة<sup>(١)</sup>!

إن يهوذا وهو أخُّ لرابين زنى بزوجة ابنه «لعير» واسمها «شامار»<sup>(٢)</sup>!

إن داود عليه السلام رأى زوجة جاره الجميلة فناداها وزنى بها<sup>(٣)</sup> ثم قتل زوجها!  
إن ابن داود زنى بأخته<sup>(٤)</sup>.. وغيرهم.. وغيرهم..

أما كتابهم التلمود، فيبيح لليهودي كل شيء خاصة مع المرأة غير اليهودية، لأنها  
عبارة عن حيوان، بل وحثّ الزوجة اليهودية على عدم الغيرة من المرأة غير اليهودية،  
لأن الأخرى حيوان لا كرامة له، فماذا يُتوقع من شعب هكذا يُصوّر له أنبياءه في كتابهم  
المقدس، أما النصارى فرأوا اليهود في حالة تثير الاشمئزاز، فابتدعوا الرهبانية كرد  
فعل على إباحية اليهود، فكرهوا الزواج ونهوا عنه، وحرّموا الطلاق وجعلوا المطلقة  
زانية والمتزوج منها أيضاً زان.

وبهذا أصبح اليهود والنصارى بين جحيمين، فجاء الإسلام راحة ورحمة للإنسان  
يتقلّب فيها.. عامله لا كملاك ولا كشیطان، بل إنسان يسعى نحو الأفضل، لكنه في  
سعيه ذلك يتعرّض للعثرات والسقوط، لأنه بشر. لكن الإسلام يدفعه لمقاومة ذلك  
السقوط والنهوض من جديد، ولذلك قال ﷺ: (والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب  
الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)<sup>(٥)</sup>.

جاء أحد الصحابة واسمه (حنظلة) يستفسر عن حالة التغيّر عند المسلم عندما  
يغادر المسجد، وقد تأثر بكلمة أو موعظة أو محاضرة، فإذا ذهب إلى بيته أو دكانه  
خفّ تأثره ذلك؟ فأجاب ﷺ عن هذا التساؤل الذي يطراً على المسلم بقوله ﷺ:

(١) سفر التكوين (٣٥ - ٥٥) (٤٩ - ٣).

(٢) سفر التكوين (١٩).

(٣) الكتاب المقدس - صموئيل الثاني - ١١.

(٤) الكتاب المقدس - صموئيل الثاني - ١٣.

(٥) حديث صحيح رواه مسلم (٢٧٤٩).

(والذي نفسي بيده، لو كنتم تكونون في بيوتكم على الحالة التي تكونون عليها عندي، لصافحتكم الملائكة، ولأظلتكم بأجنحتها، ولكن يا حنظلة: ساعة وساعة)<sup>(١)</sup>.

وعندما حاول ذلك الصحابي العظيم عثمان بن مظعون أن يمحو الساعة الثانية، ليبقى في ساعة عبادة ممتدة من النوم إلى النوم أوقفه ﷺ، وأعادته إلى سنته.. إلى بشريته، فلا رهبانية في الإسلام ولا تطرف.

تقول عائشة رضي الله عنها: (دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ، فرأيتها سيئة الهيئة، فقلن لها: ما لك؟ فما في قريش أغنى من بعلك. قالت: ما لنا منه شيء، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم، فدخل النبي ﷺ فذكرن ذلك له، فلقية، فقال: يا عثمان بن مظعون، أما لك بي أسوة؟ فقال: بأبي وأمي، وما ذاك؟ قال ﷺ: تصوم النهار وتقوم الليل؟ قال: إني لأفعل.

قال ﷺ: «يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا.. أما لك في أسوة؟ أما والله إن أخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده لأننا» فأنتهن بعد ذلك وهي عطرة كأنها عروس، فقلن: مه؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس)<sup>(٢)</sup>.

لم تشتك تلك المرأة الفاضلة من بخل ولا قلة مال.. لم تشتك حتى من زوجها، لكنها بثت ما بصدرها لنساء النبي ﷺ.. عبرت عن حاجة المرأة إلى وصال الزوج وحبّه، وإلا فإنها ستذبل، وذبول المرأة يعرف بعدم اهتمامها بنفسها وأناقته وأنوئتها.

أعاد النبي ﷺ ذلك الرجل النقي التقى إلى أجواء الإسلام البيضاء الرحبة.. يخلق فيها طائراً أبيض بالحب والإيمان، ثم يعود إلى عش حبيبته الجميل، كما يعود النبي ﷺ إلى بيته محملاً بالشوق والحب، وإذا كانت الحياة الزوجية تقتضي ذلك، فإن الحياة بكرامة إسلامية تقتضي أن يعود عثمان بن مظعون ورفاقه مع رسول الله ﷺ إلى أرض بدر مرة أخرى، بعد أن فرض الشرك ذلك عليهم متحدياً في معركة حدها أبو سفيان.. حدد موعدها، ومكانها. أما الموعد فهو بعد عام من غزوة أحد، أي الآن. وأمّا المكان، فعلى أرض بدر، وفي موسم بدر المشهور بالشعر والفخر والتجارة.

(١) حديث صحيح - صحيح الجامع (٢/١١٩٠) وهما عند مسلم.

(٢) حديث صحيح مر معنا. ورواه عبد الرزاق بسند صحيح (٦/١٦٧) عن معمر عن الزهري عن عروة وعمرة عن عائشة.

## الفهرس

٥	اليهود
٥	قصة صيام يوم عاشوراء
٧	يهودي ينتقد المسلمين
٨	كيف ينادى للصلاة؟
٩	رجل من حلم وأذان من وحي
١١	فرحة لامرأة من الأنصار
١٢	المدينة حريقاً ومذابح
١٣	مفهوم المواطنة في الدولة الإسلامية
١٤	فماذا توقع أبو بكر
١٤	حراسة رسول الله ﷺ
١٥	السلح صباحاً السلح مساء
١٦	نشاط عسكري
١٨	غزوة العشيرة
١٨	غزوة الأبواء
١٩	سرية نخلة
٢٤	فما هذا الخبر؟
٢٨	أهل الصفة
٣٠	ما ذا حدث يا فضالة؟
٣٢	ملايسكم يا أهل الصفة
٣٧	صيام شهر رمضان
٣٧	ما هو الصيام
٣٨	أحكام جديدة في الصيام
٤١	رقية مريضة
٤١	كيف كان ليل رمضان في مكة
٤٢	رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب
٤٦	الخروج وأسبابه

٤٨	..... المشورة قبل الانطلاق
٤٩	..... سرية في الانطلاق
٥٠	..... كيف علمت قريش بخروج رسول الله ﷺ؟
٥٢	..... بدر
٥٣	..... أين محمد
٥٣	..... كيف علم ﷺ بخروج قريش
٥٤	..... كيف عرف ﷺ عدد قريش
٥٥	..... عدد الصحابة
٥٧	..... المشورة الثانية
٥٨	..... وجاءت البشرى من الله
٥٩	..... ٢/٩/١٦ هـ
٦٠	..... مصارع القوم
٦١	..... المطر.. المطر
٦١	..... الصلاة جامعة
٦٢	..... بشرى ومنام
٦٢	..... جمع المشركين عند الجبل
٦٥	..... حسرة على عتبة
٧٠	..... لماذا يرفض ﷺ مشاركة حذيفة ووالده؟
٧٢	..... الصوف الأبيض شعاراً للمسلمين
٧٢	..... النعاس وشيء آخر
٧٣	..... أين رسول الله ﷺ وأين الملائكة؟
٧٦	..... عبد الرحمن بن عوف يتمنى مكاناً آخر
٧٧	..... هل أسلم أبو جهل؟
٧٨	..... قم يا حمزة
٧٩	..... شأهت الوجوه
٨٢	..... علي خائف من الموت
٨٢	..... قصة أمية وعبد الرحمن بن عوف

٨٦	أشجع رجل في بدر
٩٠	أين أبو جهل؟
٩٠	ماذا فعل ابن مسعود بأبي جهل
٩٣	ثمانية عشر شهيداً
٩٥	قضية الغنائم
٩٧	إحراق الغنائم
٩٨	قضية الأسرى
٩٩	رأياً لأبي بكر ورأياً لعمر
١٠٠	إعدام طاغوت
١٠٢	بقية الأسرى في نعيم
١٠٨	عفراء حزينة تنوح
١٠٩	ماذا قالت سودة حتى عاتبها زوجها
١١١	المعجزة
١١٢	إطلاق الأسرى دون مقابل
١١٦	ماذا عن بقية الأسرى؟
١١٧	الخدمة الاجتماعية بدلاً من الحبس
١٢١	كعب بن الأشرف
١٢٤	وثيقة وطنية مكتوبة بين النبي والمسلمين واليهود
١٢٧	أعلن يهود بني النضير وقريظة الحرب
١٢٧	قصة إجلاء بني النضير
١٣٢	أبو بكر وعمر وعلي يريدون فاطمة
١٣٣	هل وقع شجار بين حمزة وعلي؟
١٣٤	ألا يا حمزة للأشرف النواء
١٣٩	مولد النفاق
١٤٠	النبي ﷺ يأمر بالانتفاع بالخمير
١٤١	أبو طلحة ومهر أم سليم الغالي
١٤٢	جبير بن مطعم والهموم

١٤٣	حمزة باباً للحرية
١٤٤	رؤيا النبي ﷺ
١٤٤	دعاهم ليستشيرهم
١٤٧	البنات والمعركة
١٤٨	والد جابر يشرب خمراً قبل المعركة
١٥٠	إنهما من الأوائل
١٥٢	﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله﴾
١٥٣	المرابطون
١٥٦	بين عينين وأحد
١٥٩	البداية دعاء
١٥٩	بشائر بالنصر
١٦٠	هل من مبارز؟
١٦٢	ضيفان على المعركة
١٦٣	ضيف ثالث على المعركة
١٦٧	ماذا فعل الرماة
١٦٨	المعركة بأيدي المشركين
١٦٨	صرخة تقتل حسيلاً
١٦٩	استشهد حمزة
١٧٠	إن محمداً قتل
١٧٢	استشهاد مصعب
١٧٣	حنظلة بن أبي عامر وأبو سفيان بن الحارث
١٧٣	شهادة هو اختارها
١٧٤	رسول الله ﷺ في السماء
١٧٤	أول من عرفه ﷺ
١٧٧	الرسول يستسقي دماء
١٧٨	الشهيد الذي يمشي على الأرض
١٧٩	النعاس من جديد

١٨٠	هذا الفارس من أهل النار .....
١٨٢	أوجب طلحة .....
١٩٢	النبي يبشر الشهداء .....
١٩٤	الصلاة على الشهداء .....
١٩٦	ما سر حفاوة الله بوالد جابر؟ .....
١٩٨	أبو سفيان وجيشه نادمون .....
١٩٩	غزوة حمراء الأسد .....
٢٠٠	شبح على أرض أحد .....
٢٠٣	تحريم النياحة على الميت .....
٢٠٤	أحب الأسماء إلى رسول الله ﷺ .....
٢٠٥	إلى أين تتجه الهموم بجابر؟ .....
٢٠٦	على باب رسول الله ﷺ كان جابر يتعلم أدباً .....
٢٠٨	جاءت المعجزة .....
٢٠٩	من أخذ مال سعد بن الربيع؟ .....
٢١٢	ما هي عقبى أم سلمة؟ .....
٢١٣	رؤيا أم الفضل .....
٢١٤	فاطمة تلد حرباً .....
٢١٥	عقيقة الحسن .....
٢١٥	أم الفضل تضرب الحسن .....
٢١٨	تتمادى البراءة فيتمادى الحب .....
٢١٩	الرحمة تذهله ﷺ .....
٢٢٠	النبي ﷺ والإمام والمعاقين .....
٢٢٢	قصة أولها رحمة وآخرها جحيم .....
٢٢٤	اغتيال خالد بن سفيان .....
٢٢٦	سرايا لمرثد بن أبي مرثد .....
٢٢٦	حرم الله الزنا .....
٢٢٨	عامر بن الطفيل يهدد النبي ﷺ .....

٢٢٩	سرية الرجيع .....
٢٣٥	ما الذي حدث لأم سليم رضي الله عنها؟ .....
٢٣٥	غزوة بني لحيان .....
٢٣٦	أم سليم تلد طفلاً .....
٢٣٧	أم سلمة تلد بنتاً .....
٢٣٨	تغيير اسم برة بنت أبي سلمة .....
٢٤١	ذات الرقاع .....
٢٤١	أعرابي يحاول قتل النبي ﷺ بسيفه .....
٢٤٢	صلاة الخوف .....
٢٤٢	صفة ثانية لصلاة الخوف .....
٢٤٣	جابر وجمله الهزيل .....
٢٤٦	المرأة والرجل .....
٢٤٧	زريبة للنساء .....
٢٥١	زيد بن محمد ليس زيد بن محمد .....
٢٥٣	ماذا كان يفعل ﷺ بأسامة لو كان فتاة؟ .....
٢٥٤	شاب اسمه جليبيب .....
٢٥٥	معركة جليبيب .....
٢٥٨	تطلق زوجها لأنها لا تحبه .....
٢٦٠	كيف فتحت توراتهم بيوت الدعارة .....
٢٦٣	الفهرس .....

### صدر للمؤلف

- (الفقه السهل) نشر مكتبة العبيكان.
- (التوارة والقرآن والإنجيل) نشر مكتبة العبيكان.
- (الجنة حين أتمنى) توزيع مكتبة العبيكان.
- (العقل العربي اللامفكر فيه والمسكوت عنه في مقاربات العقل العربي) توزيع مكتبة العبيكان.

